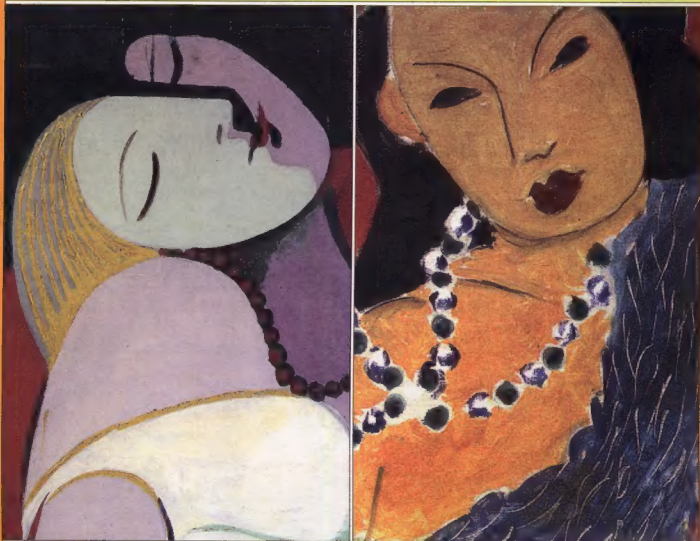


قراءة في أوراق إدارة بوش .. وعقلها!

محمد حسنين هيكل



أمن إسرائيل استراتيجية أمريكية / عزمي بشارة ♦ تراجيديا كريلاء / فاروق عبد القادر
اليوجينيا حرب وراثية / أحمد مستجير ♦ إبحار في محيط اللقطة / شوقي ضيف
مائة بن لادن؟ / أيمن الصياد ♦ نون: تعديل المناهج بيدى أم بيد عمرو؟ / سلامة أحمد سلامة



ماتيس وبيكاسو .. الصديقان الغريمان في معرض واحد ! / أحمد مرسى



تصدر عن:
الشركة المصرية
للنشر
والطباعة
والطباعة

رئيس مجلس الإدارة
إبراهيم المعلم

رئيس التحرير

سلامة أحمد سلامة

رئيس التحرير الفني

حملي التونى

مدير التحرير

أيمن الصياد



كتابات العدد:

- ١ - أحمد مرسى.. فنان وشاعر مصرى مقيم في نيويورك.
- ٢ - أحمد مستجير.. أستاذ بكلية الزراعة بجامعة القاهرة
- ٣ - أيمن الصياد.. صحفي
- ٤ - جون شميد.. كاتب أمريكي.
- ٥ - سلامة أحمد سلامة.. صحفي.
- ٦ - شوقي صيف.. رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- ٧ - عبادة كحيلة.. أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب.. جامعة القاهرة
- ٨ - عزمي بشارة.. سياسى وكاديمى من عرب إسرائيل.
- ٩ - فاروق عبدالقادر.. كاتب.
- ١٠ - كاتلين كريستسن.. كاتبة أمريكية متخصصة في الشأن الفلسطيني.
- ١١ - ليلى إبراهيم أبو المجد.. أستاذ الدراسات العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس
- ١٢ - محمد حسنين هيكل.. صحفي.

رسوم العدد للفنانين

محمد حجي - سعد الدين شحاتة - أحمد اللباد



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعائم ورقية أو
غير الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة وأجزاء
منها، بغير إذن كتابي مسبق من الناشر.



المراسلات:

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي

٢ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية
ت: ٢٩٢٠٤٩٢ / ٢٩٢٠٤٩٢ فاكس ٢٩٢٠٤٩٨ (٢٠٠٣)
البريد الإلكتروني (التحرير) mail: info@alkotob.com
ال موقع على الإنترنت www.weghatna.rar.com

الاشتراكات:

السياسة الواحدة (أشهر عدد) شاملة أجرة البريد داخل مصر ١٠٠ جنيه مصرى. اتحاد
بريد مصرى ٦٠ دولاراً أمريكياً. أوروبا وأفريقيا ٧٠ دولاراً أمريكياً. أمريكا وكندا
٨٠ دولاراً أمريكياً. باقي دول العالم ١٠٠ دولار أمريكي
إدارة الاشتراكات شارع سيموي المصري، ص ب ٣٤ الباتونارام، مدينة نصر
هاتف ٢٢٢٩٩ ١٠٠٠ فاكس ١٠٠٠ ٤٨٤٦٦٦ mail: wegat@alkotob.com

من النسخة:

في مصر ١٠ جنيهات مصرية السعودية ٢٠ ريالاً الكويت ١٠٠ ديناراً الإمارات ٢٠
درهماً البحرين ديناراً قطر ٥ ريالاً عمان ريالاً لبنان ٥٠٠٠ ليرة سوريا ١٥٠
ليرة الأردن ديناراً ونصف ليبيا ديناراً الجزائر ٣٠٠ ديناراً المغرب ٣٠ درهماً
تونس ٥ نادرين اليمن ٢٠٠ ريال فلسطين ٣ دولارات

Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £ 3 - USA\$5.

طبع بمطابع الشروق بالقاهرة

محتويات العدد:

- ٣ - كلمة.. والملف.. والموسوعة.. والفن
- ٤ - محمد حسنين هيكل
- ٥ - «قراءة في أوراق إدارة «بوش» وعقلها»
- ٦ - عزمي بشارة
- ٧ - «من إسرائيل.. استراتيجية أمريكية..»
- ٨ - «A Clean Break: A New Strategy for Securing the Realm» تحرير: تشارد بيرل
- ٩ - كاتلين كريستسن
- ١٠ - «فلسطين في العقل الأمريكي»
- ١١ - «فلسطين في العقل الأمريكي» تأليف: كاتلين كريستسن وترجمة: مفيد عبدوني
- ١٢ - فاروق عبد القادر
- ١٣ - «تراجيديا كبرياء»
- ١٤ - «تراجيديا كبرياء» سوسيلو لوجيا الخطاب الشيعي، تأليف إبراهيم الحيدري
- ١٥ - شوقي صيف
- ١٦ - «المجمعات العربية العامة والخاصة»
- ١٧ - عبادة كحيلة
- ١٨ - «في الذكرى العاشرة لوفاة: جمال حمدان وعبقريته المكان»
- ١٩ - شخصية مصر، تأليف: جمال حمدان
- ٢٠ - أحمد مرسى
- ٢١ - «ماتيس وبيكاسو.. الصديقان اليرمان في معرض واحد»
- ٢٢ - «متحف الفن الحديث» نيويورك، فبراير - مايو ٢٠٠٣ Mateo Picasso
- ٢٣ - ليلى إبراهيم أبو المجد
- ٢٤ - «المسبى البابلي» دراسة تاريخية في استراتيجيات الغزو»
- ٢٥ - أحمد مستجير
- ٢٦ - «سقطت البوجينيا.. ولم يسقط البوجينيون» حروب وثائقية..»
- ٢٧ - رانية خلاف
- ٢٨ - «إوارد وسيمبسون» الغرش.. الحب.. الخيانة»
- ٢٩ - جون شميد
- ٣٠ - «العلم الرصاص» يرفض أن يمضي»
- ٣١ - أيمن الصياد
- ٣٢ - «قراءة - مثانة بن لادن»
- ٣٣ - إصدارات جديدة
- ٣٤ - سلامة أحمد سلامة
- ٣٥ - «نور» تعديل مناهج التعليم.. بيدنا أم بيد عمرو»

كلمة..

المثقف.. والموسوعة.. والفن

كان الفنان حسين بيكار يقول إن تذوق العمل الفني ظل مقصوراً على ما يحتويه العمل من موضوعات ترتبط ارتباطاً مباشراً بالحياة العامة أو الخاصة، وكيفية تناول الفنان وسرده لهذه الموضوعات.. ولذلك كان التقييم محصوراً في الجانب الأدبي أو المعنوي للعمل، وليس فيما وراء قشرته الظاهرية من عناصر تقنية وفنية وجمالية، وهي الأساسيات التي تمنحه قيمته الرفيعة وتجعله يتصدر نظائره من المنجزات الأخرى.

إن كل ما يعرفه الجمهور مثلاً عن رائعة ليوناردو دافنشي الخالدة «الجيوكاندا» هو اجتهاداتها الساحرة وأناملها البضة، ونظرتها الحاملة التي تلاحق الراي أينما اتجه، أما ما وراء هذه الظواهر من قيم ومضامين فنية وتشكيلية فهذا ما لا يدركه إلا صوفة المتخصصين أو العقاد، وإذا كانت هذه الجزئية الموضوعية في الماضي تجذب المثقفي إلى العمل الفني وتطوي مشاعره في تلافيف نشوة عاطفية غامرة لا شأن لها بجوهر الفن وجمالياته، فإن ما طرأ على الساحة الإبداعية في السنوات الأخيرة من تطورات فكرية قد باعد بين الجمهور وبين الفن وألقى به في دوامة من الطلاسم التخصصية التي تفوق إدراكه، مما أدى إلى اتساع الفجوة بين الفن والجمهور وزيادة الأمية الفنية والثقافية بين عامة الناس.

وهناك فرقٌ بين التذوق الدارج وبين الوعي الناضج، فالمثقفي العادي يستقبل العمل الفني متقارداً بحاسة فطرية غير مثقفة تسلمه إلى حالة انطباعية من القبول أو الرفض دون أن يدري لماذا، أما المثقفي الواعي الذي لديه خلفية ثقافية عن الفن الذي يواجهه فإن استمتاعه بالعمل يكون مضاعفاً، ولعجب أن نرى أغلب الحاضرين في العروض الموسيقية يمسكون بالنص الموسيقي المكتوب ويتابعون العزف والإداء والقيادة لحظة بلحظة، ويستمتعون بكل حركة أو جملة استمتعاً مضاعفاً، فهم مستمعون ونقاد في الوقت نفسه، وهذا هو الفرق بين التذوق والوعي المثقف.

في «وجهات نظر» نذكر أهمية ما تحدث عنه بيكار، ونحصر على أن نخصص من حين لآخر عدداً من صفحاتها لما يمكن اعتباره ثقافة فنية، فنعرضُ في هذا العدد قراءةً «فنية» لمعرض أقيم في نيويورك أخيراً للوحات بيكاسو وماتيس.

وجهات نظر



■ أن ينشغل كاتب بعمل واحد نصف عمره فهذه قصة.. وأن يتصدى للعمل لما هو غير مسبوق في ثقافتنا العربية.. نصبح إزاء قصة أخرى.. تشهد بعض تفاصيلها زوايج يستوجبها إقدام المبادرة.. وتستدعي كل فصولها دهشة وإعجاباً وتقديراً بجهد فذ وراء عملٍ يبقى الأول من نوعه في المكتبة العربية.

هذا الكتاب.. الموسوعة، أخذ من صاحبه أربعين عاماً من الزمان.. والجهد والبحث والعرق، ليخرج عملاً فريداً، يحمل عنواناً لا يقدر عليه ربما غير صاحب الكتاب والجهد، وهذه النوعية من الثقافة: «العين تسمع والأذن ترى».

أكثر من ثلاثين جزءاً / كتاباً تضمه تلك الموسوعة حتى الآن. أولها كان عن الفن في مصر القديمة. وآخرها يصدر قريباً عن «دار الشروق» في ثلاثة أجزاء تتناول الفنون الآسيوية (هندية وصينية ويابانية).

صاحب تلك الموسوعة المثقف السوريوني (العثماني) الذي ارتبط اسمه بالثقافة منذ كان وزيراً لها في تلك الأيام الجميلة التي لا تتكرر (١٩٥٨-١٩٦٣) ثم (١٩٦٦-١٩٧٠): ثروت عكاشه؛ لأحد رواد حركة التنوير الثقافي في عالمنا العربي. خريج كلية «أركان الحرب» الذي حصل على الدكتوراه في الآداب من جامعة السوربون ١٩٦٠، والذي يشهد له تاريخ الثقافة إنجازاه مشروع إنقاذ آثار النوبة ومعد أبو سمبل ومعد فيلة فضلاً عن إنشاء معاهد السينما والمسرح والباليه والكونسرفتوار، وإقامة دار الكتب والوثائق القومية وقصور الثقافة وفرقي الأوبرا والباليه قبل أن يتم اختياره نائباً لرئيس اللجنة الدولية لإنقاذ مدينة فينسيا وراثتها (١٩٦٩-١٩٧٨).



يعرف الكافة أن المشكلة الأولى التي نعترض المثقفين بعامة، والمتعطين إلى الثقافة بخاصة هي «كيفية قراءة العمل الفني» سواء كان رقصة باليه أو لوحة فنية أو معزوفة موسيقية أو تمثلاً، فإن المثقفي عادةً يستقبل العمل بمشاعره المجردة وبذوقه التقاليفي والظري محتكماً إلى مزاجه الخاص فيحكم له أو عليه دون الرجوع إلى المقاييس التي استقرت في وجدان الإنسان وثبتت عبر الزمن.

هنا تأتي قيمة موسوعة ثروت عكاشه الفنية.. والتي كان جزءها الخاص بالفن العراقي القديم (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٤) عوناً ل«وجهات نظر» عندما احتجنا في العدد الماضي صوراً للمقتنيات متحف بغداد الذي تعرض للتهب بعد الاحتلال الأمريكي.



قراءة في أوراق

أولاً:

محاولة

للبحث

عن

الحقيقة

■ تقلص كثيرون غيرى وسبقوا إلى عرض واحد من أهم الكتب السياسية التي صدرت في الولايات المتحدة عن رئاسة «جورج بوش» (الابن)، والذي ظهر تحت عنوان «بوش في حرب» (Bush at War) - ومؤلفه «بوب وودوارد» هو الصحفي الأكثر اطلاعاً في العاصمة الأمريكية - ويشغل الآن منصب مدير تحرير جريدة «الواشنطن بوست» - الجريدة الأكثر نفوذاً في العاصمة الأمريكية.

وكان «بوب وودوارد» قد بدأ مسعوده إلى القمة منذ قام (مع زميله «كارل برنشتين») بتجريح فضيحة «ووترجيت» التي كسرت رئاسة «ريتشارد نيكسون» (سنة ١٩٧٤)، وأدت إلى استقالته من رئاسة الولايات المتحدة. ومن يومها راح «بوب وودوارد» يتقدم حتى أصبح الآن عميد «صحافة التحقيق» التي أُلحقت كفاءتها في النفاذ إلى دوائر السياسة، والقوص في خباياها، وتغطية أكبر مساحة من واقعها. وتكثف أدق أسرارها.

[وهذه مدرسة صحفية تترك النفاذ إلى العمق - حتى قارئ لا يعنيه ولا يرضيه أن تنحصر مهمة الصحافة في مدح السلطان والإشادة بعظمته فيما فعل ولم يفعل، وتعرف - أيضاً - أن قارئها يستطيع النظر إلى سطح الحوادث من متابعة التلفزيون، في حين أن الكلمة المكتوبة حياتها وشبابها - أصبحت موصولة بقدرتها على النفاذ إلى عمق لاستطيع

الصور أن تبلغه - أي بقدرتها على الأذهاب وراء السطح بكل ما يتزاحم قوله من اجتماعات واستقبالات ومراسم واحتفالات، وتصريحات وبيانات، وتلك كلها في هذه الأمانة وسائل تزويق وليست مناهج توليق!]

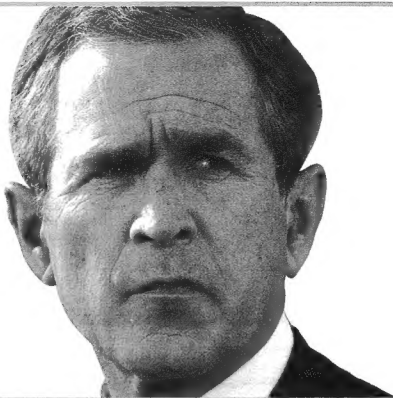
وبرغم أن كتاب «بوب وودوارد» ظهر أواخر سنة ٢٠٠٢، وبرغم أن غيرى سبق إلى عرضه كما أسلفت، فإنتني أعود اليوم إليه بمنطق ربما يكون مختلفاً لأنه لا يعرض للكتاب في مجمله، وإنما يركز على صور محددة في سياقها تكشف - أو كذلك تفتي - عن جواب سؤال يشغلني، ولعله يشغل غيرى - مؤداه:

«كيف تحول المشروع الإمبراطوري الأمريكي من الحرب ضد الإرهاب إلى حرب ضد العراق؟ وكيف انتقلت بؤرة الحوادث فيما جرى يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ من نيويورك إلى كابول - ثم كيف وقع استبدال الاقتعة من بغداد؟ ثم كيف وقع استبدال الاقتعة من ملاحم الشيخ «أسامة بن لادن» إلى ملاحم الرئيس «صدام حسين» بهذه السرعة؟ والسؤال ليس فقط عن كيف؟ ولكن عن ماذا؟ وأين؟ ومتى؟ وكيف؟ (وذلك أسئلة أولية - خصوصاً في صحافة التحقيقات التي يمثلها نجوم من مستوى «بوب وودوارد» - و«سيمور هيرش» وغيرهما).

ومع التسليم - كما طرحت في أحاديث سبقت - بأن المطلب الأصلي للسياسة

الأمريكية في القرن الجديد - إمبراطوري مزودج المفاصل في الشرق الأوسط: بسيط السيطرة على أرضه (باعتبارها قلب العالم من بداية التاريخ وحتى حاضره)، ويمد يده إلى مكانين المبتورل تحتها (باعتبارها محرك التقدم المضمون حتى هذه اللحظة)، فإن تلك النقطة السريعة من نيويورك إلى كابول، ومن كابول إلى بغداد تنقل لافتة للظن، وداعية إلى التفكير من زاوية كشفها لخلق القوة الأعظم في هذا العصر، ولحصنها لتزجج وترتيب عقلها، وأسلوبها في اعتماد السياسات، ونظيرها إلى الحوادث، وتقييمها للأطراف، ونبرتها ويأخذ ما يراه جدا، لأن القرار الأمريكي - بصرف النظر عن كفاءة الاعتبارات - مؤثر في الدنيا حيث يرضي الآخرون - وحيث لا يرضون!

وقد اخترت أن أعتد فيما أعرضه من كتاب «بوب وودوارد» على أسلوب أشبه بعرض شريط صور، بظن أن ذلك أقرب إلى روح الكتاب، وكذلك أقرب إلى «المزاج الأمريكي» الذي أبغى للعالم «فن السينما» (الفن السايغ) - وهو فن يقدم رؤيته لأي موضوع يضاهوله في شريط صور لتتابع إطراره بسرعة وتكون من سرعتها حركة متصلة. يظهر فيها «الإطال» بشخصياتهم ومواقفهم وأنفعالاتهم وتعبيراتهم عن نواياهم وحتى غرائزهم، إطراراً وراء إطرار - حكاية وراء حكاية - لفترة وراء فترة، بحيث يصل العرض إلى النهاية إلى رواية لها دلالة - وأحياناً لها قيمة!



إدارة «بوش» وعقائدها!

إلى إمام بالوضوح، ومتابعة للواقع، وسماع للشهود، ومداولة تمنع النظر حتى تستوفى جوانب قضيتها، ثم يكون الرأي بعد ذلك والفتوى عن اقتناع رصين وليس عن انطباع هوائي تأخذه الريح معها حيث تسافر!.

.....
.....



وكما يفعل أي خبير مقتدر فإن «بوب وودوارد» يخصص أول فصلين من كتابه - إلى حتى صفحة ٢٩ - لللغات خاطفة تمهد لاجواء روايته، محاولاً أن يستعيد مشاهد تلك الساعة المزعجة في التاريخ الحديث (من الثامنة والنصف إلى التاسعة والنصف من صباح يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١)، وهي الساعة التي قيل أن الدنيا تغيرت بها، حتى أصبح ما بعدها مقطوع الصلة بما كان قبلها، (وذلك مقولة بولغ فيها ومدع سبق الإصرار حتى تقدم حقيبات مفرضة لأحكام ظالمة، وجرائم وحشية ترتكب باسم العدل والقانون والحرية والديمقراطية إلى آخره، مما يسترجع بعد قرنين من الزمان تلك الصيحة الماثورة عن مدام «دي ستايلر» أيام فترة الإرهاب في الثورة الفرنسية حين قالت: «أبنتها الحرية - كم من الجرائم ترتكب باسمك!»).

رجل وإمارة في الإدارة الأمريكية الحالية، ومعنى ذلك أن الصور التي يعرضها «بوب وودوارد» أصلية، وأن المواقف والنصوص دقيقة، وأن السياق المتوالى للحركة صحيح، وأن الحوارات والمناقشات آمنة، وبالتالي فإن القصة كما يرويها يصح اعتمادها ويجوز البحث على أساسها، حتى وإن تعددت فيه وجهات النظر عند التفسير والتحليل.

.....
.....

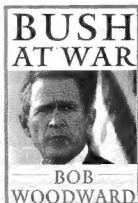
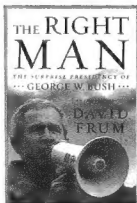
[والشاهد أن تعدد الآراء في التفسير والتحليل لا تكون له قيمة إلا إذا كان عن معرفة ودراسة بالحقائق وليس أخذاً بالظنون تحسب نفسها تعرف بظواهر ما ترى، وهو على أحسن الفروض جزء من الحقيقة لا يكفي لتأسيس رأي أو تأصيل فتوى، لأن الرأي والفتوى كلاهما يحتاج

كتابته للطبع، ثم يحدد قائمة بأسماء هؤلاء الرجال والنساء الذين قابلهم أثناء جمعه مادة كتابه - والقائمة تضم أسماء كل من: رئيس الولايات المتحدة «جورج بوش» - نائب الرئيس «ريتشارد تشيني» - وزير الخارجية «كولين باول» - وزير الدفاع «دونالد رامسفيلد» - مستشارة الأمن القومي للرئيس «كونداليزا رايس» - مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية «جورج تنيت» - رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة للجنتال «ريتشارد مايز» - رئيس أركان البيت الأبيض «اندرج كارد» - قائد القيادة المركزية الأمريكية الجنرال «تومي فرانكس» - وزير العدل «جون آشكروفت» - رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالي «روبرت مولر» - كبير مستشاري الرئيس «كارل روث» - والقائمة بعد ذلك متواصلة تكاد أن تكون مرجعاً شاملاً لا تقوى مثانة

والحقيقة أن كتاب «بوب وودوارد» قصة سينمائية من الدرجة الأولى، وهي قصة تعترف صراحة أنها تنقل عن الحقيقة ولا تتقرب منها (كما في بعض أفلام السينما حين يذبح أصحابها مقدماً إلى أي تشابه بين واقعهم وابطالها مع الحقيقة مجرد مصادفة غير مقصودة) - بل إن الأمر في هذه الحالة مختلف، لأن الأبطال في رواية «ودوارد» وباشخصائهم وذواتهم - بعلامتهم والسنتهم هم الذين يلصقون ويحكمون، ويقدمون الدليل على صحة ما يقولون، ففي مقدمة الكتاب سجل مؤلفه (واكد البيت الأبيض) أنه قيل أن يدق حرفاً على الكمبيوتر - القلي مرتين بالرئيس «جورج بوش» - مرة في مكتبه في البيت الأبيض لمدة ساعة ونصف الساعة في ديسمبر سنة ٢٠٠١، ومرة ثانية في منزله (كراولفورد) تكساس في أغسطس سنة ٢٠٠٢ لمدة ساعتين و٢٥ دقيقة.

ثم يسجل «بوب وودوارد» ضمن المقدمة أنه حصل على تصريح سمح له بأن يقرأ محاضر خمسين جلسة لاجتماعات مجلس الأمن القومي، وأنه حين بدأ يعد كتابه استأذن أن يستعمل بعض النصوص مما قرأ بحرفها، وكما أوردتها المذكرات والمحاضرات في جلسات صنع القرار.

وأخيراً يقرأ «بوب وودوارد» أنه قابل مثانة رجل وإمارة من الذين كان لهم دور في صنع الحوادث في واشنطن ضمن إدارة «جورج بوش» (الابن) على امتداد سنة ٢٠٠١ وحتى ديسمبر سنة ٢٠٠٢ حين ملأ





تمشي نحو نهاية مقررة، ولكن الثانية - السياسة (أي حركة التاريخ اليومية) - لها بداية مقررة تتحرك نحو نهاية قد تكون مطلوبة، لكن مقاديرها مما يستحيل ضبطه وكتابتها سلفاً!

وهذا هو الخلاف بين السينما والسياسة، لأن الأولى سيناريو يمسك به مخرج يحكم المشاهد، والثانية سيناريو تتوالى حقائق الحياة وعناصرها - وفماجاتها أيضاً - وبالتالي فهو ليس صراع شخصيات ومواقف مرسومة، وإنما صراع إرادات متقابلة ومتعارضة - والصراع الذي مفتوح على كل الاحتمالات! ■

والضيف «كولين باول» وزير الخارجية الأمريكية الذي يقوم بزيارة رسمية لعاصمة شيلي لحضور دورة اجتماع رؤساء المنظمة الدولية الأمريكية، وكانت هذه الدورة مخصصة لتسوية مشكلة حصص التنسج في التجارة بين أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية، وفجأة يفتح باب الغرفة ويدخل السفير «كريس كيلي» المساعد التنفيذي لوزير الخارجية الأمريكي، ممسكاً في يده بورقة مكتوبة بخط اليد مزمعة على عمل من دفترها، والمكتوب فيها بالنص: «اصطدمت طائرتان قبل قليل ببرج التجارة»، وينهض «كولين باول» واقفاً يقول لرئيس «شيلي»: «لأبد أن أعود الآن إلى واشنطن»، ثم يواصل «هذا حدث كبير لا أستطيع أن أبقي بعده هذا المأصلة القادمة عن حصص التنسج»، ثم يلتفت إلى مساعده التنفيذي يطلب تحضير طائرته فوراً لرحلة العودة إلى واشنطن، ثم يعود إلى توجيه طويعة لرئيس شيلي، «لا عرج من فعلها حتى الآن» ولكنه كاشفاً من كان لابد أن يلقي عقابه، نحن أمة قوية، ونحن نتقن في انفسنا».

ثم يتصل «كولين باول» بـ «بناكييه ريفشارد أرميتاج» ويسمع منه أن أجواء واشنطن في فوضى عارمة والأعباء مملوطة، والتضارب والتخبط يستولي على أركان الإدارة، والرئيس «بوش» بعيد في كولورادو، ولأبد من حضورك، لأن الـ

بأداء دوره، وإنما شكك في صلاحية غيره، وحاول أن يختصب اختصاصه، ويسرق الكايزر لحسابه الشخصي (كما يقال في صناعة السينما). لكن السياسة - وهو طبيعي - تختلف عند هذا الحد عن السينما، وذلك لأن أي مشروع (إمبراطوري أو غير إمبراطوري) يجري حساباته وتصورات وأستعداداته، ويسم رسمه شاهد البداية بالتفصيل، ويلقي ما عذبه على الواقع الحى، ويكون ذلك كله بمثابة سؤال ينتظر جوابه - لأنه عندما تبدأ تفاعلات أي صراع أخذاً ورداً، فإن الجواند تتدافع بغير نص متفق عليه - وهنا يختلف فن السينما عن حركة التاريخ، فالأولى سيناريو له بداية مقررة

وعلى مائدة الإفطار التي جمعت «بورين» و«نتيت» وفي الساعة الثامنة والربع من صباح يوم ١١ سبتمبر - اتحم المائدة أحد أسرار مدير وكالة المخابرات المركزية يهس في أذن «نتيت»: «سيدى الكبير، هناك كارثة، وقع هجوم على مركز التجارة»، ويتناول «جورج نتيت» من حارسه جهاز تليفون محمول ويسمعه «بورين» يقول (ويظن أنه يتحدث إلى أحد مساعديه) - بصوت مشحون: «ماذا؟.. طائرة دخلت في برج التجارة؟! - سوف أكون عندك على الفور».

ثم يلتفت «نتيت» إلى «بورين» ويبارده في الفور: «ذلك عمل بن لادن» ولا أحد غير»، هكذا بلا تعاطف المسبق، وقبل استكمال تفاصيل الواقعة - وقبل المرافقة مع خمراء الوكالة - وقبل أي تحقيق.

وكذلك ينتهي مشهد الإفطار في فندق «سان ريجيس».



ثانية

■ في ليما عاصمة بيرو وعلى مائدة الإفطار أيضاً، والمضيف «الجنرالندو توليدو» (رئيس جمهورية شيلي)،

للمشروع المشترك الجامع بينهم أن يذيب هذه الرواسب والمواليق، لكن ذلك لم يحدث لأن مسئولية مئونة - بمنطق الأشياء - بإدارة علياً واحدة يقترض أن يقوم عليها الرجل الأول في الإدارة وهو «جورج بوش» (الابن) (دوبيو)، لكن ذلك الرجل بالذات - في تلك اللحظة بالتحديد - لم تكن لديه الأهلية، وبين الأسباب أن كبار معاونيه لم يكنوا مقتنعين بكفاءته، بل وكان بعضهم يتصور أنهم أبقى منه بالجلوس على مقعد الرئاسة لولا محاذير المعارك الانتخابية وضرايفها الفادحة سياسياً وجسمانياً وإنسانياً! والنتيجة أن هناك مشروعا إمبراطوريا متفقا عليه، لكن كل مسئول كبير في الإدارة الجديدة اعتبر نفسه قيما عليه، ولم يكثف

لجنة الأمن والمخابرات) وهو يدقراطي ويمثل ولاية أوكلاهوما، ويومئ «دوبارد» بسرعة إلى أن «بورين» هو الذي رشح «جورج نتيت» (ابن أسرة مهاجرين إيطاليين قبل جيلين من اليونان) - لرئيسه الديقراطي «بيل كلينتون» لمنصب مدير وكالة المخابرات المركزية، وكان السناتور «بورين» فيما بعد هو الذي زكى «نتيت» للرئيس الجمهوري الجديد «جورج بوش» - حتى يحتفظ به مديراً للوكالة، لأنه مؤمن بكفاءته، ويرى هناك مصلحة وطنية في بقاء مسئول اختارته إدارة «كلينتون» ليوصل نفس المسؤولية في إدارة «بوش»، لأن وظيفية المخابرات المركزية - رغم السوابق - لا ينبغي أن تختص بالضرورة لاعتبارات حزبية، وبالذات في حالة رجل يملك خبرة واسعة في المجال الذي اعتمدته إدارة «كلينتون» لإطلاق المشروع الإمبراطوري الأمريكي، أي مجال مكافحة الإرهاب، وقد استجاب «بوش» لرغبة «بورين» قائله: «إن ما واصله عن «جورج نتيت» يشهد بكتائمه»، ثم أضاف قائله «دوبوين»: «إنني أعرف أن أول بند في البرنامج اليومي لرئيس هو اجتماعه في الصباح المبكر (للساعة السابعة صباحاً) مع مدير وكالة المخابرات المركزية التي يطعمه على أسرار ما جرى في العالم خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة، وسعني ذلك أن رجلاً سوف يكون أول وجه يطالعني كل صباح».

ثانياً:

لا بد من قدرة

فعل تعبر عن

قوة أمريكا!

■ وهكذا يبدأ «بوب وودوارد» كتابه بلمحات خاطفة أقرب إلى ضغط «فرشاة» اللون منها إلى لفظة الكايزر!

ثالثة

■ على مائدة الإفطار الساعة الثامنة صباحاً في فندق «سان ريجيس» على مقربة من البيت الأبيض - يظهر «جورج نتيت» مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، مدعواً للإفطار على مائدة راعيه وحاميها السناتور «دايفد بورين» (رئيس

«بوش» - موجها حديثه إلى نائبه «تشيلى»:

«نحن في حرب. لا نعرف حتى الآن من هو العدو فيها -

لكن هناك من سوف يدفع الثمن. نحن سنحارب وهذا

هو الواجب الذي يدفع لنا الشعب الأمريكي مرتباتنا كي نؤديه،





المشتركة إلى مقابلته، ولكن يكمن في العادة يستريح له (خصوصاً بعد مشادة وقعت بين الاثنين، حين نهبه وزير الدفاع على رئيس الأركان المشتركة أن يتصل مباشرة بالرائس عن غير طريقه، وعندما حاول «شيلتون» أن يعترض لأن «الرائس له الحق الدستوري أن يسمع مباشرة من رئيس أركان الحرب». كان رد «رامسفيلد» قاطعاً: «ليس مادت أنا جالسا على مقعد وزير الدفاع».) - والآن جاء «شيلتون» إلى مكتب «رامسفيلد» الذي يديره بقوله «نحن الآن في لحظة قارعة».

ويرد «شيلتون» بقوله: «إننا على استعداد، وبجيبه «رامسفيلد»، «جثتي بما لديك من خطط لمواجهة هذا الموقف». ويضيف «رامسفيلد» «لا بد أن نتحرك فوراً، لكن الجنرال «شيلتون» (رئيس الأركان وقتها) - يرد عليه وفي حضور الجنرال «مايرز» (رئيس الأركان الحالي): «إذا كانت المسؤولية على «بن لادن»، وإذا كان المفاعل لتخليب القاعدة، وإذا كانت القاعدة، كما نعرف - متحصنة في أفغانستان - فلابد لي من إبلاغنا أنشأ لا نملك خطط طوارئ جاهزة للعمل هناك، وإذا لم يكن لابد من قيامه لتوقعاتنا، فكل حساباتنا لم يكن هناك احتمال أن نشن حرباً في أفغانستان».

ويرد «رامسفيلد» بغضب: «لا أفن أن لديكم حساباً لأي حرب لا في أفغانستان ولا في غير أفغانستان، لقد اطعتم على بعض ما عندهم من خطط الطوارئ الجاهزة، وأشعر أن أماننا شوطاً طويلاً يجب أن نطمحه نحن نستطيع بناء قدرة فعل تعبر عن قوة أمريكا، ولكن أن تنصرفوا الآن». ويرد الجنرال «مايرز» (رئيس الأركان الحالي) قائلاً بالبنص: «أفهم ما تقولوه يا سيدي».



تحفة

■ مدير وكالة المباحث الفيدرالية «روبرت موللي» يصل من مكتبه بمدير المخابرات المركزية الأمريكية يستطيع ما عنده من معلومات، لأن «موللي» لم يعرض عليه في منصبه غير خمسة أيام، ويكره عليه «نتيت» أن المسؤولية لا بد أن تكون



«ريتشارد تشيني»، وقد وجده في المخبأ الأمين للمبيت الأبيض، لأن ضباط الأمن حملوه إلى هناك حملاً خوفاً على حياته، ويصغي «بوش»، وكل ما يرد به على نائبه هو قوله: «إن غشني في حرب» - ثم يضيف «نحن في حرب، لا نعرف حتى الآن من هو العدو فيها - لكن هناك من سوف يدفع الفتن، نحن نشعر بهذا وهذا هو الواجب الذي يدفع لنا لشرك الأمريكي مرتبائنا كي نؤديه».

ويعود «بوش» للاتصال بنائبه في يدروم البيت الأبيض يطعمه إلى أنه في الطريق إلى واشنطن، لكن «تشيني» يقول له: «لقد أبلغت أن Angel - أي الملك، (وهو الاسم الرمزي لبطارة الرئيس) - ملاحقة بالخطر الآن لأنها ألغيت التالي - والترح «تشيني» على رئيسه أن يتجه إلى أقصى ما يستطيع عن محيط العاصمة، فقللاً يجرم - لا تجيء الآن إلى واشنطن» - وعندما قرر مراقب الرئيس (من كانوا معه على الطائرة) أفضلية توجهه إلى قاعدة «باركسويل» في لويزيانا حيث يكون هناك في أمان.



تحفة

■ الرئيس «جورج بوش» يتصل بوزير الدفاع «دونالد رامسفيلد»، ويبادره بالصياح بصوت مرتفع (كذلك روى) «واو»، ثم يترك الصياح إلى التعبير باللفظ ليقول «إنه يوم مأساة وطنية، ولابد أن تكون مستعدة للحرب أنت و«ديك مايرز» (يقصد قائد الطيران الذي أصبح بعدها رئيساً لهيئة أركان الحرب المشتركة)، ويضيف «بوش»: «الكرة وأصله بالتأكيد إلى عليكم» - ثم يواصل كلامه قائلاً لوزير دفاعه «لا بد أن تطلق العنان للمقاتلات المسلحة»، ويرد «رامسفيلد» «لا تحتاج أن توصينا بما يتعين علينا عمله».



تحفة

■ «دونالد رامسفيلد» يدعو الجنرال «هنري شيلتون» (رئيس أركان الحرب



■ «لورا بوش» (زوجة الرئيس) في الساعة التاسعة والربع ترتدي فستاناً أحمر اللون وحول عنقها من اللؤلؤ تضيئ حباته حول عنقها من اللؤلؤ في قاعة الاجتماعات بمبنى «راسل» في الكونجرس، فقد ذهبت إلى هناك ثلثي براياها في «مشكلة التعليم الجكر للأطفال».

امام لجنة يرأسها السناتور «إدوارد كينيدي» (شقيق الرئيس الراحل «جون كينيدي»)، ويدخل أحد مراقبها يدعوها إلى الخروج معه فوراً، لأن هناك من القاعدة وقعت، وتخرج «لورا» خارجة من القاعدة و«إدوارد السناتور» «إدوارد كينيدي» يستمعان إلى بعض التفاصيل ويهرولان من باب جانبي للقاعة، وعندما تصل إلى سيارتها تكون قد سمعت ما يكفيها، وتتأهب حالة رجفة وتشتلي عينها بالدموع، ولا تتمتع سيارتها من السير بسبب زحام الشوارع، ويقرر حراسها أنها لا داعي لتعرضها لخطر السير حتى نهاية شارع ينشلانها (حيث المبيت الأبيض)، وعليه فهم يأخذون «السيدة الأولى» إلى غرفة آمنة في يدروم إدارة الموليس السري، ومن هناك تحاول الاتصال بتفويضا بابنتها «بريارة»، وحيناً، ويبدأ الرئيس السري تحرياتها «معرفة مكان وجود الاثنين، وتسمع الأم بالأسماء السرية التي يستعملها الموليس السري للكناية عن ابنتي «بوش» «الاولى» «تركوا» (حجر نصف لمين)، والثانية «بريق» (لعل قطع من البلور أو الزجاج) وأخيراً الساعة ١١:١٠ تمكنت من سماع صوت ابتئتها، وعندما اطمانت راحت «لورا» تسأل في صوت مرتعش تحاول السيطرة عليه: «إذا كان ممكناً أن تعود إلى بيتنا».



تحفة

■ الرئيس «جورج بوش» في الطائرة الرئاسية يتمكن من الاتصال بنائبه

يحتاج الآن إلى يد غير مرتجفة (Steady Hand) تمسك بزمام الأمور وكانت «شيلي باول» تملك اللحظة - في رد فعل شبه غريزي - أن يعترض الرئيس لعملية «برمجة» تضليله على اتجاه معين قبل وصوله هو - «باول» - إلى واشنطن.



تحفة

■ «اندرو كار» رئيس أركان البيت الأبيض يقترن من الرئيس «جورج بوش» (الذي كان يزور مدرسة بوكر الأولى في قرية سارسوتا - فلوريدا) ويقر بصوت عال لتلاميذ أحد فصولها، ويهيس «كار» في أن رئيسه «دخلت طائرة في برج التجارة في نيويورك»، ويخطر ببال «بوش» (كما روى فيما بعد) أنها «حادثة اصطدام مؤسفة من طيار أخطأ مساره»، وكذلك يواصل ما كان يفعله، لكن «كار» يعود إليه بعد قليل فامسا مرة أخرى في أذنه، ولكن بعصية فاهرة «هناك طائرة ثانية دخلت في برج التجارة» - أمريكا معرضة لهجوم. وينتاض «بوش» في شبه نهول قائلاً على الفور: «لقد أعطوا الحرب علينا، ولابد أن نذهب إلى قتالهم حيث يكونون»، وينتهي جلسته من تلاميذ المدرسة ويستذكر (فيما بعد) «لا أراها لماذا قلت أنها الحرب ضد تلك اللحظة»، ثم يضيف: «لعله كان صدى صوت والذي كما سمعته سنة ١٩٩٠ بعد غزو الكويت» - ويهرع «بوش» إلى المطار ليركب الطائرة الرئاسية عائداً إلى واشنطن ويقول قبل أن يصعد زوجته «علي» «الاول» (ابنته)، وي دفعه أحد حماة صالحي: «مسيدة الرئيس نريدك الآن داخل الطائرة وعلى مقعدك، وطبقاً لوصف كبير حراسه فقد استحال لون «بوش» إلى بياض الظفر، وتعتشت أخطاه وهو يصعد سلم الطائرة (ربما لأنه لا مفاخرة ولأنه من جديد، ولا ظروف حملته الانشائية، ولا تجربة ثمانية شهور في البيت الأبيض - حياته لاستيعاب مثل هذه الصدمة).



العبد الثالث والخمسون، يونيو ٢٠٠٢ م



ثالثاً:

لا نستطيع

كسب حروب

ضد أشباح

■ بعد أن يرسم «بوب ودوارد» لوحة التلقين بلمحات وظل وفراغ، يبدل هادئاً إلى عالم الصور يعرض شريطاً متواصلاً منها يبدأ به «الاول» من قبل أن تنفخ صدمة ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وتلك هي فن السينما العود إلى الوراء (Flash Back) تسترجع خلفية المشهد.



صورة

قبل أن يتسلم «جورج بوش» (الابن) مسؤوليات رئاسة الولايات المتحدة رسمياً بأسبوع كامل -جرى ترتيب اجتماع خاص له مع مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية «جورج تنيت»، والمقصود أن يكون الرئيس المنتخب على دراية وإحاطة بالخطار المحفلة التي تحتفل برأسته القادمة، وتوجه «جورج بوش» إلى «بليز هاوس» مقر الضيافة الرسمي المواجه لبيل كلينتون (وكان «بيل كلينتون» لا يزال يعمل منه وإمامه جورج كامل قبل أن يقوم بتسليمه إلى شاغله الجديد). ودخل «جورج بوش» (الابن) إلى «بليز هاوس» ومعه شخصان اثنان، لأن سرية المعلومات التي كان مقرراً أن يسلمها بيلز حصراً هي أضيقت دائرة، وكذلك لم ينجي مع الرئيس المنتخب الاثنان من أركان إدارته الثقيلة: «ريتشارد تشيني» نزاله الذي فاز معه على لمس الذكورة،

والاحتمال، تستحضر أرواح القديسين والشهداء!

وكانت تلك (في واقع الأمر) محاولات شراء فسخة من الوقت قبل التصرف، وكان كل أطراف الإدارة - على خلاف ما بينهم - يرون ذلك ضرورياً لتخفيف القوة ما بين مفاجأة الحدث المروع - وما بين تحديد المسؤولية عنه، ولعل فسخة الوقت أيضاً كانت ناعمة لسعادة «جيرسون» على إيجاد صيغة جواب لإسئلة الحائرة عن الهدف الأمريكي الآن؟ - ومن هو العدو؟ - وما هي الآلة المتوافرة «لدينا» ضده في شأن ما جرى صباح الأسس في واشنطن؟ - ومن لم يتكهن من كتابة أول خطاب عام للرئيس الولايات المتحدة بعد الصدمة.

وكانت فسخة الوقت - أيضاً - حاجة ملحة لتهدئة هوجس «كونداليزا رايس» وغيرها بصمة مسؤولية إدارة «بوش» عما جرى - ولماذا فوجئت - وما الذي كانت تعرفه؟ - ومتى عرفته؟ - وكيف تصرفت [إذاعة].

وفي حملة مكثفة وشاملة، جرى تحقيق الخطوات الضرورية كلها وإمكن شراء مهلة من الوقت لانقاص الأنفاس! بمعنى أنه جرى بسرعة تصدير الأزمة ووقع العلون على عود - وانتقل التركيز إلى هذا العدو - واستدعت وطنية العلم المخطط بالأحمر والأبيض والرمع مربع أزرق تصطبغ في التجويع (وهي حالة من وطنية الخوف موروثة بالتاريخية) وحضر القساوسة والحاخامات (ولاشيخ) وبيدات الصلوات، وبين التلحاح أن المراج الأمريكي تحول إلى قوس مشدود بواجب جازم للانطلاق في أي اتجاه، ولابد من إطلاقه قبل أن يذكر المواطن الأمريكي أن بلاده رصدت ما متوسطه تريليون (ألف بليون) دولار كل سنة تحت بند الدفاع عن نفسها، أي خمسين تريليون دولار - أي حوالي ٢٠٪ من مجمل الدخل القومي الأمريكي طوال خمسين سنة - (وفق تقرير الكاتب الكبير «جورج فريدل» في دراسته بعنوان «السلام المتقطع والحرب المستمرة») - ومع ذلك وبرغم هذه التحالف الموهنة، انقضت على الشعب الأمريكي قبل هذه الضربة وفي قلب وطنه (نيويورك) - (وليس كما حدث في «بيلز هاوس» فوق قاعدة ثالثة وسط المحيط الهادئ (جزر هاواي)). ■

لجبت أن عاودتها، بمنطق أن تحديد مسؤولية «بين لادن» عما جرى صباح اليوم في واشنطن لإيران تنادي بعده مسؤولية على الإدارة الأمريكية، تتساءل أطراف هذه الإدارة: لماذا فوجئوا بما جرى - وما الذي كانوا يعرفونه عن تنظيم القاعدة؟ ومتى عرفوه؟ وكيف تصرفوا حياله؟ ولم يكن هناك وقت لإيقاظ هذه الهواجس وغيرها.

[وتشير عشرات ومئات الأوراق التي تعرضت لأجواء تلك الليلة (ليلة ١٢ سبتمبر في واشنطن) - أنها كانت سهرا طويلا مع الاختلافات والتناقضات - تحولت بعض المحادثات إلى نهم متبادلة بين الأطراف، في هذه الأعصاب مع نهاية الليل على عدة مطلوبات عاجلة تقرضها الضرورات إزاء وثورات تردها حدة في مشاعر الرأي العام الأمريكي، وقد يتفاهم تأثيرها، وكانت قائمة المطالبات الضرورية طويلة - ويبدأتها:

١ - أنه لابد من تصدير هذه الصدمة المفاجئة إلى خارج وقت الولايات المتحدة بسرعة، لأن شحنة الغضب بعدما جرى لا يجب أن تظل محصورة في الداخل - لأن ذلك كفيل بتوليد شحنة ساخنة يصعب التنبؤ بخطرهما، أو السيطرة على اتجاه حركتها.

٢ - ومعنى ذلك أنه لابد فوراً من «عدو خارجي» يلقى عليه المسؤولية، وقيل انتقل للتكامل - لأنه بوضوح هذا العدو يسهل تحويل شحنة الغضب القادم بعد قوة الصدمة، ويعد ترييع المفاجأة، ويعد وجع الحزن - إلى بعيد.

٣ - ما يوجد هذا العدو فإن تعبئة شاملة ضده تستطيع أن تستوعب المشاعر وتضمها في إطار محدد يلم شملها ويسد بالبارد والجامع منها، وأكثر من ذلك يجعل الفرصة لتوطينها.

٤ - وعليه فإن الأمر يقتضي استدعاء الوطنية كإطار عام لآلة الأمريكية في لحظة خطر، وأن يتم ذلك بكثافة تقطع الطريق على أي تساؤل - بحيث يصبح مجرد الشك - درجة من الخيانة.

٥ - وفي سياق قائمة الخطوات أن هناك حاجة روجية، إلى استدعاء الدين، يلعب دوره الإيماني في تحقيق درجة من القبول بتوازل الفقر، وبالتالي تخفيف القلق والخوف وحقق جرعات من الصبر

على «بين لادن»، ويرد «مولتر» بقوله «معتنر، لأنه ليس هناك تنظييم آخر لديه مثل هذه الوسائل لترتيب عمل إرهابي بهذا الحجم».



لمحة

■ الرئيس «بوش» يعود إلى واشنطن في الساعة السادسة والنصف، وقد نقل إليه أن هناك محاولة لإبقائه بعيداً عن مركز القرار حتى يطرده به «ريتشارد تشيني» الذي ينتظر الفرصة في يؤكد لأمريكا أنه رجل الساعة، وأنه يد هي التي تمسك بالدفء!

ويستدعي «بوش» رئيس مجموعة كتابة خطبه «مايكل جيرسون»، ويقول له: «إنه يريد أن يتحدث إلى الرأي العام الأمريكي فوراً، وتعليقاته في شأن النقطة الأولى أنه يريد إعلانها «حرباً على الإرهاب»، وتشدّد مستشاره لادن القومي لقول للرئيس: «إن ذلك هدف ملقح، ويتعين عليك أن تكون الآن أكثر تحديداً».

ويتصل «جيرسون» بعدد من أقطاب الإدارة يستطلع رأيهم فيما يقترحون تضمينه في خطاب الرئيس، ويوجه «جيرسون» لتجميع استفسارات محددة، يظن أنها ستساعد على صياغة النص الأكثر ملاءمة للظروف والانعقاد في التأثير على الرأي العام - وضمن استفساراته: «ما هو الهدف الأمريكي الآن؟ - من هو العدو؟ - هي الآلة المتوافرة لدينا عن مسؤوليته فيما جرى اليوم».

وتجىء إجابات الجميع وفيهم نائب الرئيس «ريتشارد تشيني»، ووزير الخارجية «كولين باول»، ووزير الدفاع «دونالد راسفيلد» - متضاربة.

وترى «كونداليزا رايس» (مستشارة الرئيس لادن بالأمس) - «ودوارد» (وقال عنها): «إنها أحست مثل تائه في الضباب» لكنها «استراحت» - إلى أنه لابد أن يكون تنظيم القاعدة هو المذنب - وأن يكون «بين لادن» هو المسئول - ولا فمن فقلها؟

على أن هواجس «كونداليزا رايس» ما



أحس بعض أعضاء مجلس الأمن القومي أن وكالة المخابرات المركزية تقصد بطريقتة غير مباشرة أن تلقى مسؤولية التصدير على مكتب التحقيقات الفيدرالي، وأن تضع على حسابه فشلاً في التصدي على أساس معلومات وفرتها له المخابرات، ويد أن «جورج تنيت» يحاول إبعاد «خازوق» لغيره



صورة ١٥

عاد الرئيس «جورج بوش» إلى مكتبه في السادسة والنصف من مساء يوم ١١ سبتمبر، وقرر أن يوجه خطاباً إلى الأميركيين، ودعا هيئة خُطاب خطبه إلى المكتب البيضاوي يبيت معهم ما يمكن أن يقول «لأمة في حالة فزع»، وكانت هيئة كتاب خطب الرئيس قد تحسّبت للطلب واستعدت بشعور جاهز، أشرفت على تحضيره «كارين هيوز» كبيرة مستشاري العلاقات العامة، وكبار مصياغته النهائيين «مايكل جيرسون» (الكاتب الأول بين مجموعة كتاب «الرئيس»).

وراج «بوش» يستمع إلى النص المقترح لخطابه، ووصل «مايكل جيرسون» أثناء فراه مشروع الخطاب إلى عبارة تقول «إن ذلك الذي حدث لم يكن مجرد هجوم إرهابي بل كان إعلان حرب على الولايات المتحدة»، وتوقف «بوش» وسأل: «لماذا نقول ذلك الآن؟»، وورد «كارين هيوز»: «هذا كلام جاء على لسانك أنت في أول تعليق نُقل عنك من فلوريدا»، ورد «بوش» بقوله «شعوري أن مهمتنا الآن هي طمأنئة الناس وليس تخويفهم أكثر»، ثم التفت إلى «مايكل جيرسون» يقول له: «ثم دارت مناقشة استقر فيها الرأي على أن يكون الخطاب قويا - متوازنا - يطمئن وفي نفس الوقت يؤكد حزم الرئيس على العمل ضد الإرهاب والإرهابيين، وضد كل هؤلاء الذين يقدمون لهم المساعدة والمأوى، ضد التعصب لأنه سوف يسود ضربات عقابية للجميع: الإرهابيين - ومناصريهم - وأعدائهم - والذين يتعاطفون معهم ولو بمجرد الإيواء».

وقالت كونداليزا رايس - مستشارة الرئيس للامن القومي - «إننا نلحق باسـتـمـار أن الكلمات الأولى التي يقولها الرئيس بعد حدث من هذا الحجم هي التي تصنع أول الانطباعات وأعلى المؤثرات، وإنه إذا كان الرئيس ينوي «إعلانها حرباً شاملة ضد

لأن» وراء الهجوم على نيويورك صباح اليوم، فلقد وجدنا من بحث قائمة الركاب على شركة الطيران الأمريكية للرحلة رقم ٧٧ (التي ضربت مبنى البنتاجون) - أن أحد الركاب هو «خالد المدحار»، وذلك رجل تابعا نشطة قبل سنة في ماليزيا، وقد تمكن «معمل في خدمة الوكالة» من تحديد موقعه في تنظيم الوكاـلة، وفتحها قائـمة F.B.I. تضم هذا الرجل على قائمة المكونين من دخول الولايات المتحدة، لكن المخابرات المركزية فوجئت عندما وجدت اسم «المدحار» ضمن ركاب الرحلة ٧٧، ومعنى ذلك أنه تمكن من التسلل إلى الولايات المتحدة.

كرر «تنتيت» على الشبكة الإلكترونية المشفرة «اعتقاداً بأن القاعدة في التنظيم الوحيد الذي يملك الوسائل لتخفيذ عمل إرهابي على هذا النحو الدقيق المخير (Spectacular)». واصل «جورج تنتيت» «أن الوكالة تمكنت من تعقب مكالمات تليفونية بين بعض أنصار «بين لادن» - يمشون فيها أنفسهم على هذا «التوفيق العظيم» - ويقوم خبراء الوكالة الآن بترجمة هذه المكالمات وغيرها إلى اللغة الإنجليزية. لعلمهم يستنتجون منها معلومات عن مهاجمات أخرى قد تكون جاهزة «للالفجار»!

وأحس بعض أعضاء مجلس الأمن القومي على الشبكة الإلكترونية «أن وكالة المخابرات المركزية تعقد بطريقة غير مباشرة أن تلقى مسؤولية التصدير على «مكتب التحقيقات الفيدرالي»، وأن تضع على حسابه فشله في التصرف على أساس معلومات وفرتها له المخابرات، وبدا أن «جورج تنتيت» يحاول إعداد «خازوق» لغيره، وهذا اكتفى الرئيس «بوش» بأن يقول لنجورج تنتيت:

«حاول أن تفتح فمك حتى لا تفلتك خمسة، تصمت على كل شيء وأى إنسان داخل الولايات المتحدة وخارجها». وقال «تنتيت» إنه سيعمل، ثم عاد يحاول تشييت «خازوق» لكتبت التحقيقات الفيدرالية، وقاطعه الرئيس «بوش» قائلاً: «إنه مفضل لاستيعاب حتى هذه اللحظة أن يتصور جري اختراق لمن أهم المطارات في الولايات المتحدة»!

أفلتت من عوائق التخلف والحصان، وراحت تركز على بيتا قوة تجعل منها - فيما لا يزيد على ربع القرن - دولة عقلية «عدوانية» على الشاطئ الآخر من المحيط الهادئ.

وتأملت الملاحظة الوحيدة التي أديها «جورج بوش» بعد سماعه لكل ما عرّضه عليه رئيس المخابرات المركزية: إنه يتوقع في وقت مبكر من رئاسته أن يتلقى تقريراً من الوكالة عن مفاوضات لكسر خطر «بين لادن»، وكان «جيمس بافيت» (مدير العمليات) هو الذي رد: «نستطيع أن نوصي بدءاً من هذه اللحظة بدعم التحالف الشمالي لزعماء قبائل أفغانستان، لأن هؤلاء هم القوة المضادة لنظام طالبان - سند تنظيم القاعدة، وحامي «بين لادن» - بما يوفره للجميع من أسباب للطمأنينة وحرية العمل.

وقال «بوش» - «إنه يوافق على التوصية»، وينتظر أن يتلقى مشروع تفويض للوكالة، وسوف يوقع عليه لحظة أن يجده على مكتبه في البيت الأبيض عندما يتسلم مسؤوليته!



صورة ١٥

في الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وبعد أن استمع الرئيس الأمريكي بعض أعضائه في أعقاب الصدمة الأولى للأخبار التي وصلت عما جرى في نيويورك - دعا إلى عقد اجتماع لمجلس الأمن القومي على الشبكة الإلكترونية للرئاسة، وكان «بوش» ساعداً في قيادة القوات الجوية بولاية «نبراسكا»، ولم يكن قرر بعد موعد عودته إلى العاصمة، فقد أراد أن يكسب وقتاً، وتمت الترتيبات اللازمة بسرعة، وكان أول المتحدثين في هذه الجلسة الإلكترونية هو «جورج تنتيت» مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الذي ظهر جالسا على مكتبه في واشنطن - قائلاً:

«سيدة الرئيس، نستطيع أن نقول في شبه يقين (near certainty) أن «بين

وساعده التي أخفها مستشارة لشئون الأمن القومي» - «كونداليزا رايس».

وعلى الناحية المقابلة جلس مدير وكالة المخابرات المركزية - «جورج تنتيت» الذي اصطحب معه رجلاً واحداً من ساعديه هو «جيمس بافيت» نائب رئيس المخابرات لشئون العمليات.

وبدأ ساعتين ونصف الساعة استمع «جورج بوش» (ومرالحاه) إلى عرض مفصل عن «الأصدقاء والأعداء» - و«الطبيين والأشترار» - و«الغفرس والأخطار» - مما ينتظر الإدارة الجديدة. وركز «جورج تنتيت» و«جيمس بافيت» فيما عرضا على ثلاثة أعداء رئيسيين:

● العدو الأول هو الإرهاب والطليعة في جهته العالية هي تنظيم القاعدة الذي يقول «ساعة ما بين لادن»، وهو رجل خطير يعتبر نفسه في حالة «جهاد إسلامي» ضد الولايات المتحدة، إلى درجة تدعو لتعقب مصالحها ومطاردة مؤيديها في أي مكان وفي أي وقت، وذلك يجعل تنظيم القاعدة «خطراً دائماً وخطراً عابداً»، والصعوبة في شأنه «أننا لا نستطيع أن نعرف بالضبط متى؟ وأين؟ يختار ضرباته»،

لأن هذا التنظيم كيان يصعب الإمساك به (Elusive)، ثم تعرض «تنتيت» «أن الرئيس الحالي «بيل كلينتون» وافق على خمسة أوامر عمليات محددة (Memorandum of Notification) تفوض المخابرات المركزية في تنفيذ ضربات هدفها تدمير تنظيم القاعدة وتصفية «بين لادن»، والغرض «إرباك» نشاط الإرهابيين وإجهاض عملياتهم»، وأنه يستأن في تجديد هذه التفويضات بسلطة الرئيس المنتخب فور أدائه للمقام الدستوري.

● العدو الثاني هو الانتشار غير المسبوق لسلحة الدوم (والنuclear) (الكيميائية والبيولوجية والنووية)، واحتمال وصول على هذه الأسلحة إلى دول «مارقة»، أو جماعات «متعصبة» تستغلها دون إرباك لطبيعة القوة التدميرية لهذه الأسلحة، أو بإدراك لا تعنيه العواطف لما كانت هذه الأسلحة تساعد على ردع الآخرين أو الانتقام منهم!

● العدو الثالث هو الصين التي





الإرهاب، فعليه أن يقولها الآن - لأن هذه فرصتك لإعلانها بحسم». ويبدأ «بوش» مترددا لا يقطع جراى، وراحت المسخنة النهائية المجدلة لخطاب الرئيس تتكامل، وعرف أحد مستشاريه وهو «مارن بارنيت» أن رئيسه حذف عبارة «أن الهجوم على نيويورك إعلان حرب على الولايات المتحدة»، وتوجه إلى المكتب البيضاوى يحاول إقناع «بوش» بإعادة الجملة إلى نص خطاب، ورد عليه الرئيس بضيق «لننى طلبت حذفها»، وأضاف «ولا أريد اقتراحات بتعديلات أخرى على نص الخطاب، لأنى فى هذه اللحظة أجهز نفسى لإلقائه».



صورة؟

يوم ١٢ سبتمبر (اليوم التالي للصدمة الكبرى)، دعى مجلس الأمن الهامسى لاجتماع خاص فى البيت الأبيض (اجتماع بشر من لحم ودم وليس ترددات نيزديات الإلكترونية مشفرة). وكان «جورج تيت» أول المكلفين بعرض الموقف، والى «تيت» بالسلطة على القاعدة، وبعدها على حكومة طالبان التى تؤيدها، وبعدها على المخابرات العسكرية الباكستانية التى دعمت حركة طالبان، ومكث لها، واعتبرتها المؤتمنة على الجهاد الإسلامى فى أفغانستان (ضد الاتحاد السوفيتى السابق)، وصاحبة دولة الحاكم فى ذلك البلد، وعلق «بوش» قائلا: «الحملة ضد الإرهاب فرصة عظيمة لإقناع روسيا والصين بالانضمام إلينا».

ثم التفت الرئيس إلى وزير الدفاع «دونالد رامسفيلد» - (وقد أخطره بالإسأل الكره فى طريقها إلى ملعب القوت المسلحة) - يسأله عما توصل إليه، وكان «رامسفيلد» قد أعاد ورقة أمامه كتب عليها مجموعة أسئلة يريد طرحها، والحصول على إجابات عنها تكون توجيهها واضحا للقوات المسلحة.

«إذنا كنا سنوجه ضرباتنا ضد القاعدة، فنحن نريد أن نعرف:

١- ما هى الأيلة المتوافرة لدينا على مسؤولية هذا التنظيم عما جرى بالإسأل؟
٢- ما هى الإصاف التى يمكن أن توجه إليها ضرباتنا للرئيس للتنظيم؟
٣- ما هو التوقيت المقترح لبدائية ضرباتنا؟

وتوقف «رامسفيلد» لحظة ثم استكمل: «أريد أن أكون واضحا:
١- ليست لدينا خطط طوارئ جاهزة للتعامل عسكريا مع تنظيم القاعدة.
٢- ليست لدينا قوات معبأة للعمل فى مناطق تواجد هذا التنظيم فى أفغانستان، إذ أربنا نوجبه ضربات جوية متواصلة فى أفغانستان، فنحن نحتاج فى الإعداد والتحصين والنقل وتشوين الأجهزة إلى يوم ستن يوم».

وتدخل وزير الخارجية «كولين باول» يبدى دهشة من أن وزير الدفاع يطرح أسئلة كان واجبه تقديم إجابات عنها.

ورد «رامسفيلد» بأنه لاحظ فى سير المناقشات أن بعض زملائه «لا يرضونون أن ينتظر ستن يوما قبل أن تضرب»، بل وسمع أحد مستشارى الرئيس يقول: «إنه لا يمكن تصور الانتظار حتى يوم ١١ نوفمبر حتى ترد الولايات المتحدة على حدث وقع يوم ١١ سبتمبر»، وهو يريد أن يعرف الجميع أن توجيه ضربة عسكرية تختلف عن الإزلاء بتصرحات مرسة على وسائل الإعلام، وأضاف «إن الأسئلة التى طرحها حقيقية وهى ليست أسئلتة الوحيدة، وإنما لديه بعد ما ذكر قادمة طويلة».

ففيها السؤل عن- «أية حدود سوف نلتزم بها فى هذه الضربة؟»
وفيها السؤل عن- «من هم حلفائنا فى توجيه هذه الضربة؟»
وفيها السؤل عن- «هل هناك حلفاء لنا يساعدون القاعدة؟ وإذا كان فهل نوجه إليهم ضرباتنا أيضا؟»
ثم قال «رامسفيلد» بلهجة درامية: «إن القوات تحتاج إلى توجيهات محددة».

وقال «تشينى»- «إنه يفهم أن أفغانستان على بعد سبعة آلاف ميل من أمريكا، وأن عدد سكانها ٢٦ مليون نسمة، أى أنها فى حجم تكساس (وعل «تشينى»

أراد بهذه المقارنة أن يقر الصورة على «بوش»)- «فأنا سنفعل بالضبط».

وتدخل «بوش» ليقول «كها تمت فإننا كنا نتابع «بين لادن» حتى خرجوه من السودان فى مايو سنة ١٩٩٨- هذا عرفته مما قرأته، بعد ذلك ذهب «بين لادن» إلى أفغانستان وهناك أحتضنته حكومة طالبان - أبلغوا طالبان أننا نقضنا أيدينا منهم - طالبان والقاعدة هما نفس الشيء».

وتدخل «رامسفيلد» - «يرد الجميل لجاو» - فيقول: «نحن نقترب أكثر من تحديد هدفنا، ولكني أظن أننا نحتاج قبل أن نتحدث عن العمل العسكرى - إلى الحديث أيضا عن الدور الذى يمكن أن تقوم به القوة الأمريكية فى مجالات غير عسكرية، وفى التمهيد لهذا العمل العسكرى حين يجىء وقته، فهناك ضرورات لعملية إعداد سياسى وقانونى وبلوغ ماسى ومالى ومخابراتى، وكل ذلك لازم قبل أن تبدأ الضربات، لهذا قلت أننا نحتاج إلى ستن يوما ليس فقط للعمل العسكرى، ولكن لإعداداته وتجهيزاته غير العسكرية».

وتدخل «جورج تيت» مدير المخابرات المركزية يقول «إن قيادة القاعدة موجودة فى أفغانستان، ولكن نشاطها عالمى، وهى موجودة فى كل القارات، ونحن لدينا لقائمة بسنين بلدا رصدا فيها تحركات للقاعدة».

ورد «بوش» يقول «لناخذهم بعدا بعد الآخر - لأننا لا نستطيع التصرف معهم جميعا فى نفس الوقت».

وعاد «رامسفيلد» يقول «المسألة ليست فقط «بين لادن»، ولكن هناك دولا كثيرة تتعاون - أو تتهاون - مع الإرهاب».

وختم «بوش» المناقشة على هذا الموضوع بقوله «علينا أن نرغمهم أولا على الاختيار، إما نحن وإما للقاعدة، إما معنا وإما معهم، إما حلفاء وأمريكا وإما حلفاء للإرهاب».



صورة؟

عندما انتهت اجتماعات مجلس الأمن القومى توجهه الرئيس إلى مكتبه - لحلفت

به مستشارته للامن القومى - تعرض عليه بعض هواهيسا:

عادت تقول له إنها «تسهر من حولها بضباب، وهى تجاهد للتخلص عنه حتى تستطيع المساعدة فى تقدير ما يمكن عمله فى اليوم التالي، وهى مهيئة لقبول أن المسئولية تقع بالفعل على تنظيم القاعدة، ولكن هناك أسئلة سوف تطرح نفسها على الناس، سوف يتساءل الناس - إذا كان تنظيم القاعدة هو المسئول، فما الذى كانت الولايات المتحدة تعرفه عنه - وعن نوابها - وإمكاناته؟ - وماذا عرفت بالتحديد؟ - ومتى عرفت؟ - وإذا لم تقصروا؟».

وأحد «جورج بوش» أنه مرهق، وفقر الصعود إلى الجناح الخاص، حيث ينتظره قريبته «لورا»، وأرى الإنسان فعلا إلى الفراش، لكنه فى الساعة الحادية عشرة وثمانى دقائق قام الحرس الخاص للرئيس بإيقافه من النوم، طالبين منه ومن قريبته التوجه قورا - «يعاين اليوم - إلى مخبأ البيت الأبيض، وهرج الإشتان وراء أحد ضباط الحرس إلى هناك، ونسيت «لورا» (قريبة الرئيس) أن تأخذ عذاساتها اللاصقة التى تستعملها لتعويض قصور بصرها، لكن «جورج بوش» لم يمس أن يأخذ معه كلبيه، وفى الممر الطويل المؤدى إلى المخبأ تحت الأرض، تقابل «بوش» مع رئيس أركان البيت الأبيض «كارد»، ومع مستشارته للامن القومى «كوندوليزا رايس»، ومعها مساعداه «ستيفن هارنى» وكان الثلاثة مجهولة لى المخبأ، لأن البوليس السرى تصرف معهم كما فعل مع الرئيس وقريبته، باعتبار أن هناك حالة إنداز بطائرة مجهولة متجهة نحو واشنطن، والشوف أن يكون هدفها هو البيت الأبيض بعد أن جرى الإعلان عن عودة الرئيس إليه.

وبعد عشر دقائق جاء البوليس السرى يقول أن الطائرة المجهولة باتت هويتها، وتأكد أنها طائرة عادية، لكن الاحتياط كان واجبا، ومع أن الإنداز بالخطر لم يعد ساريا، فلا يزال من المستحسن أن يقضى الرئيس وقريبته ليلتهما فى المخبأ، ونظر «بوش» إلى السرى الصغير المخذ لومه فى الخبا، وقرر أنه سوف يعود إلى غرفة نومه فى الجناح الرئيسى - وليكن ما

ختم «بوش» مناقشته مع مجلس الأمن

القومى بقوله: «علينا أن نرغمهم أولا على

الاختيار، إما حلفاء وإما القاعدة، إما معنا

وإما ضدها، إما حلفاء وأمريكا وإما حلفاء للإرهاب»



يكون». وقررت «كونداليزا رايس» أنها في هذه الساعة المخاضة من الليل لا تستطيع الصورة إلى شخصها في عمارات «ووترجيت»، ولهذا صوف تقضي ليبتها في المخاض».



صورة ١

في الساعة السابعة صباحا يوم ١٢ سبتمبر، وصل «جورج نيتي» مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى البيت الأبيض ومع التقرير اليومي للوكالة، لكنه في ذلك اليوم كان تقرير من نوع خاص. كان الرئيس في مكتبه يستعد مع مستشارته للامن القومي، وبدا في حديثه معها انه يريد إثارة المسؤولية عن إرثه (ويضعها على سلفة «بيل كلينتون») قائلا: «إنه يعتقد أن إدارة «كلينتون» ردت على تحدي الإرهاب بتهاون شديد، لم تتعامل «بوش» «ما مصلحي أن يرد «كلينتون» على نفس السفارات الأمريكية في أفريقيا بإطلاق دفعة صواريخ موجهة إلى أفغانستان؟ - أو رد هذا؟ - وما الذي يمكن أن نعمل هذه الضربات؟ حريق في خيمة؟ - هدم بيت من الطين بصاروخ من طراز «كروز»؟ - هذه نقطة؟ ضيف «بوش» «لايد أن شخصرف بقوة، وألازت صورة أمريكا».

وعندما بخل «نتي» إلى المكتب البيضاوي، توقف «بوش» عن إبداء سخرية على سلفة ليسمع مدير مخابراته، وراح «نتي» يتحدث ويقدم للرئيس قوائم بأسماء مسلمين-كيبار في القاعدة سيساعدون «بين لادن»، من «ايسن-الوهمري»، إلى «ابو زبيدة» -إلى آخرين. ولم يكن «بوش» على استعداد أن يدخل في مجال هذا العالم الغامض للإرهابيين، وأحس «نتي» أن رئيسه يتعجل التخلص من تأهليه التفاصيل وكذلك قال: «لدينا خطة لتكليف نشاطنا حتى نتعكن من توجيه ضربات قاتلة للإرهابيين، لكن هذه الخطة تحتاج إلى اعتمادات مالية طائلة تصل إلى ألف مليون دولار، ورد «بوش» بسرعة «سوف اعطيك كل ما هو لازم لمهنت».

واوضح له «نتي» أن مهمته مهما نجت- محصورة في معرفة أكثر ما يمكن معرفته عن الإرهابيين، ثم اختراق تنظيياتهم، والحق الضرب بهم إلى أقصى حد، لكن الشربة القاضية القاتلة لابد أن يوصف بالعمل العسكري، وهذه مهمة القوات المسلحة».



صورة ٢

بعد انتهاء اجتماع مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض (يوم ١٢ سبتمبر، عاد الرئيس «بوش» إلى مكتبه، ومشت بجواره «كارين هيوز» مستشارته للشئون العامة، التي كان يريد أن يتحدث معها عن لغة «الخطاب العام للإدارة» في الأيام القادمة، وعندما استقر وراء مكتبه قال لها: «إنه يريد عقد اجتماعات يومية لتشكيل وتوجيه الرسالة التي تريد توجيهها إلى الشعب الأمريكي عن الحرب ضد الإرهاب»؛ - وبإدارة تسلمه ورقة تحتوي على ملاحظات يصحح له إبدالها أثناء اجتماع طرير له مع قيادات القوات المسلحة سوف يحضره في البيتاجون بعد ظهر هذا اليوم، ووضع «بوش» الورقة على مكتبه، وعاد يوجه الحديث إلى «كارين هيوز» قائلا:

«دعينا ألا نتفق على الصورة الأوسع، نحن أمام عدو ليست له ملامح (Faceless)، وهذه الإدارة نحن على الولايات المتحدة - إن نحن في حرب».

ثم يستطرد: «إننا في حاجة إلى خطة - إلى استراتيجية - إلى رؤية، ولابد لنا أن نُكَلِّم الشعب الأمريكي كيف يستعد لهجوم آخر؟» - الشعب الأمريكي يحتاج أن يفهم أن الحرب ضد الإرهاب هي المحور الرئيسي لجهد الإدارة والحكومة من الآن فصاعدا، وردت «كارين هيوز» بأنها سوف تذهب إلى مكتبه التحضير بعض النقط عن هذه «الرسالة»، وكتابتها على ورق، ثم تعود بها إلى الرئيس. وتوجهت «كارين» بالفعل إلى مكتبها في الدور الثاني، وفتحت جهاز الكمبيوتر واستعدت للكتابة، لكن الرئيس طلبها إلى العودة فوراً، وحين

دخلت إلى المكتب البيضاوي يامرها بقوله: «دعيني التزم الآن لك كيف يجب أن تُؤدَّى عملك». ثم ناولها ورقين من أوراق مكتبه عليها بخط يده «مجموعة أفكار» (ذلك وصف الورقين)، وراحت «كارين» تقرأ: «هذا عدو يضرب ويخطف، ولكنه لن يستطيع الاختباء منا إلى الأبد. هذا عدو يتصور أنه في مكان آمن، لكنه لن يظل آمناً إلى النهاية. هذا عدو لم نعدو على مواجهته، لكن أمريكا سوف تناقش على الحرب معه». وأضاف «بوش»: «والآن عودي إلى مكتبك لتجهزي نفسك».



صورة ٣

في اجتماع ثالث لمجلس الأمن القومي (خلال يومين)، استمع الرئيس «بوش» (إلى تقارير عدد من مساعديه، لكن الاجتماع بعد نصف الساعة، ولكن الرئيس استغنى ستة منهم لجلسة محدودة. وفي بداية هذه الجلسة المحدودة توجه «بوش» بنظرة إلى «كونلين باول» الذي رد على النظرة بـ «جواب - قاطلاً» - إن وزارة الخارجية بدأت فعلاً في نقل رسالة الرئيس إلى حكومة باكستان ونظام طالبان - «إما أن تكونوا معنا - أو انكم ضناً».

وقال «بوش»: «إنني أريد إعداد قائمة بما نريده من طالبان، أن يكلفهم أن يسلموا لنا «بين لادن» - نحن نريد كل تنظيم القاعدة، إما أن يسلموه لنا مباشرة، وإما أن يطردهم من عندهم، ونحن نلوم بالقبض عليهم فور خروجهم». وتدخل «رامسفيلد» بقوله: «من المهم بالنسبة لنا أن نحدد أهدافنا الآن، فمن الضروري أن نتوافق في علنا مع شركائنا في التحالف ضد الإرهاب، والذي وفَّع أعضاءه اتفاقاً متفلاً لمواجهة خطر»، ثم زاد «رامسفيلد»، «كل شركائنا في التحالف سوف يطلبون منا معلومات محددة وتوصيات مقبولة، ومزلت السج على أن هناك إجابات مطلوبة على أسئلة مطروحة مثل: هل حريتنا ضد «بين لادن» - والقاعدة فقط - أم هي ضد الإرهاب بالمعنى الأوسع؟».

وكان «كولي باول» هو الذي استبق الرئيس برد قال فيه: «الهدف حرب ضد الإرهاب بالمعنى الأوسع - وبالدابة ذلك التنظيم الذي قام بالعمل المباشر الذي تعرضت له الولايات المتحدة أول أمس». وتدخل «نتي» نائب الرئيس ليقول: «الهدف حرب ضد الإرهاب بالمعنى الأوسع، أي الإرهابيين الذين يتناصرونهم - لكن عليك أن تلاحظ أنه سوف يكون من الأسهل علينا العثور على مناصري الإرهاب أكثر من العثور على الإرهابيين أنفسهم». ورد «بوش»: «لدينا العثور على «بين لادن»، فلكم ما يتوقعه الشعب الأمريكي، وإذا نجحنا فإننا نكسب قد وجهنا ضربة قوية إلى الإرهاب بالمعنى الأوسع، نحن أمام «سرطان» - ولابد من استئصال الورم، وإذا بدأنا الحرب على الإرهاب بالمعنى الأوسع فلن يكون في مقدور الرجل العادي في أمريكا أن يتفهم ذلك».

ولتقت «بوش» إلى «رامسفيلد» يسأله: «هل نوصلمستم إلى تحديد ما نستطيع عمله عسكرياً في أسرع ما يمكن؟»

ورد «رامسفيلد»: «لم نجد غير قليل جداً، ما يمكن أن نُؤدَّى». ثم روى وزير الدفاع أنه بالأمس استدعى الجنرال «تومي فرانكس» (قائد القوات المركزية الذي قاد الحرب على العراق حتى الآن) - وسأله عن استعداده للعمل ضد تنظيم القاعدة وضد طالبان إذا أصبح ذلك ضرورياً، ورد «فرانكس»: «إن الرئيس لديه فكرة استعاج إلى عدة شهور لبدء خطة عمليات واسعة في أفغانستان، وعندها قاطعه وزير الدفاع بقوله «لديك فرصة أيام أو أسابيع على الأكثر - ليست لديك فرصة شهراً» - وهنا بدا الضيق على قائد القيادة المركزية وقال: «إننا تحتاج إلى قواعد عمل منها، وإلى حشد يكفي لمهمة التي نطمح فيها، وإلى خطوط مواصلات مأمونة نتحرك عليها وإلى أشياء كثيرة، لأن أفغانستان في منتصف الحركة الأرضية على الناحية الأخرى من العالم، مع العلم أن القاعدة تنظيم حرب عصابات، وأعضاؤه مختفون في الجبال، وهم يستعملون البغال في جر المدافع والعربات، ومعسكراتهم - بما في ذلك معسكرات التدريب - خالية ليس فيها شيء».





صورة

في الساعة الرابعة من مساء يوم ١٠ سبتمبر - عندما يجلس الأمن القومي إلى اجتماع آخر، ويبدأ بإلقاء صلاة فتح بها الدلالات (كما أخذ يفعل أخيراً) - وكان وزير الدفاع «رامسفيلد» هو الذي بدأ الكلام قائلًا:

«مازلت صميرًا على سؤال لم ألتق جواباً عنه - هل حربنا ضد القاعدة؟ أم هي ضد الإرهاب بعمومها؟»

ورد «يوش» قائلًا: «شعوري أن الولايات المتحدة يجب أن تبدأ بين الآن ولا لأنه إذا جرى ضرب تنفيذ القاعدة، فإن البقية تدعاهم تلقائيًا».

وعاد «رامسفيلد» إلى الكلام: «إننا لا نستطيع أن نلجم تحالفًا دوليًا ونحتفظ به على مجرد ضرب القاعدة، لأن ضرب القاعدة هدف محدود ويمكن أن يتلاشى سريعًا، وعندها يتفكك التحالف ضد الإرهاب بوجه أم لا هي مهمته».

وتدخل أدبي الرئيس «تشييني» في الحوار قائلًا:

«إنني أريد أن أركز أكثر على قضية الدول التي ترضى الإرهاب، وأريد أن ألفت النظر إلى أن التركيز على «دول لها كيانات واضحة، أسهل من التركيز على جماعات ليست لها ملامح» - الدول التي ترضى الإرهاب «متجسدة»، الجماعات الإرهابية مجرد «أشياء» - وأظن أننا سوف نتجنى أكثر في العمل ضد «جسد»، ولا نتجنى بالقدر الكافي ضد «شيء».

وكان «يوش» هو الذي رد على نائبه

قائلًا:

«إنني متخوف من تشييت عملنا، لأن أننا أريد أن تكون محددين أكثر حتى نحافظ بتأييد الرأي العام، الناس هموا أن القاعدة هي التي سببت لنا كل هذه الآلام في الأيام الأخيرة، وهم يتخبطون منا أن ضرب في هذا الاتجاه قبل أن نتحول إلى نصير» - هذا التركيز على القاعدة ليس مهمًا لأصقلافتنا في التحالف».

وعاد «تشييني» يجادل:

«إن تأييد العالم لنا مهم، لكنه لا يصح أن يبعد ألبانيا عن التصرف، من حقنا أن نتصرف بمفردها، اللهم اله التي يجب أن

«إن العدو كان يحلم بأن يقابلنا هنا في هذا البيت، كان يريد أن يجيء» إلى هنا ليجول البيت الأبيض إلى انقراض. أريد للكونجرس أن يعرف أن تلك لم تكن حادثة منعزلة، وأن أريد أن نتحول أنظاركم عن هذه المسألة، بعد شهر من الآن سوف ينهمك الشعب الأمريكي في متابعة مباريات كرة القدم لكأس العالم، لكن إدارتي سوف تكون منهكة في إدارة حرب لا آخر لها.

إن العدو ليس جماعة محددة، ولكن عقلية معينة، هذه العقلية تكره المسيحية وتكره اليهودية، وتكره كل شيء يختلف عنها، وعلى بقية الأمم أن تختار».

وفوجئ بعض زعماء الكونجرس بلهجة الرئيس، وارتفع صوت زعيم الأغلبية - الأسبق في مجلس الشيوخ السيناتور «توماس راسسل» - موجها كلامه للرئيس - قائلًا: «أرجو أن تكون أكثر تحفظًا فيما تقول - وإننا نحت توريد تأييدنا، فإننا نطلب منك الاعتدال ومراعاة واقع كلفنا على أصدقاء الولايات المتحدة».

ثم تدخل السيناتور «ووبرت بيرد» (زعيم الحزب الديمقراطي في فرجينيا وعمره ٨٣ سنة) ليطلب من «يوش» أن يهذي روعه قائلا له: «إنني تعاملت مع عشرة رؤساء للولايات المتحدة، ولكل فهدت ما قلته لنا أنت لا توريد ما قرأنا بشأن الحرب، وإننا توريد منا تخصيصا لك باستعمال القوة، أي أنك تطلب منا ما سبق للرئيس «جونسون» أن طليه في فيتنام سنة ١٩٦٤ (فيما سمي بقرار «خليج توكين»، وكانت تلك كذبة كبيرة طلب فيها «جونسون» تفويضًا من الكونجرس بالرء على عدوان، ولم يكن هناك بالفعل عدوان).

استطرد السيناتور «بيرد» الجوز ليول ليوش: «إن تحصل من الكونجرس هذه المرة على قرار مماثل لقرار توكين، الكونجرس أن يسمح لك بهذا، وأمريكا ما زال لها دستور يحكمها».

وأخرج «بيرد» من جيبه نسخة من الدستور:

وتوتر جو الاجتماع!

وأضاف «رامسفيلد»: «إنني قلت لقائد القيادة المركزية، إننا تريد أفكارًا خلاقة، شيء ما بين إطلاق صواريخ «كروز» وبين حرب واسعة».

وتدخل «يوش» في مجرى الحديث ليقول: «إن «توني بلجر» (رئيس وزراء بريطانيا) اتصل بي على التليفون صباح اليوم الباكر يقول لي «إن العالم ينتظر منا عملاً قويا، وليس مجرد إجراءات لتهدئة مشاعر الرأي العام الأمريكي، ونحصله يجس أفضل».

واستطرد «يوش» (في الغالب بتأخير رئيس أركان البيت الأبيض وربما لتفنيه): «إن الجنائزون أريد من دفعه دفعا لكي يفكر جديا في كيفية التعامل مع حرب عصابات بأسلحة تقليدية - لدينا مشكلة وهي أن العسكريين عندما مضت عليهم فترة طويلة وهم يجاربون معاركهم في بعد».

وواصل «يوش» كلامه: «لأبد أن تنصرف بسرعة قبل أن يتغير المناخ العالي، خصوصا في أوروبا لأننا أريد أن نأخذهم معنا إلى حيث نذهب، ولا يجب أن نعطهم الانطباع بإننا تنصرف وحدنا».

ثم أضاف «إن العالم الخارجي ما زال ينظر إلى على أنني «رجل متهور» من تكساس، هم يظنون ذلك - ليس صحيحا؟ - لا يعرفون أنني رجل مختلف عما يظنون».

وكان الرئيس «يوش» على وشك أن يستقبل زعماء الكونجرس، لكنه قبل مجيئهم إلى البيت الأبيض اتصل بنفسه بكل من الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين»، وبرؤساء فرنسا وألمانيا وكندا والصين، ثم ترك مهمة الاتصال ببقية الحلفاء إلى وزير الخارجية، قائلا له: «إنني أريد أن يمشي الجميع معنا، لكنني على استعداد للعشي وحدي إلى آخر الشوط إلى انقضى الأمر».

ثم خرج الرئيس إلى الصحفيين يقول لهم: «سوف يكون هذا صراعا هائلا بين الخير والشر - لكن الخير سوف ينتصر».



صورة

التي «يوش» في الساعة الحادية عشرة ونصف زعماء الكونجرس، وبدأ كلامه معهم بقوله:

تحدد التحالف، وليس التحالف هو الذي يحدد المهام».

وفجأة قال «رامسفيلد»:

«اليس من الضروري أن نضرب العراق أيضا وليس الضغوط؟ - العراق يمكن أن يكون هدفا متجسدا أمامنا، وقابلا للضرب على أساس أنه من رعاة الإرهاب - «صدام حسين» ليس شبيحا وإننا هو بلدا».

أشار «رامسفيلد» إلى معاونين له يجلسون وراءه في اجتماع مجلس الأمن القومي (وأيهم نائبه «بول ولويلويتز» ورئيس لجنة التخطيط الاستراتيجي «ريتشارد بيرل»)، واستطرد: «كنا في اجتماع اليناجون ولم يكن هناك حول المائدة من لا يعتقد في صميم قلبه أن «صدام حسين» خطر شديد لأنه مصمم على حيازة أسلحة دمار شامل يمكن أن تصل إلى يد الجماعات الإرهابية».

«ضرب العراق يمكن أن يبدأ بسرعة، والخطوط لدينا جاهزة».

وتدخل «كولين باول»:

«ضرب العراق الآن ليس مناسبة، والأسبب هو التركيز على «القاعدة»، والرأي العام الأمريكي مشغول هذه اللحظة ضد القاعدة، وتحويله إلى الاقتناع بعمل ضد العراق، سوف يكون صعبا، والإدارة تحتاج إلى تأييد الشعب الأمريكي، والشعب الأمريكي يريد ما عملا ضد القاعدة».

وجاء الدور على الرئيس الذي قال: «موضوع العراق يحتاج إلى وقت، الآن نريد خطة عمل لتدمير تخليصات الإرهابيين، وأريد على الفور قائمة بأسماء هؤلاء البلطجية، وأريد خطة لتعقبهم، إنني أأخذ أن كثيرين يعودون بأفكارهم إلى حيازة حرب الخليج السابقة، ويقارنون بين الحالتين «المارقة ليست الآن صحيحة» والشعب الأمريكي ينتظر منا ضربة كبيرة، ولأبد أن اتقدمه بأننا بلدنا الحرب ضد الإرهاب، وأن القاعدة هي الخطوة الأولى، إنني أطلب عملا سريعا ضد الإرهاب، وقد بدأت أشعر بالاحتباط».

وقال «كولين باول»:

«إن هناك فرصا كبيرة للحرب ضد الإرهاب - ضد القاعدة وحتى طالبان، بطريقة تختلف عن ذلك التي شنها السوفييت» ■

روى وزير الخارجية «كولين باول» لـ «يوب وودوارد»

أن الرئيس يريد أن يقتل أحدا، وأنه رأى أمامه رجلا استيقظت لديه كل غرائز القتل من إحساسه بصدمة ما جرى في نيويورك ومن تعرقه للانتقام لها مهما كان الثمن



الدول لجهودها أمر حيوي، زيادة على ذلك فإن استهداف العراق الآن كفيل بأن يوقف مسيرة عملية السلام في الشرق الأوسط، ونحن نرى أن استمرارها ضروريا قبل البدء في ضرب العراق..

[يلتقط «بوب وودوارد» سياق روايته لوفائع الاجتماع ليقول: «إن «كولين» باول» كان قد سبق له أن تحدث مع الجنرال «شيلتون» في اليوم السابق، وبلغت نظره إلى أن هناك مجموعة من المستشارين (أولهم «وولفوليتز» و«بيرل»، «يرونها فرصة سانحة لضرب العراق، حتى إذا لم تكن هناك أسباب تتعلق بالحملة ضد الإرهاب، وأنه قال للجنرال «شيلتون» لقاء هذا الحديث إن هذه المجموعة أصبحت فائتة في تصرفاتها، ومن الضروري إعادتها بسرعة إلى الصف وإبقائها فيه، لأن تحديد الأولويات بحزم أزم الضرورات للسياسة الأمريكية الآن، ورد عليه الجنرال «شيلتون»: «إنه متفق بالكامل مع ما يقوله».]

وتساءل الرئيس «بوش» موجها كلامه إلى الجنرال «شيلتون» قائلا: «ما هي الإمكانيات الموجودة لدينا لضرب «بين لادن» وحكومة طالبان إذا لم يقوموا بتسليمه لنا؟» ورد الجنرال «شيلتون»: «إنه يخشى أن تدبيراته هي هذا الميدان سوف تكون «مشائمة»، بمعنى أنه ليست لدينا (البنجاحون) خطط جاهزة للعمل في أفغانستان، كل ما لدينا هو ضربات موجهة بصواريخ كروز، وهذه عملية لن نُحدث إلا حفرا على سفوح الجبال وليس أكثر..» وتدخل وزير الدفاع «رامسفيلد» قائلا:

«إن القوات المسلحة الأمريكية تحتاج إلى مراجعة لخماسه إزاء ظروف متغيرة، وكان يمكن لها أن تكون أقدر على الاستجابة، إذا كان التوجيه إليها استهداف الدول التي تتنافس «بين لادن» لأنها هناك تستطيع أن تجد عدوا متجسدا

توجه له ضربياتها، عدو حقيقي يملك أهدافا يمكن ضربها، وعدوا لا يظهر حين يشاء ويختفي حين يشاء، فإننا نجعلنا بلوجيه ضرباتنا إليها ونخفي حين نلظاره بالقلب..

وأحس الرئيس «بوش» (كما قال لبوب وودوارد) «أنه ربما ظلم وزارة الحرب الأمريكية لأنه لم يترك لها فرصة كافية للتفكير والتخطيط في ظروف متغيرة»، وهكذا وجه كلامه للجنرال «شيلتون» قائلا:

«أريد من هيئة الأركان المشتركة أن تعرف أننا أمام عالم جديد، وعلى الجنرال «شيلتون» أن يعود -الآن- إلى هيئة أركان حرب بيورس معها الاحتمالات والمكائن المطلوبة لضبط أمور هذا العالم الجديد، إنني أريد خطة كاملة، وأريد توصيات محددة، وأريد أن تكون لدى فكرة عن الزمن الذي لابد أن ندفعه، أريد خيارات واسعة، أريد قرارات عاجلة تواجه أحدا لا طارئة، أريد شيئا مؤثرا، شيئا راميا يلفت الأنظار ويشده..»

طوال الشهر القليل بعد سبتمبر ٢٠٠١، يتابع «بوب وودوارد» في كتابه تطورات الحرب على «بين لادن» -وعلى حكومة طالبان- وعلى اتساع أفغانستان من خلال اجتماعات «بوش» مع مستشاريه، سواء في المكتب الأبيض أو للرئيس، أو في قاعة اجتماعات مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض.

ثم يستفيض في الحديث عن الطيران الأمريكي وقواعد الصواريخ الخائبة أو المتحررة في البحر الأبيض والبحر الأحمر والخليج العربي، وكيف راحت تصب تيراتها على جبال أفغانستان، ويتابع مندوبي اخبار المركزية سلسمون حقايق الدولارات بلايين لزعماء القبائل والطوائف - لكن الفاتح - لا تزال غير كافية، لأن «أسامة بن لادن» وأعدوانه اختفوا في الظلال ولم يظهر لهم أثر، وانفكت دولة طالبان، وتحضرت قوات التحالف الشمالي الذي يشرع عليه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تحاول إقامة حكومة جديدة في أفغانستان، وتجرى اتصالات بملك أفغانستان

١ - الحملة في أفغانستان يمكن أن تنتهي - دون أن يحقق الرئيس «بوش» ذلك العمل الدرامي الذي يأمل فيه..

٢ - وإذا مضت الأمور على هذا النحو «الفاتح»، فمن المشكوك فيه أن يستطيع الرئيس «بوش» أن يقود حربته في انتخابات التجديد النصفي (نوفمبر ٢٠٠٢) إلى انتصار ضد الديمقراطيين، وقد يلفظ الحزب الجمهوري أغلبيته الضئيلة (وهو صوت واحد) في مجلس الشيوخ.

٣ - وإذا حدث ذلك فإن ترشيح الحزب لبوش لمدة رئاسة ثانية (سنة ٢٠٠٤) قد يتأثر، كما أن فوزه أمام مرشح ديمقراطي (مثل جورج «أو «هيلاري كلينتون» أو أي حسان أسود يظهر فجأة ليتقدم صفوف الحزب الآخر) - قد يصبح موضع شك، خصوصا ما جرى في الانتخابات الرئاسية السابقة يصعب تكراره لاحقا.

وعليه فإن القضية لم تعد الإرهاب، ولا «بين لادن»، ولا أفغانستان، وإنما هي مستقبل الرئيس وسجل إدارته.

وهكذا ينتقل مركز الشك في القرار الأمريكي إلى هيئة مستشاري البيت الأبيض، وفيها ثلاثة رجال وامرأة: الرجال هم: «اندرو كار» (رئيس أركان البيت الأبيض) - و«كارل روفي» (كبير مستشاريه للشؤون السياسية الداخلية) - و«آري فليشر» (المختص الصحفي باسمه)، والمرأة هي السيدة «كارين هيوز» المسؤولة عن العلاقات العامة (بما فيها المكتب الخاص الملك بإعداد خطط الرئيس)..



صورة

مع بداية الفصل الخامس عشر من كتابه (صفحة ٢٠٥)، يوصل «بوب وودوارد» في روايته إلى حيث يقول:



تحدث الجنرال «مايرز» رئيس الأركان قائلا: «لم تجد القوات الأمريكية في طول أفغانستان وعرضها غير تسعة أهداف تستحق الضرب، وتم ضربها فعلا، ولم يعد باقي شيء، لدرجة أن الضربات توجه إلى ما سبق ضربه وسلاح الدمار يتصب الآن على ما تم بالفعل تدويره



خامساً:

عندما حلت بفداده محل كابول!

■ ■ ■ «يجي» للدور الآن على صورة أخيرة هي الضام الحقيقي لما كتبه «بوب» وودوارد، من أنها ليست واردة في كتابه «بوش في حرب»، وإنما جاء بها كتاب آخر غيره وهو كتاب «الرجل المناسب» The Right Man، وذلك مرجع مهم لأن صاحبه وهو «دافيد فروم»، كان واحداً من فريق «كارين هيوز» (مستشارة العلاقات العامة للرئيس ومسئولة المكتب الخاص المكلف بكتابة خطبه)،

كان «دافيد فروم» محرراً مرموقاً في جريدة «دول ستريت جورنال» -تميز بقرته على صياغة الأفكار المبهمة في عبارات مبسطة، ولذلك فإن «كارين هيوز» يشهرون من مساهماتها «مايك جيرسون» -طليته للعمل في البيت الأبيض - حتى نستفيد من مواهبه في كتابة خطاب الرئيس «جورج بوش».

وهنا تظهر الصورة الأخيرة -وهي خطيرة- تستحق أن تتوقف سرعة عرض الكتاب عندما -ابتداءً من صفحة ٢٢٤ من كتاب «دافيد فروم» عن «الرجل المناسب» (وهو يقصد «جورج بوش»)-

ويبدأ الفصل الثاني عشر (صفحة ٢٢٤) على النحو التالي:

في أواخر ديسمبر سنة ٢٠٠١، اتصل بي (في مكتبي بالبيت الأبيض) كبير كتاب خطاب الرئيس وهو «مايك جيرسون» (المساعد الرئيسي لكارين هيوز) قائلاً لي: «عندى اليوم مهمة تتعلق بخطاب الرئيس السنوي عن «حالة الاتحاد» (يلقبها «أواخر شهر يناير ٢٠٠٢») -فيل

لم تعد هناك أهداف نظرية، لم تكن في أفغانستان من الأصل أهداف تستحق الضرب بها».

وسأله «كارل روفي»: «إذن فكيف نواصل الحرب»؟

ورد عليه «رامسفيلد» بسؤال: «قل لي كيف يمكن أن نكسب حرباً لا نستطيع فيها أن نركز على عو؟»

وأبدي «روفي» موافقه من العواقب السياسية لهذا الفتح في وتيرة حرب لم تعد لها أهداف تركز عليها، ورد عليه «رامسفيلد» بقوله:

«نسمع لا يريدون أن يأخذوا أية مخاطر.. لا تفعل شيئاً ولن يفلح أحد، تحرك لتفعل شيئاً وسوف يصبون عليك الأخطاء، وأنا شخصياً مستعد لإحتمال التبعات، لكن المهم أن نتحرك».

واستمر «رامسفيلد»:

«هناك نقطة سوف يهتم علينا عندها أن نقوم بشيء ما في مكان آخر من العالم، مكان آخر غير أفغانستان، ذلك ما قلته وكبرته، ومازلت أقوله وأكرره، لكن هناك من لا يريدون أن يسمعوا، لابد أن نوجه ضرباتنا بعد الآن إلى الدول الراحعة للإرهاب، الدول الإرهابية.. العراق أولاً -«صدام حسين»- ليس له صديق في العالم يدافع عنه حتى في روسيا وفي الصين، وهو رجل يصعب على أحد أن يقول كلمة طيبة في حقه».

ثم يزيد:

ليس لدينا -على أي حال - نص في قائمة هذه الدول: هناك إيران، سوريا، السودان، ليبيا، وبالمطبع كوريا الشمالية.

وتعتقد في البيت الأبيض اجتماعات ومناقشات ويبحث عن خيارات تبدو ممكنة أو حتى مستحيلة، وحلت لحظة ثلاثت فيها الضرورات الانتخابية للرئيس، مع الرغبات الملحة للجنح الإمبراطوري في الإدارة -«ريتشارد تشيني»-، «دونالد رامسفيلد»، «ريتشارد بيرل»، «جول وولغويترز» وغيرهم..)

لكن كتاب «بوب وودوارد» -بلغ نهايته، والقرار ملقى في الهواء! ■

نلرف أسابيع قليلة هبوط ضروري -صغير أو كبير-، ذلك يتوقف على الظروف كما حدث في تجربة «جورج بوش» (الأب)، والآن (الجمعة ٥ أكتوبر) قرر «كارل روفي» أن يذهب إلى مقابلة الرئيس (الابن) قبل أن تنتقل الهيلوكوبتر إلى «كام دافيد» لعطلة نهاية الأسبوع، وقصده أن يخبره مبكراً إلى الاجتماعات، وبالفعل فقد لحق به في مكتبه يقول له: «إنه في وقت حرب الخليج (الكويت) سنة ١٩٩١، وصلت شعبية والده إلى ٨٢٪، لكنها في ظرف ثلاثين أسبوعاً تراجعت إلى نسبة ٥٩٪، ثم ظلت تتراجع حتى خسرت معركة الانتخابات وفاز «بيل كلينتون»».

وحاول «بوش» (الابن) أن يتظاهر بعدم الاهتمام، فقال لرئيس أركان البيت الأبيض:

«لا تنصيح وقتي يمثل هذه الأرقام لإنها مزاجية، وأنا أعطيها بمناية وضع اصبع على النبض لقياس سرعته في أوقات يتغير فيها الشعور العام في ظرف ساعات قليلة».

لكن «روفي» كان يعرف عن اهتمامات رئيسه بأكبر مما يدعي به الآن، فهو من تجربته يرى «بوش» يصرف وقتاً طويلاً كل يوم في متابعة قياسات الرأي العام، ويحصى أرقامها ولاية بعد ولاية!



صورة

وانتظر «كارل روفي» عدة أسابيع ثم قرر على مسؤوليته أن يحاول استطلاع الحقائق بشأن ما يجري، ومع أنه يتابع أخبار الضرب الذي بدأ في أفغانستان، فإنه يشعر على نحو ما أن الأمور ليست على الطريق الصحيح -من وجهة نظر انتخابية على الأقل وذلك ما بهمه- وكذلك ذهب بنفسه إلى مقابلة وزير الدفاع «دونالد رامسفيلد» يسأله عن سر هذا الفتح في إيقاع الحوادث، ورد عليه «رامسفيلد»:

«لأن الأهداف في أفغانستان انتهت،

صباح يوم الأحد ٧ أكتوبر، كان «كارل روفي» (كبير مستشاري الرئيس للشؤون الداخلية) في بيته شمال غرب واشنطن، لقد انقضت أسابيع منذ وقعت هجمات ١١ سبتمبر، ولم تكن تلك بالنسبة لهذا الرجل فترة سعيدة، لقد عرف «جورج بوش» (الأب) أنشأ عمله السابق مع والده -وأصبح مستشاره الانتخابي عندما طرح ترشيح «بوب» للرئاسة جدياً، ولم يكن «روفي» قد حضر أبداً من اجتماعات رئيسه مع كبار أعضاء إدارته من الوزراء، ولا شارك في اجتماعات مجلس الأمن القومي، وسبب استيعابه أن الرئيس «بوش» وثانيه «تشيني» توافقاً على أنه ليس من المستحسن مشاركة مسؤول عن السياسة الداخلية في اجتماعات إدارة الأزمات الدولية أو مجلس الأمن القومي المخصصة للحرب ضد الإرهاب، لأن ذلك خلط بين «الخارجي والداخلي»، ففكك هي القليل، ومخالفاتها الآن قد تعطي إشارات خاطئة.

وكان «روفي» يتفهم ذلك، لكنه يوماً بعد يوم أخذ يلتفت ويبدأ القناعة بأن القرارات السياسية المهمة أوشكت أن تتداخل مع الاعتبارات المباشرة والحيوية التي تخص مستقبل «بوش» وإدارته، وكان ذلك التدخل يلح عليه بصرف النظر عن حرب أو لا حرب، واعتقاده الراسخ الآن أن الحكم على «بوش» في فترة رئاسته الأولى وفرصته الرئاسية الثانية -سوف يتأثر سلباً وإيجاباً بما جرى يوم ١١ سبتمبر وبما يجري بعده.

كان «روفي» يعتبر نفسه «مهندس» نجاح «بوش» في انتخابات الرئاسة سنة ٢٠٠٠. وكان قد دعا يوم الجمعة ٥ أكتوبر إلى اجتماع في مكتبه، لاحظ فيه المجتمعون أن شعبية «بوش» قد وصلت إلى الذروة، ولما كانت نسبة ٩٠٪ (وفق استطلاعات وكالة A.B.C. وجريدة واشنطن بوست كاله)

وقد علق «روفي» على هذه الأرقام بقوله:

«إن هذه النسبة مزعجة بمقدار ما هي مريحة، والسبب أن دراسة التجارب السابقة تشير إلى أن ارتفاع شعبية أي رئيس إلى هذا الحد سوف يتبعها في





يستطيع أن يجد فيها مجالاً لاتهام الإدارة بأنها تسعى للثأر الشخصي (Omerta) على طريقة عصابات المافيا.



يستطرد «دافيد فروم» (صفحة ٢٣٢)

فقال: «هنا بعض الأحيان يكون الفضل أسلوب للبحث عن مدخل لخطاب سياسي، هو التفتيش أولاً عما يحتمل أن يقوله

الآخر: فكأن ثامناً ثامناً: الأول: أنه لم تلجئ لصدام حسين صلة بجوانب ١١ سبتمبر ٢٠٠١، فلماذا تخافه؟

والثانية: أن «صدام حسين» ديكتاتور طاغية، لكن «ستالين» كان كذلك أيضاً، ونحن لم نحاربه، وإنما اكتفينا باحتواء الاتحاد السوفيتي، فلماذا نشهر على «صدام حسين» حرياً لم نلق بها ضد «ستالين»، إلا إذا اعترفنا أن قوة الاتحاد السوفيتي ردمتنا، في حين أن ضعف العراق يفرينا؟»

يستطرد «فروم»: «كنت أعرف أننا نريد تغيير النظام في العراق، لكن قلني أن الرأي العام سوف يتسامح - هل نظام «صدام حسين» وحده هو الذي يستحق التغيير؟ وإذا كنا سنغير

القديم لصدام حسين، لآله لا مجال لحسابه الآن عنه بعد السقوط الطويل عليه، ثم إنه (الرئيس) لا يستطيع أن يتحدث عن التاريخ القريب (والأبد ذلك نقداً للإدارات السابقة التي سكنت على ما فعلت ولم تحاسبه)، ونحن لا نريد أن نوجه لوماً إلى إدارة سبقت لآلتنا في شأن الحرب فنفضل سياسة نعلو على أي خلافات حزبية، لآلتنا في قرار الحرب نريد وفاء بين الحزبين.

وإن فائلاً لا يستطيع استعمال هذه الحجة.

انتقلت إلى التفكير في ذريعة أخرى: لقد قرأت كثيراً عبارة أن «صدام حسين» استخدم الأسلحة الكيماوية ضد الأكراد في العراق، أي ضد شعبه، لكنني لو استعملت هذه الذريعة في الخطاب فإن أعضاء الكونجرس والأفراد الشعب قد يتساءلون «وأي كفا منذ حدث ذلك، وهو سؤال وجيه لكنه مرة أخرى سوف يلقي اللوم على الذين سكتوا عن هذا العمل الشنيع، خصوصاً أن «دوش» (الآب) كان في البيت الأبيض حينها نائباً للرئيس «ريجان»، وإن فإن الذريعة الثانية لا تصلح لتأسيس خطاب عن ضرورة الحرب مع العراق.

وصلت في التفكير إلى تهمة محاولة اغتيال «دوش» (الآب) أثناء زيارته للكويت سنة ١٩٩٣، لكنني عدلت عن هذه الذريعة مرة ثانية، لأن أي كات من الدرجة الثالثة

لا يستطيع الاعتماد عليك في صياغة فقرة أو فقرات تفتي لشرح الأسباب التي تدعونا إلى تصديق العراق (Going after Iraq).

يواسل «فروم» روايته فيقول: «كان واضحاً لي أن طلب «جيرسون» مني هو كتابة الفتوى التي تثير حريا على العراق وتوضع في سياق خطاب الرئيس عن «حالة الاتحاد» (آخر يناير ٢٠٠٢).

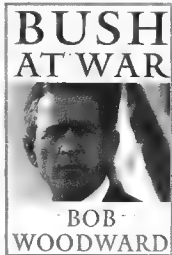
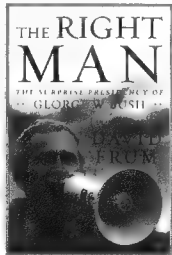
يستطرد «فروم»:

«فهمت مقصد «مايكل جيرسون»، وسألته هل يستطيع أن يعطيني مهلة إلى ما بعد العيد أقدم بعدها إليه بمشروع صيغة يمكن قبولها؟ ورد علي «مايكل جيرسون» - بقوله: «شأنك غريب، أنت تحتاج إلى يومين كاملين لكي تتوصل إلى صيغة يفتح بها الرئيس هذا الملف».

فهمت وأدركت على الفور أن قرار الحرب ضد العراق قد اتخذ، وإن صياغة أكثر الفقرات حساسية وخطورة فيه قد أولكت إلي، وكنت أعرف أن هناك مجموعة من خمسة خبراء في مكتب العلاقات العامة يمكنون على كتابة مشروع الخطاب، كل واحد منا يكتب جزءاً، كما يسلم كل منا ما توصل إليه إلى «مايكل جيرسون» الذي يعيد «تحريره» لتوحيد الأسلوب، ثم يعطيه لكارين هيوز (مسئولة العلاقات العامة)، تراجعها وتضيف إليه لمساتها، بحيث يصبح جاهزاً للعرض على الرئيس ومستشاريه السياسيين.

(وفي المعادة فإن كتاب خطاب الرئيس لديهم ما هو كاف من التوجيهات والمعلومات والتفاريق ومحاضر الجلسات، بحيث يكتب كل واحد منهم ما هو مكلف به وتحت يده مادة تكتفية) سوف أشرح «فروم» طبيعة هذا العمل الذي يقوم به حتى وصل إلى صفحة ٢٣١، لكي يركز على تشاؤله لمسألة العراق، وكيف فكر في مقاربتها بصياغة فقرة - أو فقرات - عنها في خطاب الرئيس «جورج بوش» عن «حالة الاتحاد» أمام الجلسة السنوية المشتركة لمجلس الكونجرس - فيقول:

«سأت نفسي من أين أبدأ: من السهل جداً تبرير حرب على «صدام حسين» لأنه أسوأ من يمكن أن نلقاه على طول المسافة من الجزائر إلى كابول، لكن المشكلة في هذه النقطة أن رئيس الولايات المتحدة لا يصح له أن يتحدث عن التاريخ



عندما أذيع خطاب الرئيس عن «حالة الاتحاد»، كان العنوان الذي قدم له على شاشات التلفزيون وعلى الصفحات الأولى لكل وسائل الإعلام الدولي هو: «محور الشر»

المنطقة كلها، إن فنحن نتحمل تبعه لم تتحمله الإمبراطوريات التي حكمت المنطقة من الرومان إلى آل عثمان».

يعود «فروم» إلى طرح أفكاره بينما هو منشغل بإعداد ما يخصه في خطاب الرئيس:

«إن الرئيس يحتاج - باعتباره الرئيس - أن يقول شيئاً واضحاً يربط «صدام حسين» بمستقبل استقرار السلام في العالم، بحيث يظهر أن المطلوب هو تصفية الخطر على هذا المستقبل وليس مجرد ردعه».

توصلت من هنا إلى فكرة رئيسية مؤداها «أن ضرب «صدام حسين» جزء من مواجهة المخاطر التي تهدد سلام العالم، لأنه أول الخطر».

يواسل «فروم»: «توصلت من هنا إلى صياغة حول ما فكرت فيه وعرضتها على «مايكل جيرسون» وعلى «كارين هيوز»، وقد جلسنا لمناقشة الصياغات النهائية لأجزاء الخطاب في مكتب «كونداليزا رايس» (مستشارة الأمن القومي للرئيس)، وكان عليها أن تراجع نصه الأخير قبل أن ندخل به إلى المكتب البيضاوي.

وقد أعجبت «كونداليزا رايس» بالصيغة التي اقترحتها، ورأت أنها تنسج الآخرين بينهم إيران، وأضافت «نحن نريد إيران كذلك».

يستطرد «فروم»: «وبدأت مناقشة بدا فيها أن أول بلدان في طابور الشر: العراق وإيران، بلديين إسلاميان، وذلك يمكن أن يولد حساسيات لا نريدها في العالم الإسلامي، واقترح «جيرسون» أهمية إضافة دولة ثالثة غير إسلامية، وقالت «كوندي»: «كوريا الشمالية»، وعلى فائلاً: «إن فإن الثلاثة معا أصبحوا محورياً للشر، ولاداعي لأن نقول من الآن أن الشر طابور طويل» - وهكذا جرت ولادة تعبير «محور الشر»، وقد أسعدني أن الرئيس «بوش» قرأ الفقرة المتعلقة بالعراق في خطابه كما كتبناها نهائياً - لم يغير فيها حرفاً!

وعندما أذيع خطاب الرئيس عن «حالة الاتحاد»، كان العنوان الذي قدم له على شاشات التلفزيون وعلى الصفحات الأولى لكل وسائل الإعلام الدولي هو: «محور الشر».



كتاب الزاوية



قوانين حقوق الإنسان

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، حدث تقدم ملحوظ نحو تبنى الاتفاقيات والمعاهدات الخاصة بحقوق الإنسان الدولية منها والإقليمية والانضمام إليها، بالإضافة إلى إنشاء آليات التنفيذ. وجاء رسوخ ثقافة احترام حقوق الإنسان في كافة أرجاء العالم نتاجاً للتطور التاريخي الذي شهده العالم ولتأثير القيم النابعة من الأديان.

ويقول الدكتور شريف بسيوني أستاذ القانون ورئيس المعهد الدولي لقانون حقوق الإنسان في جامعة دى بول بشيكاغو في مقدمة كتاب «الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان...» المجلد الأول، دار الشروق ٢٠٠٣: إن الفضل في تطور القانون الدولي لحقوق الإنسان وآلياته وتطبيقه ووسائل تنفيذه عبر العالم يرجع إلى المنظمات غير الحكومية وبعض الحكومات المعنية بحقوق الإنسان والأمم المتحدة وكذلك المنظمات الإقليمية.

ورغم الانتهاكات الكثيرة والمتعددة للقوانين الخاصة باحترام حقوق الإنسان إلا أن السنوات القليلة الماضية شهدت اهتماماً شعبياً عالمياً بأهمية تطبيق هذه القوانين وانعقاد مؤتمرات عديدة تطالب الحكومات باحترامها والقوى المتحاربة بالالتزام بقوانين حقوق الإنسان الخاصة بالحروب.

وقد رأت مجلة «الكتب... وجهات نظر» أن تنشر بعض نصوص من الوثائق والإعلانات والاتفاقيات الخاصة باحترام حقوق الإنسان مشاركة منها في تشجيع الاهتمام الشعبي بهذه الحقوق التي لم تعد بائ حالي من الأحوال أشياء كمالية بل جزءاً لا يتجزأ من حياة الإنسان وكرامته.



حكايته مع عقل الرئيس (يقصد كارل روفي)، ومع صوت الرئيس (يقصد كتاب خطبه)».

[وهكذا فإن اثنين من الصحفيين في واشنطن سجلنا على الورق ما رآيا وسعنا.

■ «جيب وودوارد» الذي عرض خلفيات ولحاح وشريط صور تحكي وتستقيض.

■ «دافيد فروم» الذي قدم مشهد الختام في لعبة الإقنعة، حين جرى استبدال صورة الشيخ «أسامة بن لادن» (الفل) الشيخ القادي على الإخفاء في (الظلال) - بصورة الرئيس «صدام حسين» (الجسد الذي يمكن أن يطال ويضرب حتى يتحول إلى أشلاء وسط انقراض).

[لم تكن في حسابات البيت الأبيض تلك اللحظة أسلحة دمار شامل يملكها النظام في العراق ويراد نزعها منه، ولم يكن في الحسابات بيكتاتورية تخنق شعب العراق ويؤاد كسر قبضتها عن رقيقته، ولم تكن هناك ديمقراطية وحرية غابت عن أرض العراق فجأة ويراد لها أن تشرق مع الربيع الجديد، ولم تكن هناك صلات بتنظيم القاعدة وخلافاً للإرهابية المنتشرة فوق سطح الكرة الأرضية ويراد تصفيتا ضمن الحملة العالمية على الإرهاب.

كل ذلك لم يكن في الحساب، ولا كان مما يمكن أو يصح انتظاره، لأنه مخالف لطبائع وحفائظ الأشياء، والواقع والصحيح أنه كانت هناك أحوال إنسانية، وصراعات سياسية، ومطالب (إمبراطورية، وضرورات بتروية، ولوازم انتخابية، وكله يتداخل ويختلط في وعاء طبع القرار الأمريكي، وكل طبق يحتاج إلى محسنات للطعم وفسات جمال على الشكل تفرس الذوق وتفتح الشهية، وغندما تجيء لحظة إضافة المغريات من نوع «نزع أسلحة الدمار» و«إيجاد الديكتاتورية» وضمان حقوق الإنسان، و«استقبال الديمقراطية»].



[كذلك حكى «دافيد فروم» في كتاب «الرجل المناسب» وجاءت حكايته واضحة لا تقبل التباساً أو شكاً].



وهنا يثور سؤال: «ما الذي يدعو أحد كتاب خطاب رئيس الولايات المتحدة إلى رواية هذه التفاصيل عن دخائل عمله؟»

والسبب يساوي وفقة أخيرة يتطرق إليها «فروم»، ويروي وقائعها على النحو التالي: «لقد حدث أن خطاب الرئيس عن «محور الشر» لقي استحساناً واسعاً لدى الرأي العام في الولايات المتحدة، وأصبحت عبارة «محور الشر» حديث الناس في كل محفل، وكانت زوجة «دافيد فروم» سعيدة، وكذلك فإنها كتبت لأما رسالة إلكترونية تصل فيها «إن زوجة «دافيد» هو الذي صاغ هذا التعبير في خطاب الرئيس، وهو سعيد جداً بهذه الدرجة العالية من القبول العام».

وتسرب الخبر إلى صحلي معروف «روبرت نوافك»، فأشار إليه لي بند لا يزيد على ثلاثة سطور ضمن عمود يكتبه، وظهرت الواشنطن بوست في الصباح، وعند الظهر كان «دافيد فروم» يتلقى دعوة عاجلة من رئيسه «مايكل جيبسون» (كبير كتاب خطاب الرئيس)، الذي أبلغه بلهجة مقتضية وملاصع عابسة: «أولاً - إن الرئيس لا يريد «تدريسيات» تلقي للصحف عما يجري في البيت الأبيض لأن تلك كانت «المصيبة» في رئاسة والده. وثانياً - فإنه ليس من حق كتاب خطاب الرئيس (ولا زوجاتهم) أن يتحدثوا عن أسرار عملهم، مهما كانت نواياهم إلى ذلك، وعليه ولسوء الحظ «يا عزيزنا دافيد» فإن هذا اليوم هو آخر أيامك في البيت الأبيض».

وخرج «دافيد فروم» من البيت الأبيض عائداً إلى عمله الأصلي في جريدة «وول ستريت جورنال»، ونذكر أنه بالدرجة الأولى صحلي محترف، وقرآن لا يكتب



مساعدي ديك تشيني وزير الدفاع في حينه، وثيقة تسمى «دليل تخطيط الدفاع في البنتاجون» Pentagon Defense Planning Guide دعت إلى «إنهاء مهمة» تلك الحرب وإسقاط النظام العراقي. وقد أكدت هذه الوثيقة الأطروحة الأساسية للتغيير في السياسة العالمية الأمريكية: الحفاظ بكل ثمن على وحدانية القوة الأمريكية بحيث لا تتجاوز قوتها دولة أو ائتلافاً من دول. ولم تشهر هذه الأطروحة في حينه لأن الواقع ذاته تجاوزها وأكدت دون الحاجة إلى أي تأمل. أي أن الاقتصاد الأمريكي تجاوز حجماً ونجاعة كافة الاقتصاديات الأخرى وبلغ المصروف العسكري الأمريكي عملياً ما يتجاوز المصروف العسكري للمعشرين دولة التي تليها في حجم الإنفاق العسكري مجتمعة. نون أن يشكل ذلك عبئاً على الدخل القومي. كما تجاوز التطور العلمي الأمريكي في مجالات الحاسوب وتقنيات العدسات والاتصالات والصواريخ أية إمكانات منافسة من خارج الولايات المتحدة. وتنفق الولايات المتحدة على الأبحاث وحدها في مجال الأسلحة أكثر من مجمل الإنفاق العسكري لبريطانيا وألمانيا سوياً. وهذا

■ قدمت الوثيقة موضوع هذه القراءة المطولة يوم ٨ يوليو ١٩٩٦ إلى رئيس حكومة إسرائيل بنيامين نتانياهو في أعقاب انتخابه لرئاسة الحكومة الإسرائيلية وهزيمة شمعون بيرس بعد مقتل رايبين. واكتسبت هذه الوثيقة أهمية إعلامية بالترجي على إبان الإعداد للعدوان على العراق حين أكدت ضرورة أن تدعم إسرائيل الحرب على العراق، أولاً كضمان أمريكي، أي في إطار السياسة الداخلية الأمريكية، وثانياً: كخيار استراتيجي إسرائيلي يكتسب أهمية قارئة بذاتها بالنسبة لإسرائيل، مما جعل الحرب تبدو كأنها حرب بالأصالة عن أمريكا وبالنيابة عن إسرائيل. وقد اكتسبت أهمية بالترجي لأنه حين كتابتها بدت الوثيقة خارجة عن السياق التاريخي. في ظل سياسة إدارة كلينتون الخارجية. ولكن رغم ما يبدو ويظهر للوهلة الأولى من محدودية أهمية أو فاعلية الوثيقة سياسياً، إلا أن الوثيقة تصلح للقراءة كنموذج لتحول حقيقي جارٍ في اليمين الأمريكي. كما أنها صورت وجسدت تطالباً بالمغامير مع اليمين الإسرائيلي المتطرف. كما عكست تحولاً حقيقياً في اليمين

أمن إسرائيل

وحده كاف لقطع الطريق على المنافسة النووية مستقبلاً. وبلغ حجم الانقراض الأمريكي ضعف الياباني، كما بالإمكان تدريج اقتصاد كاليفورنيا وحدها خامساً على الصعيد العالمي قبل فرنسا وبعد بريطانيا.

ولكن جورج بوش عالم إلى تأكيد مبدأ وحدانية والتفرد في المكان الأول نصاً وحرافاً في خطابه الشهير في قاعدة ويست بوينت في يونيو من ٢٠٠٢ ليس فقط تأكيداً لهذا المبدأ وإنما تفصيلاً له في السياسة الخارجية كعناصر للحرب الإمبريالية في الخليج. كما ورد بشكل واضح في النص الرسمي التالي: «سكوت قدرتنا العسكرية قوية إلى درجة تمنع خصومنا المحتملين من بدء قوة عسكرية أو عمل تجاوز قوة الولايات المتحدة أو التساوي معها».

لقد وقع على الوثيقة موضوع قراءته التي تكرر تكرارها في سياق التآمر لشن الحرب على العراق كل من ريتشارد بيرل القادم من عهد إدارة ريجان، والذي أسمته الصحافة الإمبريالية أمير القمام نتيجة لآله المتطرفة، وجيمس كوبرت (الشيخ اليهودي لشؤون الأمن القومي)، شارلوت فاينبركس (جامعة جون هوبكنز) وسوف نرى أن مركز

وكما ذكرت هذه الوثيقة تكثر في نفوسنا تصورات حول خطة مؤامراتية قام بها بضعة أفراد لاختطاف السياسة الخارجية الأمريكية، والحقيقة أن التحول في السياسة الأمريكية في مرحلة القطب الواحد أدى إلى تبنيها تدريجياً، ثم إلى تحقق هيمنة هذه المدرسة السياسية في عهد رئيس ضعيف يطرح ألف سؤال حول شرعية انتخابه ناهيك عن مؤامراته، ويبحث عن معنى ورسالة لرياسته متجاهلاً كونه ابن رئيس سابق.



في الحسام ١٩٩٢ أعد كل من بول ولوفويتز، نائب رئيس وزير الدفاع الأمريكي الحالي، وزيه لويس لجبي،

«النيويورك تايمز» عليه لوجود تعارض بين علاقاته مع الشركات المنتجة للسلاح ووجوده في هذا المنصب شبه الرسمي. وهي علاقة من النوع الذي كان ينبغي أن يدفع تشيني، نائب رئيس الولايات المتحدة، نفسه للاستقالة. وجاءت الاستقالة في بداية الحرب مع تعرض خطة البنتاجون إلى مفاجآت جعلت بعض العرب يتحسم أن يعود على شبر ماء لفسر استقالته كنتيجة لـ «فشل» الخطة. وكان الخطأ الأمريكية المسترفة قد فشلت.

تتبع أهمية الوثيقة من أهمية الأفكار الواردة فيها والتي تعكس أيديولوجية عقائدية متمسكة في السياسة الخارجية ما لبثت أن تحولت عندما سححت الظروف إلى أساس نظري حقيقي يعكس تطابق الرؤية الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

عزيمي بشارة

الإسرائيلي ذاته تم تجاهله في حينه مع انتشار الاعتقاد الخاطيء أن انتصار باراك على نتانياهو في العام ١٩٩٩ كان انتصاراً لليسر.

على كل حال نحن لا نرى أن للوثيقة أهمية قارئة بذاتها ولا نوافق على منح كتابها أهمية شخصية أو قرارات خارجية على التحكم بسياسة الولايات المتحدة الأمريكية عالياً. فابتر كتابها واحد أهم رموز اليمين الأمريكي في الإدارة ورموز المحافظين الجدد عموماً منذ مرحلة ريجان، ريتشارد بيرل، اضطر للاستقالة من منصب رئيس مجلس الدفاع، وهي هيئة مدنية نصف رسمية تعين من قبل وزير الدفاع كهيئة استشارية للبيتانجون. وقد استقال بيرل على إثر حملة

A Clean Break: A New Strategy for Securing the Realm
(بداية جديدة، استراتيجية جديدة لأمن الدولة)
Richard Pearle (Study Group leader)
Jerusalem, Washington D.C.
Institute for Advanced Strategic and Political Studies, July 8, 1996

أكدت وثيقة أعدت لتخفيف الدفاع في البنتاجون الأطروحة الأساسية للتخفيف في السياسة العالمية الأمريكية، الحفاظ بكل ثمن على وحدانية القوة الأمريكية بحيث لا تتجاوز قوتها دولة أو ائتلافا من دول



يعادونها في تلك التي تستخدم للتعبئة ضد انتشار النورث الأمريكي.

تص الورقة بأنه باستطاعة إسرائيل أن: - تمزج التحالف مع تركيا والأردن لاحتواء دم وقلع ما يقب ما يواجهها من تهديدات. وهذا يتطلب الانخراط من تطبيق شعائر السلام الدائم» إلى المفهوم التقليدي للاستراتيجية القائم على توازن القوى، - تخفيض طيبة العلاقة مع الفلسطينيين، بما في ذلك التمسك بحق المطاردة الأسخنة (وتعني ملاحقة منفذ العمليات الفلسطينية) إلى داخل مناطق السلطة الفلسطينية، وتخفيض دلائل لفخية ياسر عرفات على المجتمع الفلسطيني.

- تؤسس قاعدة جديدة للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية تنطلق من الاعتراف على الذات والتعاون الاستراتيجي في مجالات الاهتمام المشترك ودعم القيم الغربية. ويصيح هذا ممكناً إذا اتخذت إسرائيل خطوات لتقليص المعوة الأمريكية المالية لها، هذه المعوة التي تعيق الإصلاح الاقتصادي. ويلتقي معدو التقرير في هذا المطالب مع عناصر متطرفة في اليمين الإسرائيلي تعتبر الدعم الأمريكي المالي

هو من أسس السياسة الأمريكية الجديدة. نص كذا يذكر بأن الأحداث التخريبية التي شهدتها العراق من قبل غوغاء المخذ والقبائل ليست بعيدة عن عرف هؤلاء التأمري.



التمسك

أ- يبدأ النص بهجوم صافٍ وصرح على حزب العمل الإسرائيلي (الذي يهود الحركة الصهيونية منذ خمسة وسبعين عاماً، وذلك لأنه لوصول المجتمع الإسرائيلي سياساته الاقتصادية المعتمدة على قطاع الدولة إلى حالة ازدهار وفلاح (وهي مخالفة بالطبع) وإلى إهلاك المجتمع الإسرائيلي واعتقد على محدودية قدرته على الصمود بدلا من أن يعميها عبر نشر أوامام ملل الشرق الأوسط الجديد، والمتنخل عن أراض، ثم الاستعانة بالولايات المتحدة لتعريضها في المجتمع الإسرائيلي حيث لا تحظى هذه السياسة بشعبية.

الدراسات السياسية والاستراتيجية في هذه الجامعة شأنًا عظيمًا في ملورة اليمين المتطرف في الإدارة الأمريكية دون علاقة مباشرة بالثقل الصهيوني الأمريكي القائم بناته، ودولاس فيث (شركة فيث اند زيل Faith & Zell) وما حاليًا مساعد وزير الدفاع سوية مع زميله وليجوديتز، وريت لودينر (رئيس معهد الدراسات السياسية والاستراتيجية الذي أصدر الورقة، وقرء في واشنطن والقدس)، جوناثان تورب (معهد واشنطن لشؤون الشرق الأدنى) ووجوده تأكيد على تشابك اللوبي الصهيوني القديم، معهد واشنطن والإيمان الصهيوني القديم، المعهد الجديد، دافيد بيرمي (معهد الدراسات السياسية والاستراتيجية) وقد انتقل للعمل في البنتاجون في عهد إدارة بوش الابن، وزوجته ميرال روزين (جامعة جون هوبكنز).

ويضاف مضمون الورقة الذي يشمل دمج الدعوة الصريحة لنش الحرب على العراق ضمن الاستراتيجية الإسرائيلية إلى أسس الموقعين عليها وتبنيهم مناصب مهمة في الإدارة الأمريكية التي شنت الحرب لينتج ظاهرة ملتزمة للاهتمام وحج الاستطلاع. ولكن ما يميها هو أولاً مضمون

لإقامة دولة يهودية والرغبة في القضاء عليها، وذلك بواسطة مبادلة «الأرض مقابل السلام» لا تضمن «السلام الآن». امعاونا على الأرض ادعاء شرعي ونيل. وليس مهما قدمنا من تنازلات. وحده قبول الحرب غير المشروط بقطنا هذا، خاصة ببعده الإقليمي، «السلام مقابل السلام»، يشكل أساساً صلباً للمستقبل.

يقترح المؤلفون بشكل واضح خرق ومراجعة أو إلغا اتفاقيات أوسلو. وتشكل هذه التوصية تعبيراً عن موقف أمريكي راخص لأوسلو أصلاً. مع الفرق أن كلاً من الاتفاقية الأمريكية ومنتجهاو تحدياً مع اتفاقيات أوسلو على أمل أن يؤدي إلى تغيير في الموقف الفلسطيني، أما هنا فقد نابوا في موقفهم الراخص لاتفاقيات أوسلو إلى أن تبنته الإدارة الأمريكية واليمين الإسرائيلي بعد الانتفاضة الثانية. هنا علينا أن نتوقف قليلاً عند الفرق بين هؤلاء وبين اللوبي الإسرائيلي التقليدي الذي عمل قبل أن يسمح نجمهم في سماء العاصمة واشنطن.

استراتيجية أمريكية

لقد قامت AIPAC (The American Committee for Israel Public Affairs) العام ١٩٦٧ مع ازدياد أهمية إسرائيل استراتيجية في المنطقة. وقد ملكت في نشاطها تصور الحكومة الإسرائيلية الفاتحة، أيا كانت، ودافع مصلحتها عن مواقف الحكومة الإسرائيلية وجندوا لها الدعم والتأييد في واشنطن، وفي الكونجرس على وجه التحديد، على شكل لوبي يعمل على إقناع النواب بدعم الموقف الإسرائيلي سياسياً بما في ذلك موضوعات خارجية مثل قضايا حق يعود الاتحاد السوفيتي بالهجرة وغيرها. وقضايا التسلح والدعم المالي لإسرائيل.



أما المرحلة الانتقالية من الناحية النظرية، إلى حد الحاميم، فشكها تأسيس معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، وقد تأسس عام ١٩٨٥، وقد تجاوز في نشاطه الكونجرس على الملء المباشر في التأييد على الإعلام والسلطة التقليدية.

المباشر لإسرائيل علناً أمام استقلال الأخيرة ونموها الاقتصادي السليم في أن.



وتقوم المقاربة الجديدة التي يفرقها المؤلفون إلى موضوع السلام على نصف كامل بدءاً بالأرض مقابل السلام، ويتقرون مباديء أخرى تقوم على اعتراف العرب بحقوقهم مع إلى السلام: السلام من أجل السلام والسلام من خلال القوة ومبدأ توازن القوى.

ويقترح المؤلفون النص التالي لتلخيص الموقف الإسرائيلي الرسمي الجديد من السلام:

«لقد قمنا لدة أربعة أعوام بالسعي إلى سلام قائم على تصور شرق أوسط جديد، نحن في إسرائيل لن نستطيع أن نتكبر دون الإبقاء في عالم غير عربي، نحن نعيش في بيئة جيران خطيرة، مع دول هشة تعيش صراعات مريرة، ويعتمد السلام على طبيعة سلوكنا. وعالما طمس الحدود الأخلاقية بين الجهد المبذول

لقد سبب حزب العمل على حد تعبير معدى الورقة أخلاقاً في قدرة الصمود والاحتمال الوطنية الإسرائيلية، وقد بنى سياسته أيضاً على محدودية قدرة الاحتمال وانعدام ثقة «الامة» بذاتها (يستخدم كاتبو الورقة وهم أمريكيون مصطلح ألبان بدون إضافات أو نعوته والقصد هو الامة اليهودية أو الإسرائيلية، لا نذكر أيهما المصود).

تخلل أن يستحضر السائق من غزارة استخدام المؤلفين لمفاهيم الامة والوطنية وضرورة رفع مغايراتها وثقتها بذاتها كمقدمة لصنع السلام بالضرورة الإسرائيلية. والغريب أنهم يرفضون التدخل الأمريكي في الشؤون الداخلية الإسرائيلية (والمصود هو استعانة راينين بها ضد شامير ملكاً) ولكنهم لا يرحبون فقط، بل يدعون إلى تدخل إسرائيلي في شؤون الولايات المتحدة الداخلية وفي عملية صنع القرار فيها. هؤلاء قوميون بدون شك، واليمين الجديد يؤكد على دور القوة عالمياً في السياسة الخارجية، ولكن يبدو أن قومية هؤلاء هي قومية يهودية مختلطة بولانية مشتركة كرومية وإسرائيلية. والقومية الواحدة التي

الورقة باعتباره مؤشراً على نمط صريح ومعنا إلى درجة الوفاة في التفكير اليميني الجديد. ولذا غربة تحويل هذه السياسة إلى نصائح لإسرائيل في كيفية التدخل في السياسة الأمريكية والتأثير عليها أيضاً. وهذه الدعوة الصريحة لرئيس حكومة بلد أجنبي للتدخل في الشؤون الأمريكية الداخلية للتأثير على عملية صنع القرار فيها لا يميز اليمين التقليدي. ولا يمكن تخيل أن يقوم مفكرو اليمين الأمريكي القديم بخطوة كهذه، فالوطنية الأمريكية تصده عن تقديم نصائح كهذه. الوطنية الأمريكية في حالة هذا اليمين الجديد تشمل إسرائيل، ولا تعامل معها كأجنبي. ومن هذا المنطلق فإن وجود أخطر جاسوس في تاريخ البنتاجون جوناثان بولارد في السجن الأمريكي في هذه المرحلة هو عبارة عن انضمام أمريكي عسكري حتى النص إسرائيل.

يلجأ المرء من صراحة ووضوح النصح إلى درجة التأمير الصريح لمعيت في شؤون الدول الداخلية، وبواسطة تشجيع «القبائل العربية» على غلاء إحقاق حدودها للتخريب كما تبين الحديث عن سوريا في الورقة. وتتجاوز سيادة الدول عند الحاجة

العراق، ولكنه ما زال يشعر على خلاف مع الإدارة في شأن السعودية، وهو يرى أن المملكة العربية السعودية تنشر باسطلح الأيدي فكرياً ديموقراطياً معادياً للغرب يتناقض مع ممارساتها.

ومن يتواجد في مجلس إدارة هذه المؤسسة؟ ولوفوتز، الجيوب كوهين (رئيس)، رامسفيلد، جافني، مونيلي، ابرام، جب بوش.

٤ - مركز السياسات الدفاعية: CSP: Center For Security Policy، ومن مستشاريه اليوت ابرامز المدان بالكدب وبالتهور في قضية إيران من مرحلة ريجان، والذي أعيد تعيينه حالياً كرئيس لقسم الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي.

٥ - المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي: JNSA: Jewish Institute for National Security Affairs، تأسس عام ١٩٧١ لتعزيز الدعم العسكري لإسرائيل لكي لا تجد نفسها في وضع آخر، وحتى بداية فترة حكم بوش الابن جلس في مجلسها الاستشاري كل من: تشيني، جون بولتون، وما زالت على مجلسها أسماء كل من: جيمس وولسي، ريتشارد بيرل، جين كيرباتريك (المندوبة الأمريكية في الأمم المتحدة في عهد رونالد ريجان) أوجين سوتروف، ومايكل ليدين (وسيط أوليفر ثورث إلى إسرائيل في عملية إيران - كوترا).

جميع المؤسسة بين اليمين القديم من مرحلة ريجان واليمين الجديد، وأهم الظاهرين باسمها هو مايكل ليدين صاحب مفهوم الحرب الشاملة ضد الإرهاب، ويمكن تلخيص توجه المؤسسة بأن هناك تطالباً تافهاً بين الأمنيين الجدد واليمينيين الأمريكيين والإسرائيليين أن السبيل لتأمين سلامة وإدهار البدلين يبدأ بتحقيق الهيمنة الكاملة على الشرق الأوسط بأساليب التآمر والتقميع والحرب المباشرة.

٦ - مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، رئيسه برنت سكوكروفت مستشار الأمن القومي السابق، وأعضاء: تشيني، وولسي، كيمستون، شليزجر، رمي في هبنت (من شركة Humt Oil في تكساس).

٧ - المجلس الاستشاري للاستخبارات الخارجية، وفي مجلسه سكوكروفت، جون دويتش (رئيس المخابرات السابق) وهات.

٨ - هنا نورد الحالة اللافتة التي تظهر مدى تشعب أذرع التآمر اليميني الجديد بشكل يوضح الصورة وغلغلق الدائرة. غرفة تجارة الولايات المتحدة - ريجان، وكان مجلسها مؤلف من قائمة معدي الحرب على العراق؛ ولوفوتز، بيرل، تشيني، ارميتاج (مساعد وزير

تأثير مباشر على البنتاجون كما حصل في فترة بوش الابن.



وتذكر من هذه المؤسسات التي شكلت حضانات لنمو اليمين الجديد على هامش المؤسسة ثم داخلها:

١ - مجلس سياسات الدفاع، Defense Policy Board وتذكر على قائمة مجلس إدارته أسماء كل من ريتشارد بيرل، جيس وولسي رئيس مخابرات سابق، فرانك جافني، شليزجر كوهين، هنري كيسنجر، جيس شويتز رئيس مخابرات سابق، هيويت جيجر رئيس البيت الأبيض السابق، وتتألف أعضائهم من مؤلفين سابقين في المؤسسة العسكرية والسياسية يجمعون بين اليمين التقليدي واليمين الجديد.

٢ - مدرسة الدراسات الدولية العليا في جامعة جون هوبكنز، SAIS، وقد أسسها ويل نيتسه Paul Nitze في العام ١٩٤٤ وقد نشط بول نيتسه في قضايا مناصب رفيعة في كافة الإدارات الأمريكية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ كارت. وحسب استطلاع ٨٩ أيلول منصب وزير خسر مرات. وبول نيتسه هو أول اليمين الجديد الروحي، وجميعهم إما تلامذة المختارون بفترة، أو خرجوا من معطفه روحياً، وقد ملأ الرجل الموقف في القالب بالتوازن والردع القائم على أساس خوف الخصم من الضربة الخاتمة المدمرة والذهاب إلى ضرورة خرق التوازن لضمان التفوق العسكري الأمريكي وإمكانية القضاء على الاتحاد السوفيتي.

٣ - مشروع أقرين أمريكي جديد: PNAC تأسس عام ١٩٩٧ ورئيسه وليم كريستون ويشطط معه بشكل خاص روبرت كاجان، كيمستون هو رئيس تحرير صحيفة Weekly Standard حالياً بعد أن استأجرها كوستر بلاذ التي اشترى جيروزاليم بوست الإسرائيلية أيضاً وحولها إلى صحيفة يمينية، ويمك شركات صحفية في بريطانيا وكندا ويتبنى مواقف اليمين الإسرائيلي.

وقد نشر PNAC مشروفاً أو خطة لضرب العراق والإطاحة بنظام صدام حسين بناءً على ورقة ولوفوتز وليبي على ورقة ولوفوتز وإليبي. ضرب العراق والإطاحة بنظام صدام حسين بناءً على ورقة ولوفوتز وإليبي. ضرب العراق والإطاحة بنظام صدام حسين بناءً على ورقة ولوفوتز وإليبي. ضرب العراق والإطاحة بنظام صدام حسين بناءً على ورقة ولوفوتز وإليبي.



يجب أن تعاقب إسرائيل سوريا في المستقبل في سوريا ذاتها إذا لم ينقح السلوك الأول. وأخيراً، فإن الاعتبار طليعية النظم السوري، غابن من الطليعية والأخلاقي في آن أن تغادر إسرائيل شعار «السلام الشامل» وأن تنتقل إلى «احتواء» الشامل وأن ترفض شعار «الأرض مقابل السلام في الجولان».

ثم وفي الإطار ذاته يورد التقرير الفقرة التالية: «يشهد هذا الجهد على الإطاحة بصدام حسين، وهو هدف استراتيجي يحدد ذاته بالنسبة لإسرائيل، كسيرة لتغليب (أفرا) احتواء» طموحات سوريا الإقليمية. لقد تحدى الأردن سورية مؤخراً بطرح إعادة بناء المملكة الهاشمية الأردنية في العراق. وقد ولد الاقتراح زخماً عربياً رديداً به عليه الأسد باختراقات في الأردن تمس باستقرار النظام فيه. لقد اشارت سوريا مؤخراً إلى أنها، ومعها إيران، تفضل صدام حسين ضعيفاً لا يتكاد يصعد في صراع البقاء، وذلك لإجهاض محاولات الأردن وإمعاناً في محاولة إغراق الحكومة الإسرائيلية بضرورة الإسهام بدور لتجهيز الأجواء لشحن حرب على العراق بغير التقرير قضية «الشعبية» في لبنان، وضرورة تحريمهم من التأثير الإيراني، وذلك عبر إعادة تطعيمهم بالهناج، حيث تربطهم علاقات تقليدية شبق علاقته مع إيران، وذلك بعد تأمين شق صديقة بعد الإطاحة بنظام صدام حسين.

إمعاناً في محاولة إغراق الحكومة الإسرائيلية بضرورة الإسهام بدور لتجهيز الأجواء لشحن حرب على العراق بغير التقرير قضية «الشعبية» في لبنان، وضرورة تحريمهم من التأثير الإيراني، وذلك عبر إعادة تطعيمهم بالهناج، حيث تربطهم علاقات تقليدية شبق علاقته مع إيران، وذلك بعد تأمين شق صديقة بعد الإطاحة بنظام صدام حسين.

حضانات اليمين الجديد هي واشنطن،

قبل ثلاثين عاماً قامت في واشنطن «لجنة الخطر الداهم»، وشكلت هذه فلاً للمؤسسة العسكرية في حينه خارج البنتاجون بحيث تفلو ما ليس بوسع المستعربين أن يقولوه ويرغون بقله. ولم تترك هذه الهيئة ثغراً جدياً في مرحلة الرئيس كارتر ولكن تقولوا أزداد دون شك في مرحلة ريجان. هذا النمط من إقامة ظل خارج المؤسسة السياسية للمؤسسة العسكرية في فترة اتروقت لها السلطة السياسية وقراراتها هو نموذج نسخ من مرحلة كليتون بالهامه.

مؤسسات تعبر فيها قوى اليمين في الإدارة العسكرية والسياسية الأمريكية عن موقفها في متفحص من خارج المؤسسة إلى أن تحين الفرصة لمعارة

لعيب مارتن انديك دوراً أساسياً في تحليل توجه نكف هذا الجولي في الإدارة الأمريكية. ومن أهم وثائق هذه المؤسسة الصهيونية تقرير «البقاء من أجل السلام: استراتيجية أمريكية من أجل السلام». «Building for Peace. An American Strategy for the Middle East» وقد عارض هذا التقرير الذي صدر عام ١٩٨٨ بعد انتخاب انتفاضة الأولى تدخل أمريكا بفرص إجراء تفاوضاً على إسرائيل، أو بفرص تسوية. وقد وجد ستة من مؤلفيه طريقهم عملياً إلى إدارة بوش الأولى حيث ساهموا في تعزيز موقف يرفض التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ويدعو الإدارة الأمريكية إلى عدم رفض التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية على إسرائيل. وهذا التجنب الأمريكي هو الذي أوجب صيغة مريد الفاشلة التي فُرست بموجبها إسرائيل أن يكون الطرف التفاوضي الفلسطيني من خارج منظمة التحرير الفلسطينية، وعندما وصلت إسرائيل الرسمية إلى اقتناعها بالحاجة إلى مفاوضات جادة قامت بنفسها والاتفاق على هذه الصيغة في أوسلو متجاوزة عملاً تاركاً مستويات طويلة مع السويدي الإسرائيلي في الولايات المتحدة.

ولكن تقويم نشاط مارتن انديك ودينس يوس يظهر أنهما واصلوا عملياً محاولة إلهاب عدم صلاحية منظمة التحرير الفلسطينية للتفاوض، ومع أن روس كان الهدف غابر الرئاسات والإدارات لشؤون اتفاقيات أوسلو، إلا أنه لم يلتصق بأوسلو في يوم من الأيام ملتما كان موقف «معهد واشنطن» الحكوي.

ولاشك أن سياسة الاحتواء المزجج التي تبناها كليتون ضد العراق هي الأب الشرعي، أو غير الشرعي، لسياسة محور الشر عند بوش. إلى هنا الاستراتيجية والشيء، أما الفرق فيمكن البسيط في الفرق بين الاحتواء والمواجهة الشاملة أو الحرب الشاملة في عهد بوش. وليس غريباً أن يشهد التفاد الأمريكيين لخضوعهم من قدامى المتأصلين الديمقراطيون ضد سياسة الإدارات الأمريكية المتعاقبة العدوانية في مناطق مختلفة من العالم من أعمال نغوم تشومسكي وجور فيدال على الاستمرارية كان سياسة إدارة جورج بوش الابن لا تامل جدية على الإطلاق.

الحدود المادية،

محور العراق في حاله سورية ولبنان المعساة هناك بالحدود الشمالية اعتبار سوريا وإيران وحزب الله أهدافاً ملحة في عملية محاربة الإرهاب. ويفترض أن تعاقب سوريا في لبنان، ولكن

الوطنية الأمريكية في حالة هذا اليمين الجديد تشمل إسرائيل، ولا تتعامل معها كدولة أجنبية. إن وجود جوناثان يولارد أخطر جاسوس إسرائيلي في السجن الأمريكي عبارة عن انضباط أمريكي عسكري حتى تجاه إسرائيل



رامسفيلد ومن ورأسه البنتاجون بأسره.
لقد أوفد هؤلاء الذين اجتمعوا في مجلس سياسات الدفاع بعد عمليات ١١ سبتمبر مباشرة جاسوساً وولسي إلى لندن للبحث عن أدلة تحريط النظام العراقي بالقاعدة. وهو الذي خرج إلى العالم بغيرة لقاء براغ بين محمد علي وأحمد العاتني من المخابرات العراقية. هذه الغيرة التي كثرها صفح روبرت مورود (١٧٥ صحيفة إضافة إلى شبكة فوكس) وغيرها من الصحف الخيصة وغير الخيصة حتى علاقه بملكيتها. والتي أخرجت حتى المخابرات التشيكية الودودة.



وهكذا يلخص نجوم تشومسكي العملية بأسرها بالآثار: بعد ١١ سبتمبر مباشرة اعتقد ٧٢٪ من الأمريكيين فقط أن توجد علاقة ما للعراق بالعملية. وعشية شن الحرب على العراق اعتقد ٥٠٪ من الأمريكيين أن العراق قد وراء عملية ١١ سبتمبر أو لها علاقة بها.

لقد نشرت (PNAC) مشروع قانون أمريكي جديد) مذكرة موجهة إلى كلينتون تطالب بشن الحرب على العراق والإطاحة بنظام صدام حسين يوم ٩/١١/٢٠٠١ وقد وقع على المذكرة أربعون شخصية منهم ريسستون، تشيكني، جيجي، وألسفيلد، وولويتز، بولتون، ليجي، ابرامز، خليلزاد (مسؤول الشأن الأفغاني في الإدارة الأمريكية بعد ١١ سبتمبر، والكلف بلعب دور في الإدارة العراقية إلى جانب جاي جارثر) وأرميتاج، اليوت ابراز (وزير دفاع سابق وله ضلع في قضية إيران / كونترا) كاسبر وينتشر (وزير أمن سابق له كونه في إيران / كونترا)، فرانك برلوتشي. وعندما لم يتعامل كلينتون مع رسالتهم قاموا بالاستعانة بالكوتجرس على أسلوب اللوبي الإسرائيلي المعروف. فتم توجيهه إلى جنترش رئيس مجلس الشيوخ والي رئيس الأغلبية في ثريمت لوت يوم ٩/٢٤/٢٠٠١. وكانت نتيجة هذا aksi صود قرار بتحريض العراق، عن الكوتجرس في نوفمبر ٢٠٠١. كان ذلك قبل أسابيع من بدء كلينتون بحصف العراق لمدة أربعة أيام متواصلة في عليه «تعلب الصخر».

نمط التفكير الجديد،

لقد حذر زعماء عرب الولايات المتحدة من أن حربها على العراق سوف تؤدي إلى حالة من عدم

الخارجية حالياً وإيضاً من إبطال إيران / كونترا (سايك) و (بريجنسكي، سبنسجر، شليزجر، سكوكولت، جيمس بيكر.



وقد تحولت أذربيجان عملياً إلى دولة محمية أمريكية، دون إشارة أمريكية أو تكميح إلى مدى ديموقراطية الرييجيان، وغيرها من جمهوريات آسيا الوسطى التي تسعى الولايات المتحدة لتحويلها إلى صهيبيات متلاحقة إلى مدى ديموقراطيتها. كان كلمة آسيا قد بدلت كلمة أمريكا في عبارة «أمريكا الوسطى». ويبدو أن العراق يجب أن تكون مثل أذربيجان الغنية بالنفط.

لقد قام الناتو عملياً في العام ٩٩ مجموعة دول الجولان (جورجينا، مولدافيا، أوزبكيستان، أذربيجان)، وهي مجموعة الدول على بحر قزوين التي بمصادر الغاز الطبيعي. وفي مركز هذه المجموعة مثل أذربيجان. ولا شك أنه بالإمكان صنع مجلس سياسات الدفاع برئاسة ريتشارد بيرل إلى هذا اليمين الأمريكي الذي يعتبر في جلساته العراق كهدف تحقيقي ومصر كهدف استراتيجي والسعودية هي الحلوى. وقد كانت تفرح حركاته إخراجاً للثارة في القفلة الأخيرة ما تسرب إلى الإعلام من جلسته ٢٠٠١/٧/٢٠ عندما اجتمع لورين مورافيتش في مداخلته أمام المجلس السعودي عدواً للولايات المتحدة مستخدماً في وصفها تعبير «نواة الشر» kernel of evil.

وفي تقرير أخير أصدره «مركز الزهاة في سلك العمل العام» حول هذا المجلس الاستشاري شبه البرسي إن أنه من بين ثلاثين عضواً في هذا المجلس الذي يقدم المشورة للبنتاجون تسعة على الأقل يعتقدون بعلاقات لشركات صناعات عسكرية حقلت في الأعوام ٢٠٠١ و٢٠٠٢، ٢٠٠٣ ٧٦ مليار دولار من الإيرادات. كما تبين أن أربعة أعضاء مسجلون كأعضاء في جماعات ضغط للتأثير على الكونغرس، أحدهم يمثل اثنين من أهم شركات صناعة الأسلحة في أمريكا.

لقد حاولت أوساط «مجلس سياسات الدفاع» برئاسة بيرل حال وقوع عمليات الصاعدي عشر من أيلول استغلالها فوراً من أجل توجيه النكمة ضد العراق ومن أجل إعداد المزاج السياسي والوطني لضرب وقاب نكلم الحكم في العراق. ولم يكن ذلك جزءاً لتطبيق الورقة التي تم توقيعها وإنما لتحقيق هيمنة نمط جديد من التفكير السياسي على البيت الأبيض نفسه. هكذا حددت الإطاحة بنظام صدام حسين كجزء من المعركة ضد الإرهاب. كان هذا موقف

للمهمة وليس العكس كما يقول رامسفيلد. أي أن الولايات المتحدة لم تعد تحدد مهابتها بناءً على التحالفات. وهذا يعني أيضاً تطبيع قواعد اللعبة الجديدة والإجماع الدولي وغيرها لغرض شن الحرب أمام إصرار الولايات المتحدة على اتخاذ خطوة العمل العسكري ولو وحدها. هنا تتحول وحدانية القلب إلى وحدانية الفصل: من unipolarism إلى unilateralism.

وأمام وحدانية قوة الولايات المتحدة وحريتها في الحركة وأمام زوال الحاجة إلى القوتان والردع والالتزام بالأمسيات الدولية يصبح الالتزام بالاتفاقيات والمعاهدات والقواعد المحقق عليها أمراً نسبياً. وتبدل الولايات المتحدة إلى تقيد نفسها بمعاهدات، وتقوم حتى بالترافع عن معاهدات موقعة. هكذا تراجمت إدارة بوش عن موافقة إدارات سابقة بالتوقيع على اتفاق كوينتو حول تسخير الخلاف الحي. وعن اتفاق إقامة المحكمة الجنائية العالمية على أساس معاهدة تمت انتشار الأسلحة البيولوجية، رفضت ومعها إسرائيل التوقيع على معاهدة دولية لإقامة المحكمة الدولية لحاكمه مجرمي الحرب.

في سياق «السياسة ضد الإرهاب» اكتسبت الحرب معنى الشمولية. ولا شك أن وجود قوة عسكرية لدى الولايات المتحدة لغرض التدخل على أي بقعة في العالم وعلى أعقاب الاستعداد للانتشار لا صدور الأمر لا تعني توجهاً جديداً بل إكباتنا جديدة أيضاً. ولا شك أن النقاش الذي شهدته واشنطن حول حجم القوة العسكرية اللازمة لاحتلال العراق وأحداث النتائج اللازم بالآل خصال للوات الغازية والانتصر والى ضد مكن، وعن النقاش الجدي الوحيد الذي دار في إعلام المؤسسة الإعلامية الأمريكية، له علاقة مباشرة بمدى صحة هذه النظرة. ولما فاضوع لا يتحقق بالعراق وحده وإنما بنمط عمل الإمبراطورية «المضطرة» لتصفيل قوة تدخل سريع لحسم قضايا ولأب أنفلة.

ويستطيع أي محلل نقدي أن يوفق بين العرض الحاسمي حول تحول لوري وجنري في السياسة الأمريكية ليقول أن: الجديد الوحيد في الأمر هو القدرة التقنية العالية وليس التفكير البيولوجي. إن ضخاص القصف وأحتلال الدولة بسرعة وأقل خسائر مكنته، لأنه يتم تنفيذ المهمة الأساسية قبل الانتصار البري بواسطة سلاح الطيران وسلاح الصواريخ والقدرة التكنولوجية العالية في مجالات الرصد والتوجيه والانتصارات. وهنا يصحح إلى أن جديد. ولا يتكفي بالعلم أن تمثل التكنولوجيا المتطورة المسؤولة كلها. بل يضاف أيضاً انهيار القلب



الثاني الذي كان قادرا على إمداد الخصم الإقليمي في الصراع بالدعم الكافي لإطالة صموده وتحقيق انتصارات بمعنى ما صمدية قوية على تحديد بعض من قوة أمريكا العسكرية أيضا. ولكن ألم يكن يمكن لوجيا المتطورة بغير التناقص بين الاحتكاكات وتوظيف العلم في عملية الإنتاج أثر على انهيار القطب الثاني كقطب مواز أو رادع؟ هكذا عد إلى المنطوق التكنولوجي.

لقد ذكرنا أن الإدارات الأمريكية السابقة افترضت بموقف إسرائيل عدم التفاوض مع منظمة التحرير أكثر مما افترضت إسرائيل ذاتها في لحظة تاريخية محددة، ولكن قد يفاجأ المرء أن يسمع أنه كانت قوى إسرائيلية أساسية تعارض كاهن يفيديف الإسرائيلي المصري نفسه، فيكسجر صاحب نظرية فصل القوات بين إسرائيل ومصر نصيح الإسرائيليون بعدم إزالة المستوطنات في سيناء، وفي حينه وهو مرور زمن على الاتفاقية بين شارون الذي تولى أمرهمها على هذه الانتقادات أنه دون إزالة المستوطنات ما كان بالإمكان التوصل إلى سلام مع مصر بل إلى حالة لا حرب في أفضل الحالات. فاجابه كينجر، والرواية على قدم شارون، وماذا لديكم مع مصر الآن؟ أليست حالة لا حرب؟



لقد تطورت فكرة السيطرة العسكرية الأمريكية المباشرة على الخليج تدريجيا، ولم تحصل مثل كسر في التوصلات Break المفرد مثلا بغير من المحافظين الجدد. فعند أن ارتفعت أسوار الحلفاء الأعوام ٧٤-٧٥ بعد النظر الذي رافق حرب أكتوبر، وموجة الانزعاج الشائنة بغير الثورة الإيرانية، منذ تلك المرحلة يجري تفكير استراتيجي أمريكي حول الموضوع، والموضوع مطروح بكفاءة وتزدهج فيه مراكز الإبحاح، وقد تفتت الحدود مكانة لروبرت دايغوس يذكر فيها عن السفير الأمريكي السابق لدى السعودية أكينز Atkins أنه قرأ مقالا مؤلفا باسم هالينز جاستوس نشر في هاربرز قد في عدة صفح أمريكية تحت عنوان «السيطرة على النفط العربي»، ويذكر كاتب وبه المقال أنه يستدعي إلى مصادر عليا في الإدارة الأمريكية تدعو إلى السيطرة الأمريكية المباشرة على منابع النفط العربي وإدارة إنتاجه من تكساس وأوكلاهوما، وما كان من السفير المتخصص الآن هالينز المخال باعتباره دعوة استفزازية تؤثر العلاقة مع دول صديقة في الخليج... ولم يتفطر السفير دوليا ليكتشف أن المصادر العليا خارجيته كينجر ذاته وأن مهاجمة القفل الأمريكي ظففة ونظيفة كسفير في الخارجية الأمريكية.

لقد أعلن كابرنت عن أول قوة للتدخل السريع في الخليج بعد تصريحه الشهير في كانون الثاني عام ١٩٨٠ والذي حدد فيه الخليج كمنطقة حيوية للمصالح الأمريكية والأمن القومي الأمريكي، هكذا أقامت قوة التدخل السريع وذلك في عهد أحد الرؤساء السابقين صاحب السمعة الأكثر اعتدالا في تعامله مع العالم الثالث.



وفي عهد ريجان قامت قيادة المنطقة الوسطى التي سمعتها تغطية إعلامية مكثفة من قهرها في قطر إبان الحرب العراقية على العراق، وتمتد المنطقة الخاضعة لهذه القيادة من القرن الإفريقي وحتى أفغانستان. وفي هذه المرحلة تم البرهان بشكل جدي على تسليح تركيا والسعودية إضافة إلى إسرائيل، كما بيعت طائرات أوكراس وأف ١٠ للسعودية والأميرال أنار خليفة ونشاط إيهك في الكونجرس ضد هذه الصفقات. ولكن الولايات المتحدة لم تتمكن من إقناع دول الخليج بضرورة وجود عسكري أمريكي جدي ومباشر، عدا إلى دول مثل البحرين وعمان، إلى أن ساهمت حرب الخليج الثانية عليها المانه بجائحات العراق الكويت. بعدد تمكنت الولايات المتحدة من إقامة قواعد عسكرية ضخمة في الكويت والسعودية وقطر. ومنذ ذلك الحين باعته الولايات المتحدة للسعودية أسلحة ومعدات بقيمة ٣٣ مليار دولار وللكويت بـ ١٦ مليار دولار، هذا عدا قطر والبحرين والإمارات. حرب الخليج الثالثة تبنت كما يبدو حاليا الوجود العسكري الأمريكي في الخليج، كما ترجمته في الواقع إلى خطوة عملية في تغيير نظام، وربما إقامة نظام تحت بدت الحماية الأمريكية في أحد أهم بلدان المنطقة على الإطلاق.

ورغم النقاش المستمر هل هو النفط أم الهيمنة الإمبريالية أم إسرائيل فلا شك أن هناك علاقة للنفط بالوضع حتى لو كان المنطق الأساسي هو الهيمنة. وإسرائيل وحدها أو النفط وحده لم يكن كافيا لنشأ حرب. ومع أن الهيمنة هي الدافع إلان هناك شكًا أن كانت الولايات المتحدة تستدخل شعريا ضد احتلال الكويت لأنها إمارة صحرائية مسلمة بدأتها دون نطق.

إذا سيطرت الولايات المتحدة بواسطة «نظام صديق» على مصادر النفط في العراق تكون الولايات المتحدة قد حكمت السيطرة على معظم منابع النفط في العالم. الجانب على النفط العراقي هو الثاني في

العالم بعد المملكة العربية السعودية، وتكلفته استخراجها رخيصة بكافة المقاييس، ١٠ دولار للبرميل الواحد. والولايات المتحدة تستهلك سنويا ربع الاستهلاك العالمي للنفط، وهي في الوقت ذاته لا تنتج إلا نصف ما تستهلك، هذا الطلاقة الهائلة الكامنة في السيطرة على هذه المقدرات فيما يتعلق باقتصاديات العالم أجمع، هذا الحقائق دعت الإكوونومت البريطانية المؤيدة للحرب والتي اتخذت هي أيضا موقفا صقريا بعد ١١ سبتمبر إلى تقرير ما يلي: «تتعلق مصلحة أمريكا الاستراتيجية في ملاحقة حسن حسين من ضرورة إبقاء العالم بأسد البمار الشامل القائمة والمعتمد، ولكن هناك اعتبارًا ضخما آخر مهما كان ثانوي، ألا وهو ما يحيط بالاعتماد الذي يستحق، وإن لم يكن بالآخر الهائل الذي سترهه فتح احتياط هذا البلد الهائل من النفط». وإذا احتكمت الولايات المتحدة قبضتها على احتياطي النفط العالمي فلن تبقى بالأكيدة استقلالية ولو نسبية لتتمتع بها منطقة أوكيا فيما يتعلق بكمية النفط التي تسمع وإسعاد.

لقد صرح الرئيس الأمريكي أن مجرد وجود قوة عظمى واحدة عالمية، إمبراطورية، معرضة في عقر دارها لهجمات بطائرات مدنية، حوالت سلاحا تدميريا، يضاف إليها مجرد سهولة إنتاج وحدها تهرن أن تقوم بدولة الخدماء بضربها وقليقة مائة خارج حدودها. هذه أصول اللعبة الجديدة، والسؤال هو ما الذي يدخل في نطاق الخطر والوقاية، منه وما هو نوع الوقاية المتاح؟ هكذا نطق جورج بوش بالعقيدة الاستراتيجية الجديدة يوم ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٢.



هذه الأفكار وحدها تخفي عن السؤال المشترك بين إسرائيل وأمريكا، أن فكرة الضربة الوقائية المتبعة خارج الحدود لتجنب نشاط معاد داخل الحدود، خاصة في منطقة العربية، هي فكرة إسرائيلية قلبا وقالبًا، جسدا وروحًا.

وستطبع الولايات المتحدة أن تدعي أن مجرد وجود النفط والمنطق العراقي قد بدت له على خطير، كما قد تدعي في المستقبل أن وجود حزب الله هو كذلك، وأن التخلص نهائيا من وجود حركات مثلها من يتطلب تغييرا جذريا في لبنان، وهذا يتطلب بدور تغييرا جذريا في سوريا، وقد اعتدت الولايات المتحدة أصرا



مشابها بالنسبة لياسر عرفات شخصيا، وهي تقوم في هذه الأثناء بمحاولة إجراء التغييرات اللازمة على مستوى القيادة الفلسطينية للبدء بمفاوضات إسرائيلية فلسطينية بعد تنفيذ الخطط العدوانية لإقامة دولة فلسطينية بالشروط التي تنص عليها أمريكا.

في هذه الأثناء، ينتز الولايات المتحدة أنفظة صديقة لها مثل مصر والمملكة العربية السعودية بإثارة موضوع إضعافها الداخلية المطلوب لإصلاحها كجزء من هذه الوقاية المطلوبة للدولة العظمى ضد «خطر الأرباب»، وقد يتبين أن هذا التكتيك الإبتزازي هو جزء من استراتيجية شاملة، ألا وقد تضطر الولايات المتحدة للتعامل معه بجديّة إزاء ديناميكية الأحداث.

أفكار أولية عن عجزنا

أسماء تناقشات

الإمبراطورية

يرجع جورج فيدال تاريخ السلوك الإمبراطوري للولايات المتحدة إلى حقبة ثرومان ويعرض لأدلائها بشكل سرعسي كما يلي بكتاباته قصة وبشكل المهد من Dean Acheson, Present at the Creation. My Years in the State Department (١٩٦٩) وبين أتينسون هو وزير خارجية ثرومان، والشهد هو جاسة في غرفة اجتماعات الحكومة في البيت الأبيض بمشاركة كبار المسؤولين في الخارجية والأمن القومي والأفريقية في الكونجرس يوم ٢٧ فبراير ١٩٤٦ إلتخاذ قرار للتدخل في اليونان ضد إمكانية وصول اليسار إلى السلطة في ذلك البلد بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ويعني هذا القرار بداية تدارة ثرومان من إرث روزفلت وبداية التحلل من اتفاقيات واشنطن والصرف كإمبراطورية ذات أجنحة سياسية مدعومة بالقوة العسكرية في كل مكان لا يخضع لسيطرة السوفييت المباشرة، إنه عهد ثرومان الذي اتخذ فيه القرار بإلقاء نار جهنم على هيروليد وإسعاد ونجاسكي لغرض إرهاب الإقليم السوفيتي سياسيا (أمر سياسي ضد حكومة بغرض التأثير على قراراتها بواسطة قتل المدنيين) وتحذيره من قدرة أمريكا النووية، وفي أيضا حقبة الانقلاب الدموي المجربر أمريكيا ضد حكومة ديموقراطية في جواتيمالا لأنها تجرات على فرض ضريبة حد أدنى على شركة يوناتز فروتس الأمريكية العاملة فيها والتي تجاوت ميزانيتها ضعف ميزانية جواتيمالا، مفتقدة بذلك سلسلة من

تقوم المقاربة الجديدة التي يقترحها المؤلفون إلى موضوع السلام على نسف كامل لمبدأ الأرض مقابل السلام، ويقترحون أن تقوم على اعتراف العرب بحاجتهم إلى السلام، السلام من أجل السلام والسلام من خلال القوة



الإسرائيلي يذكر أيام محاصرة معسكر الاعتقال في الأيام المتحدة، الأمر الذي كان يجعل الولايات المتحدة وإسرائيل يرتبان أوهاها خارج مؤسسات ما سمي بالشرطة الدولية.



ولا تدعي الولايات المتحدة ضمناً في هذه الاتفاقية أن ما تقوم به قواتها خارج الحدود الأمريكية لا يمكن أن يعتبر جرائم حرب فحسب، بل إن لها سيرة لها على ما تقوم به الدولة اليهودية خارج حدودها المعترف بها دولياً. أي أن الدولة اليهودية الكبيرة تقترح اولايات المتحدة تقضي في طريقها لا تلتوي على شيء، وتخطي هذه الأخيرة الصغيرة خطأ فاحشاً ومميتاً إذ أنها اعتقدت أنها تستطيع أن تحتل دولاً نازية الإمبراطورية، فهذا السلوك في النظام العالمي محفوظ للإمبراطورية، ولها فحسب.

تبدأ الاعتراف الإسرائيلية في المنطقة العربية في المرحلة الراهنة باستثناء إسرائيل من قواعد الشرية الإمبراطورية. فيعجبني منطق هذه الشرية لأنه المستلزم الوحيد هو أمريكا أنها هي مصدرها، ولا يوجد مير لاستثناء إسرائيل إلا الاعتراف الإسرائيلية في التعامل معها. وقد وصلت الاعتراف الإسرائيلية في التعامل مع إسرائيل مؤرخاً أحد التحالف مع اليمين الإسرائيلي وأحراج اليسار الإسرائيلي الصهيوني. هناك أكثر من عنصر لاعتراف في تحالف اليمين الأمريكي المسيحي المنطوق مع اليمين الإسرائيلي اليميني في الولايات المتحدة ومع اليمين الإسرائيلي. لقد نكس قول أن القضية الإسرائيلية هي قضية أمريكية داخلية، فيتنا نصف أنها قضية أمريكية داخلية متعلقة بالهاتورات السياسية الاستيطانية أي بالنيوإمبريالكس، ما وراء الأساسة. قد ينسحب بعض كتاب الوراثة موضوع قراءته من نصائحهم الفجة لتنتابهم حول القضية الفلسطينية، فقد أصبحوا في السلطة، ووجودهم في الإدارة يحتم عليهم مسؤولية وتكليف ببقود لا تكمل الأيدي التي كتبت تلك الوراثة. ولكن ما كتب هناك هو ما يؤمنون به، والحل الواسع المنطق هو السلام المعلن للقول عن شرية الغزور العالمية هو إقامة دولة فلسطينية ضمن ما يرضى الرأي العام الإسرائيلي من شروط، والقبالة الفلسطينية التي ترضى بهذه الشروط هي الشرية المأهل لتغيير قدرتهم عن الفلسطينيين.



شيء أصلاً، وينشتر فيها نظام العوللات إلى درجة فرض الشراكة في الأعمال الاقتصادية، فعلى أي أساس يتحدثون عن الفساد؟



سوف نكتشف قباطنة العدوان أن إحدى أكبر جرائم الولايات المتحدة في التعامل أداتها مع موضوع الديمقراطية تعاملاد بدفع أواسطاً واسعة من الشعوب الظلومة والمظلومة على أمرها وذات المصلحة بالديمقراطية الاجتماعية والسياسية في أحضان سياسات الهوية المعادية لهذه الأدوات باعتبارها شائناً إمبريالياً، وإذا لم تتحول قضايها هذه الشعوب والمجتمعات السياسية ومنها



ولو كانت الدول العربية دولة ديموقراطية لنسبل تبني الشرية الدولية هي ستقوى إلى العام اتجاه استخدام هذه «الاستثنائية الإسرائيلية» من أجل تثبيت رفض «الاستثنائية الأمريكية» أيضاً والتصمس بالحق الكونية لمعاريها، وأسهمت أيضاً ترجمة هذا العام على مستوى عملية صنع القرار العربي الرسمي، ولكن في غياب الحالة العربية الغادرة على استغلال هذه التناقضات القائمة فعلاً والتي تجعل الولايات المتحدة، لا يدع الرئيس بوش أم العالم للتصدي للـ «إرهاب الفلسطيني» فحسب، بل وإلى احتلال بلد عربي دون توفر حجة شكلية إطلاقاً، ودون أن يجهد نفسه بالدفاع عن قراره هذا إلا في جلسات الإدارة الأمريكية الغادرة التي لن تعلم ما يدور فيها إلا بعد عشرين عاماً في فصل الحالات.

والطامة الكبرى أن إسرائيل ماضية في إرهابها فيزاد عندها الشواهد بالخير والبرارة والاستثنائية العربية أو الإسلامية، ويتحول الموقف المطلوب تجاه بلد عربي يواجه خطر الهجوم الماضين تقاصر وعجز من ناحية، وإلى تصعب سياسة هوية ترفض أن ترى طبيعة النظام الراعي للنظام القوي المظلمة، «المنظمة كلها ديكتاتوريات»، فلماذا العراق؟ ولكن كل ما قد تمسح به أسهل من سماع مسؤولين عرب يتحدثون بالديموقراطية في دول غير ديموقراطية كل ما يعجزها أمير متحافة مع كل مشروع أمريكي على أي أساس؟ أو يتقنون الفساد بغير من موقعهم من دول تمك فيها غلات حاكمة الدولة ونزواتها فلا تحتاج إلى الفساد لأنها تملك كل

الانقلابات المدعومة من جهات المخابرات الأمريكية لاسباب شبيهة في العديد من دول أمريكا اللاتينية. وتسلك الولايات المتحدة في المنطقة العربية سلوكاً إمبراطورياً يشترى إلى الترابية ويؤكد مصدر الشرية، ولكنه أيضاً يلجأ من الآن إلى تناقضات الحالة الإمبراطورية (الإمبريالية) الأمريكية وحيدوها.

خذ مثلاً السلوك الأمريكي على الصعيد العالمي الذي يذهب باتجاه تأكيد نسبية الحدود الوطنية لتجول فيما يتعلق بحقوق الإنسان كما ادعى بشأن العراق وصربيا، وجرائم الحرب تحديداً، فمن المفترض أن ينسجم هذا السلوك مع محكمة لاهاي بشأن جرائم الحرب، خاصة أن الولايات المتحدة نفسها قد بادرت إلى هذا النوع من الحاكم ضد قادة الصرب وجرائمهم في الحرب الأهلية البلقانية الأخيرة في نهاية القرن العشرين. ولكن طابع محكمة لاهاي القانوني المجرد الذي يتعامل مع الكونية بجدية، بالقياس السلوك الإسرائيلي الذي يلتزم مع الكونية في حالة واحدة فقط، وهي حالة تطابقها معه (اقرأ ما مع مصالحه الخارجية كما تمتنع عنها أيضاً بنيتها الداخلية ومناقضاته حول الاختلاف على فهمها أيضاً).



إن مجرد محاولة الولايات المتحدة «التهرب» من محكمة مجرمي الحرب في لاهاي يبعد أن وقعت على وليقضاها التأسيسية، ثم عادت ورفضت الانضمام إليها كعضو كامل، يعنى أن الولايات المتحدة قد تجرد ذاتها وتصرّف بل دولة صغيرة تتحال على القانون. كان هذا أيضاً حالها عندما طرحت الصرب على إسرائيل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بالوقفة العسكرية، ثم تهرت من التصويت في مجلس الأمن تجنباً لوقوع الاكثية هناك، وقد بلغ صغر الإمبراطورية حدا جعلها يوم الثالث من أغسطس ٢٠٠٢ حالة اتفاقية مع إسرائيل، تتقدم فيها «الدولتان» على عدم تسليم أي منهما مواطني البلد الأخرى لحكمة قسرية الجور الدولية في لاهاي. هذه الاتفاقية لا تشير فقط إلى وجود دولتين تتهربان من القانون الدولي، مثل مجرمين صغيرين يتنقلان على عدم وفاء لهما بأكثر، إنما تشير أيضاً إلى أن القانون بين القيم الكونية ومبادئها ومدى تأثيرها على الرأي العام ثم على مجموعات من الدول من ناحية، وبين الإمبراطورية وسلوكياتها ومبادئها للشرية من ناحية أخرى قد يحل على المدى القصير مدخل التوازن بين «المعسكرين»، «المتصرفين الإسرائيلي»

فلسطين فن

يعتقد أحد صناع السياسة البارزين في أواخر القرن العشرين، ممن لم يتقلدوا منصباً، أن الرأي العام الأمريكي ينظر إلى القضايا الإسرائيلية الفلسطينية، وهو جاهل أساساً بمشاعر وأوضاع الفلسطينيين، لا شعورياً على الأقل، وأن الفلسطينيين شعب متخلف محب للقتال، وهم أناس يستحقون الشفقة، وأنهم عموماً أناس مختلفون عن الأمريكيين، بينما يرون الإسرائيليون أناساً مقدامين مغامرين ومتقدمين، خاضعين لحصار عربي، وهم متغلفاء، وبمعنى حقيقي، وحتى التسعينيات، كان هنالك أحد صناع السياسة البارزين، ممن لم يستبعدوا الفلسطينيين تلقائياً من اعتبارات سياسية، لأن الإسرائيليين قد أسسوا بسلطة أمة ذات سيادة، بينما الفلسطينيون لم يفعلوا ذلك. وتقيد الأعراف المعمول بها عموماً في الولايات المتحدة أن الصراع قد تاصل لا لأن الفلسطينيين فقدوا أراضيهم وديارهم ووطنهم، وأنهم يحاولون استرداد إرثهم المفقود، بل لأن العرب يضررون كراهية فجيئة

مجموعات من الأصوليين الإسلاميين، أو أنهم قتلوا جراء هجمات القنصاة على الطرق العامة في الأراضي المحتلة. وبعد انقضاء ستة أشهر من مؤتمر كامب ديفيد، ومع المفاوضات المستمرة المنقطعة، والهدوء المتلف الأخير الذي بذله كلينتون ليصوغ اتفاقية خلال شهره الأخير في السلطة، مجل الجانبين من حل الخلافات الحادة المتبقية، وبعد مرور أقل من ثلاثة أسابيع على انتهاء ولاية كلينتون، اختار الناقبون الإسرائيليون، الذين خاب أملهم باحتمالات السلام، والغاضبون على رئيس الوزراء السابق إيهود باراك الذي قدم للفلسطينيين تنازلات تراوحت ما بين ما بلغ فيها، شارون رئيساً للوزراء، أما شارون، المحرض العنيد للعمليات السلمية التي بدأت بالتوقيع على اتفاقيات أوسلو في عام (١٩٩٣ م)، فقد أعلن خلال حملته الانتخابية أن عملية أوسلو قد ماتت، ورفض الأقدم المزيد من التنازلات عن الأراضي الفلسطينية، والا يتخلى عن أي جزء من القدس، أو أي أراضٍ في الضفة الغربية وغزة تتجاوز نسبتها (٤١٪) التي قدمت لحكم الذاتي الفلسطيني، الجزئي أو الكامل.

وفي الوقت ذاته، كان الفلسطينيون أيضاً في حالة من التشنج، فالقيادة لم تكن مسيطرة على المنظمات الفلسطينية المتشقة، خاصة مجموعات الإسلاميين الأصوليين، ولم تكن قادرة أن تسير بشكل كامل على الشوارع، وعناصر الميليشيات الذين كانوا على رأس الانتفاضة، بدأت الانتفاضة، التي اندلعت احتجاجاً على الفساد الكامن في مستويات القيادة العليا، بالانتفاخ إلى نفسها ومهاجمة الفلسطينيين الآخرين الذين يعتقد أنهم محروطين بالفساد أو متعاونون مع إسرائيل. ومع أن الانتفاضة استمرت بالالتزام بعملية السلام، إلا أنها كانت متفجرة حول نوع التسويات ومداها، التي يجب على الفلسطينيين أن يقدموها لبلدنا ليجتمع التوصل إلى اتفاقية سلام نهائية، مما أتها أفقدت حتى أي رؤية أو استراتيجية طويلة الأمد لتحقيق السلام.

ماذا بعدو للسخرية حلقية أن كلينتون أقام مع الفلسطينيين روابط أوثق مما قام به أي رئيس سابق، لكن ذلك لم يكن كافياً لحل مشاكل جوهرية صعبة، بل من الأمور التي افقدت فهم القضايا ذات الأهمية الحاسمة للفلسطينيين وتناولها بطريقة مساوية لتلك الأهمية الإسرائيلية، لقد كان إطار كلينتون للرجعي، مثل صنع سياسة الولايات المتحدة كما يقرب من قرن من الزمان، منحازاً لإسرائيل، ومع روابط الصداقة الفلسطينية الإسرائيلية، فقد استمر حتى نهاية رئاسة بوش في النمط من منظور تركيز يشكك رئيسي على اهتمامات إسرائيل، بدلاً

للهدوء. إن فكرة أن الصراع لا يشمل كراهية غير مبررة فحسب إنما قوميات متنافسة، مفهوم لا يجد له مكاناً في إطار المرجعية، حتى يومنا هذا في الولايات المتحدة. إن هذه الرؤية الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية ليست ولادة اليوم أو حتى الأسس القريب بل تعود إلى فترات طويلة بحيث أصبحت جزءاً أساسياً في التفكير الأمريكي... وقيل ٤ سنوات أصدرت الكاتبة الأمريكية كاثلين كريستمن كتاباً حول تأثير هذه الانطباعات على صنع السياسة الخارجية الأمريكية بشأن الشرق الأوسط تناولت فيه تطور هذه الرؤية والانطباعات على صنع السياسة تجاه القضية الفلسطينية في كل إدارة أمريكية منذ وودرو ويلسون الذي ترأسم عهده مع إصدار وعد بلفور عام ١٩١٧. واختارت مجلة موجهات نظره.. أن تنشر الفصل الخاص بسياسة إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون من هذا الكتاب الذي سيصدر قريباً باللغة العربية عن دار قدس في دمشق.

بشكل لا نهاية له ودون تقدم، والذي بدا بدوره بعيداً من وضع حد للاحتلال الإسرائيلي، ومتيحاً لإسرائيل أن تعزز من سيطرتها، وأخرجت بمسرات لقف شباب فلسطينيين، وإطلاق الشرطة الفلسطينية والفرد من الميليشيا غير الرسمية التي أدى رد إسرائيل العنيف الذي تضمن إطلاق قنصاة إسرائيليين النار على رماة الحجارة وهجمات دبابات وقصف مروحيات على المنشآت الفلسطينية، إلى سلوط ضحايا في صفوف الفلسطينيين بلغ عدهم في يناير من عام (٢٠٠١ م) عندما انتهت مدة ولاية كلينتون في البيت الأبيض (٢٠٠١ م) تقريباً، معظمهم من الشباب، والفلسطينيون قتلوا حوالي خمسين إسرائيلياً، بين فهم جنود شاركوا في إطلاق النار، وبعض المدنيين الذين سقطوا جراء هجمات الإرهابيين، قامت بها

الشرقية؛ ومال ما يقارب من ثلاثة ملايين لإحدى فلسطيني من كانت ديارهم أصلاً في إسرائيل. وبعد شهرين، أي في سبتمبر من عام (٢٠٠٠ م) فإن زيارة استقرارية قام بها الزعيم السياسي العجيز الإسرائيلي آرئيل شارون إلى موقع للجيش للمسلمين واليهود على حد سواء، وما تبع تلك الزيارة من قتل سبعة فلسطينيين من الحشجين في المسجد على أيدي جنود إسرائيليين، فجرت انتفاضة عنيفة قام بها الفلسطينيون على امتداد الأراضي المحتلة. وقد أطلق على تلك الانتفاضة، المشبهة بالانتفاضة الفلسطينية التي اندلعت في عام (١٩٨٧ م) اسم انتفاضة الأقصى، وهو اسم المسجد الذي انطلقت منه، إجابات سبع سنوات من عملية سلمية أدى للفلسطينيين محكوماً عليها بالاستمرار

■ قبل ستة أشهر من انتهاء سنوات مدة رئاسته الثماني في يناير عام (٢٠٠١ م) واجه الرئيس بيل كلينتون أخيراً تلك القضايا التي كانت لأكثر من نصف قرن في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وهو الذي أعلن اعتدائه يعرفه جيداً وأنه ينتظر الحل. في الحقيقة، لم يكن الحل النهائي للصراع قريباً، وهناك رأى بأنه لم يكن لدى كلينتون، في الحقيقة، فهم جيد للصراع وجذوره، وللضحايا التي تتعنته ولوجهات نظر الفلسطينيين وإسرائيل.



عندما أنهى كلينتون مدة ولايته، كانت عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية على وشك الانهيار التام، ففي يوليو من عام (٢٠٠٠ م) سعى كلينتون لإنهاء العملية السلمية باستدعاء الزعماء الإسرائيليين والفلسطينيين إلى مؤتمر قمة في كامب ديفيد، للتعامل مع أكثر قضايا الصراع حرجاً. وبعد أسبوعين من المفاوضات واسعة بخصوص قضايا مثل مطلب إسرائيل أن تبقي المستوطنات الإسرائيلية في مكانها في الضفة الغربية وغزة والقدس الشرقية؛ والإصرار الفلسطيني على يمسك السيطرة على معظم القدس

لفلسطين في العقل السياسي الأمريكي
تأليف كاثلين كريستمن
ترجمة مفيد عدوني، مراجعة زياد مني
دمشق: دار قدس، (إصدار قريب) ٥٠٠ ص

لقد كان إطار كلينتون للرجعي،
مثل صنع سياسة الولايات المتحدة كما
يقرب من قرن من الزمان، منحازاً لإسرائيل،
ومع روابط الصداقة السطحية
بالأسماء الفلسطينية



العمل الأميريكي



كانلين كريستين

سبيل المثال، بدأت الولايات المتحدة تقلل من أهمية قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم (٢٤٢) كخطوة بداية للمفاوضات، وذلك، دون ريب، لأنه كان مطلباً تقضيه إسرائيل. إن عدم تشديد إدارة كلينتون على أهمية القرار رقم (٢٤٢) غير من هدفه الأصلي: ففي حين أن القرار يفترض، كما جاء في نصه، أن الأراضي المحتلة هي أراض عربية يمكن لإسرائيل أن تفاوض حول تعديلات عليها، جاء مفهوم الولايات المتحدة فيما يخص الأراضي المحتلة في فلسطين، الضفة الغربية وعرة القدس الشرقية، ليوضح أن تلك الأراضي في مجموعها وكلينتها إما أراض إسرائيلية، أو أراض متنازع عليها، والتي يجب على الفلسطينيين أن يفاوضوا بشأنها إن أرادوا السيادة، وإنهاء الوجود العسكري والمدني الإسرائيلي الكبير. إن الخط الذي اقترحه ناخفون باسم الإدارة الأمريكية، إنشاء مؤتمر القمة في كامب ديفيد في يوليو ٢٠٠٠م ويده، والذي يشير إلى أنه ليس بإمكان أي جانب أن يتوقع الحصول على كل شيء يريده في المفاوضات، كان موجهاً للفلسطينيين، ويحمل رسالة ضمنية أنه خلافاً لالتزامات السابقة، يجب على الفلسطينيين أن يحضروا لعملية السلام وهم متوقعون المساومة حول الضفة الغربية وعرة القدس الشرقية، وليس الحصول عليها واعتمادها.

بذلك غيرت إدارة كلينتون بشكل مثير نقطة البدء لعملية السلام، فمفصلة البدء المرفوعة للفلسطينيين هي القرار رقم (٢٤٢) وفق التفسير الأصلي، والفلسطينيون شعروا بأنهم قدمو جميع التسويات التفاوضية الرئيسية في عام (١٩٩٨م) عندما وقعت منظمة التحرير الفلسطينية على شروط مسبقة وضعتها الولايات المتحدة لإشراك الفلسطينيين في عملية السلام، بما في ذلك قبولها القرار رقم (٢٤٢) للاعتراف بإسرائيل، وفتحها في الوجود. وهم يعلمون هذا، فإنهم يتخلون عن مطالبهم في تلك الأجزاء من فلسطين التي تقع داخل حدود إسرائيل قبل عام (١٩٩٧م). وإسرائيل، من ناحية أخرى، لا تعترف بأنطباع القرار رقم (٢٤٢) على الضفة الغربية وعرة أو القدس الشرقية، ولم تقبل أبداً مبدأ انسحاب كامل. ولكي تضمن أمنها بشكل أفضل، وبسبب التعلق العاطفي الشديد الذي يشعروا به مع الإسرائيليين تجاه الضفة الغربية والقدس الشرقية خاصة، أرادت جميع الحكومات الإسرائيلية الاحتفاظ بكل المستعمرات أو معظمها، التي أقيمت في الضفة الغربية وعرة، وكل المستعمرات التي أقيمت بشكل خاص في القدس الشرقية، وتقسيمها وتوطينها الجديد لمعنى القرار رقم (٢٤٢) تكون إدارة حدود إسرائيل قبل عام قوضت منذ البدء أسس

شيء عدا أنها متوازنة. لكن يبالي الجد قاضاً بخصوص أن إحقاق كلينتون في دفع المفاوضات للوصول إلى نتائج جمعة، تركيزه الشديد على عملية التفاوض طوال الأشهر السبعة الأخيرة من ولايته، كان يعزى لاحتياض إسرائيل الميهين سلطاً على طريقة سياسة إدارته، وإخافه أن يفهم ويرزق بشكل متصا على وجهه النظر الفلسطينية أيضاً إزاء القضايا موضع التفاوض، وبإشراف ديفيد روس، الذي عمل في وزارة الخارجية كمنسق خاص في الشرق الأوسط طيلة مدني ولاية كلينتون، وكان مهذباً رئيسياً لسياسة الإدارة للقضايا الفلسطينية الإسرائيلية، سمح كلينتون بصنع سياسته لإسرائيل باستمرار بتحديد مناطق مفاوضات السلام، وكذلك جدول أعمالها وتيرتها، في مطلع ولاية كلينتون الأولى، على

عناذاً. وهكذا، في صراع محكوم بالمفاهيم أكثر منه بالحقائق، حل فتنان الصبر محل القرارات الحقيقية. رغم أن كلينتون أوشك على إنجاز إحقاق (مراسي) في مفاوضات السلام الفلسطينية-الإسرائيلية، فإنه أخفق في النهاية في التحرر من ذات النهج السياسي الذي حذ من التفكير، ولم يرق من سياسة معظم سابقيه من الرؤساء، ذلك النهج السياسي الذي ركز على الحوار على إسرائيل واهتماماتها بشكل أساسي، بدلاً من التعامل مع اهتمامات الفلسطينيين والإسرائيليين ووجهات نظرهم بشكل متساو. لم يعد كلينتون ورفيقه من صناع سياسة الشرق الأوسط أنفسهم محايين لطرف في الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، كما أنهم جالباو ضد أي تأكيدات بأن بؤرة اهتمام إدارتهم كانت

من أن يكون مركزاً على هوم الطرفين بشكل متساو.

كان تركيز كلينتون منصفاً على الدوام على عملية صنع السلام، بدلاً من الجوهر. فقد استقبل الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات ثلاث عشرة مرة في البيت الأبيض، أكثر من أي زعيم آخر في العالم؛ وتعامل بشكل ودي ومألوف مع المخاضمين الفلسطينيين؛ ونفّرغ مرتين لمفاوضات مطولة مع الفلسطينيين، خلال تسعة أيام التي احتجج إليها للتوصل إلى اتفاقية «واي» (Wye) في عام (١٩٩٨م) والاسموعين للموقوفين لنقطة كامب ديفيد المخففة؛ وكان على دراية بجغرافية الضفة الغربية والقدس الشرقية إلى حد جعل تباينه بقدرة على رسم خريطة وهو ناو، لكن كلينتون لم يتوصل إلى فهم عميق للقضايا الجوهرية الحاسمة التي فصلت بين الفلسطينيين والإسرائيليين حتى نهاية رئاسته، عندما أطلق، بشكل متأخر للغاية، مجموعة من الاقتراحات التي حددت الإدارة الأمريكية فيها لأول مرة مواقف الولايات المتحدة إزاء القضايا الرئيسية.



مع نهاية ولاية كلينتون، كانت الولايات المتحدة قد تورطت بعمق في الأزمة العربية-الإسرائيلية لمدة دامت أطول من الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. منذ خمسين عاماً اضحي الجميع، من معلمي وسائل الإعلام إلى الشعب بشكل عام، إلى صناع السياسة أنفسهم، متفكرين بسببها. وقاد الإنهك إلى فقدان الصبر، الذي أدى بدوره إلى ميل الولايات المتحدة لعدم الاهتمام بضمائهم لم تكن ذات شأن كبير للامريكيين، لكنها موضع اهتمام جوي للناخبين. وما عدا ذلك، عملياً، أنه، ومع أن الفلسطينيين رأوا اقتراحات إسرائيل في كامب ديفيد غير كافية إطلاقاً لخلق دولة فلسطينية، قادرة على الحياة، على أرض متصلة، وذات ما يعدونها عاصمة جدية بالاحترام، فإنهم تعرضوا لضغوط شديدة، على كل مستويات الخطاب الجماهيري في الولايات المتحدة، ليقبلوا ما عرض عليهم، ذلك إن الوقت كان يعضى بسرعة. من ناحية أخرى، خفيت إسرائيل بترحيب وإشادة كبيرين لأنها تترجمحت عن موقف الحد الاقتصادي، وإن عدا قليلاً من الأمريكيين كان يمتدح بفهم عميق للقضايا، وإن كلاً من إسرائيل والولايات المتحدة كانتا في عجلة من أمرهما، وكان الإصرار الفلسطيني على تمحيص القرارات ودراستها حتى يتم ضمان الاستقرار وقابلية التطبيق في دولة فلسطينية يعد

حتى بعد اندلاع انتفاضة الأقصى
كان لدى السياسة الأمريكية إدراك بسيط
لهاعاة الفلسطينيين اليومية، أو للسبب
الذي جعلهم يشعرون أن عملية السلام
أثبتت عدم ملائمتها





على البقاء على الأيدى وليست أطول عمراً من النوايا السيئة على الأرض.



انتمت سياسة إدارة كلينتون، طيلة معظم سنواتها في السلطة بالتشديد الكبير على عملية صنع السياسة على حساب جورها. اعتقد صناع السياسة في الإدارة بقيادة روس خاصة، أن مشاركة الولايات المتحدة في قرارات حاسمة، يجب أن تكون في هذا الأثنى، وأنه يجب أن يسمح للطرفين أن يتقدما وفق طريقتهما، تفاوض بالجور بدون تدخل خارجي، حيث يعتقد فريق كلينتون أنها تميل نحو الإضرار بالمفاوضات. مع أن ذلك الفعل يزعم أنه يبتني موقفاً خارجاً من الجهاد، في موقف تكون فيه إسرائيل الطرف الأقوى، يسيطر عليها ما يبا على كل الأراضي الخاضعة للتفاوض، والفلسطينيون في موقف لا يخرج لهم منه سوى موقف لفظي لدفع موقفهم للامام، فإن طريقة رفع أيدي الولايات المتحدة عن المفاوضات وعدم تدخلها كوسيط، ربما يصطف بطوق وراء إسرائيل، ويقطع لها طريقاً كاملة للتفاوض أو لرفض التفاوض إبراكاً منها لصالحاتها التي هي أدري بها، ونتيجة لها الحرية لتتخذ خطوات تراعى ضرورية لصالحها الأمنية الخاصة بها، حتى لو حالت تلك دون تحقيق مزيد من المفاوضات.

ومن منظور صنع السياسة، عندما يكون التشديد الرئيسي منصباً على العملية ذاتها، لا يكون الوسيط بحاجة كبيرة لمعرفة النقاط الجوهرية، وبالتالي لا يتوافر سوى دافع بسيط لحزمته. إن الدافع لتحقيق مزيد من العمليات، وجمع الأطراف معا على طاولة المفاوضات، في عملية فاضحة مستمرة، يمكن أن يكون الجوهر غامضاً غامضاً فعلاً وفي حالة الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، فإن تركيز صناع السياسة في الولايات المتحدة القوي على العملية بعد انتهائها، أدى إلى إخفاء المعلنة الأساسية التي تشكل دافعاً أولياً للفلسطينيين من محال رؤيهم، أو في تجاهلها، ويبدو أنه وقت طويل بعد انتهاء انقضاة القصي كان لدى صناع السياسة إبراك بسيط لما يعنيه الاحتلال الإسرائيلي المستمر لحياة الفلسطينيين اليومية، ولما أرادته الفلسطينيين في المفاوضات، وللمسبب الذي جعل الفلسطينيين، بعد سبع سنوات من الاحتلال الإسرائيلي المستمر بعد أوسلو، يشعرون أن عملية السلام ألغيت عدم ملائمتها. أطلع الرعيون في الولايات المتحدة الصحافة، بعد أن بدأت الانتفاضات أنهم أخفقوا في التوصل إلى عمق النقاط الذي يجيش بين أوساط السكان

المستوطنات. وترى منظمة العنف الدولية أن شبكة الطرق والمستوطنات في الضفة الغربية بنيت فوق أراض مصادرة من أفراد وقري فلسطينية تفصل المناطق الواقعة تحت السيطرة الفلسطينية، إلى أكثر من مائتي قطعة من الأراضي ليست مناطق متصلة. أما في القدس الشرقية، فقد ألغت إسرائيل بين الأعوام (١٩٩٥-٢٠٠٠م) تدميرها إقامة أكثر من ثلاثة آلاف عائلة فلسطينية، تشمل آلاف الأشخاص الإسرائيليين، كما دمرت بيوتاً للفلسطينيين شيدت بدون تصريح، كما شجعت أعداداً ضخمة من الإسرائيليين للمستوطنات القدس الشرقية وبنيت بيوتاً لها فيها.

ومع اقتراب نهاية عهد كلينتون، بدأ هو ومساعدوه يختلفون ذريعة في أن الفلسطينيين عرفوا عملية السلام من خلال "زعم عدا في المجتمع"، فهم لم يشكوا لجهود الفلسطينيين إلى العنف بانتفاضة التي اندلعت في سبتمبر عام (٢٠٠٠م)، بل أيضاً لأن الفلسطينيين أخفقوا في حذف التصوص الحرة، إسرائيل من السكت المدرسية المجردة، ووافوا في التحريض على الكراهية في نشرات الإذاعة والتلفزيون، وما دعا انتهاكاً لاتفاقيات أوسلو. استغل روس ذلك الموضوع في مطابحة الصحفية، كما استغلها كلينتون في خطاب سياسي رئيسي قبل أسبوعين على انتهاء ولايته. وذكر روس في إحدى مقابلاته أن المفاوضات ليست مجرد حلول فنية، بل هي تدور حول إيجاد مناخ. كما أرفد قائلاً: إنه طيلة عملية السلام، وأظن الفلسطينيين على خلق عدا اجتماعي بدلاً من التحضير لصنع سلام مع جيرانهم. وكلينتون قد أضاف أيضاً الفلسطينيين لإدارة العنف، قائلاً: "إنه يجب أن تكون المحادثات مقرونة بالاعمال، التي تلبث الثقة والشاركة. إن النوايا الطيبة على طاولة المفاوضات غير قادرة

قرارات جوهرية. بدأ المفاوضون الفلسطينيون والإسرائيليون محادثات الوضع النهائي في أواخر عام (١٩٩٩م) لكنها سارت بشكل متقطع وغير حاسم، وتاداً ما تنازلت القيادة الفلسطينية، وغالباً ما كانت تتخفى لخلافات حول أمور لا تخدم للمصالح النهائية بصلة. وطوال السنوات السبع السابقة على اعتقاد محادثات كامب ديفيد، لم يستعمل مفاوضو الولايات المتحدة الأطراف ليتوجهوا إلى مهمة تناول تلك القضايا الأكثر خطورة، ومن الأمور التي يمكن معرفتها لم تهباً أوريا خاصة للوضع، واستكشاف التحقيقات والمناظرات الجوهرية للقضايا، أو سبر نقاط اتفاق وخلاف محتملة. وفي الحقيقة، فمن الصواب أن نقول إنه مع أن تلك القضايا كانت أصعب الأمور وأكثرها أهمية استراتيجياً، لكنها ضايت عاتقة في الصراع تتناول صلب قرارات الهوية الاجتماعية والأمن الوطني لكلا الطرفين، لم يعمل الإسرائيليون والفلسطينيون والأمريكيون على إعداد أرضية لما كان يتوقع أن يكون أصعب مرحلة حتى الآن من مراحل عملية السلام.

في غضون ذلك، وبينما كانت مفاوضات الولايات المتحدة لعملية السلام تنوقف، تابعت إسرائيل تغيير الوضع على الأرض، الأراضي ذاتها التي هي هدف المفاوضات، وذلك باستمرارها في بناء مستوطنات أساسية وشبكة واسعة من الطرق تصل بين المستوطنات، والاستمرار في نقل المدنيين الإسرائيليين إلى تلك الأراضي. وخلال السبع سنوات التي تلت التوقيع على اتفاقيات أوسلو ازداد عدد المستوطنين الإسرائيليين في الضفة الغربية وغزة والقدس الشرقية ليعمل إلى (١٠٠ تقريباً) من (٢٥٠) ألف مستوطن تقريباً إلى حوالي (٢٧٠) ألف مستوطن، معظمها ينتسب جميع حكومة باراك الحالية للسلام، وكذلك من حكومة نتنياهو المنشدة الحالية لإنشاء

الموقف التفاوضي الفلسطيني، وتبنت فكرة البدء الإسرائيلية في المفاوضات. وبجعل الأمن الإسرائيلي موضع الاهتمام التام للولايات المتحدة في المفاوضات، والهدف الرئيسي لعملية السلام، منح مفاوضو إدارة كلينتون الإسرائيلي أيضاً الحق في وضع جدول أعمال المفاوضات. في معظم الأحيان، كان ينظر إلى القضايا التفاوضية وفق الأولويات الإسرائيلية، وعلى سبيل المثال، حظيت ضمانات أمن إسرائيل بأولوية أكبر من أي ضمانات مشابهة للفلسطينيين، أو أي جهد لسحب القوات الإسرائيلية من الأراضي المحتلة، أو في إزالة المستوطنات من الأراضي المحتلة. إن أوضاع مثال على الأولويات الإسرائيلية لأمن إسرائيل حدثت في يناير عام (١٩٩٧م) عندما توسطت روس وفريقه من المفاوضين لإبرام اتفاقية بين حكومة رئيس الوزراء بنيامين نتانياهو والسلطة الفلسطينية، على إعادة انتشار القوات الإسرائيلية في مدينة الخليل. فقد أجلت إسرائيل إعادة الانتشار، الذي كان مسرراً له أن يحدث في مارس عام (١٩٩٧م) إثر عمليات انتحارية بالمتفجرات قام بها إرهابيون فلسطينيون. أكد وزير الخارجية وأرن كريستوفر في رسالة تلعين إلى نتانياهو أن "المحضر الأساسي" في تناول الولايات المتحدة للسلام، "سيبقى على الدوام الاعتراف بالانتماءات الأمنية لإسرائيل"، مضيفاً أن الولايات المتحدة ملتزمة بمساعدة إسرائيل على مواجهة "الحاجات الأمنية التي تحددها، وزناً، أصدر تحديث باسم وزارة الخارجية بياناً يوضح فيه أن توفير وموافقات ثلاث عمليات من عمليات إعادة الانتشار الإسرائيلي في الضفة الغربية، كما جاءت في اتفاقية الخليل، هي أضافيا تقوم إسرائيل بتنفيذها، وليست ضاميا للتفاوض بشأنها مع الفلسطينيين".



دعا جدول الأعمال الذي وضعته اتفاقيات أوسلو كل الأطراف إلى البدء في التعامل مع قرارات الوضع النهائي "باسرع ما يمكن" في فترة مرحلة محددة لا تتجاوز مايو عام (١٩٩٧م) والتوصل إلى حل نهائي للقضايا، أي: اتفاقية سلام نهائية، بحلول مايو / أيار عام (١٩٩٩م). وبسبب إخفاق حكومة نتانياهو في استكمال انسحاب القوات الإسرائيلية المطلوبة خلال مرحلة مؤقتة، وبسبب عزز حكومة باراك فيما بعد عن تنفيذ التأخير المحددة، تم التأكيد حتى سبتمبر من عام (٢٠٠٠م). وخلال تلك الفترة الطويلة، التأخير، لم تجري أي محادثات جدية لأي

يجعل الأمن الإسرائيلي موضع الاهتمام

الطاعى للولايات المتحدة في المفاوضات،

والهدف الرئيسي لعملية السلام، منح

مفاوضو إدارة كلينتون الإسرائيليين

أيضا الحق في وضع جدول

أعمال المفاوضات





الغلسطينيين؛ فصناع السياسة كانوا في سبات عندما كانوا يعتقدون أن كل شيء على ما يرام على الأرض، من خلال ما شاهدوه من روابط شخصية ضللة بين الإسرائيليين والمخاضين الفلسطينيين. وذلك بعدة نوايا، وبخاصة أن كيف يمكن أن يعنى التركيز على العملية (العلاقات بين المتفاوضين) انتظار المشاركين بعمق في مفاوضات الجوهر (حقائق الحياة في ظل الاحتلال الإسرائيلي). والفلسطينيون أنفسهم لاحظوا أن تشديد الولايات المتحدة على العملية، يؤدي إلى خلق «مفهوم مزيف للحالة السوية»: فالطراف تلتصق، وذلك وحده يعتبر تقدما عندما كان السخط الفلسطيني يتقافى في الواقع، لأنه لم يتم إخراج أي تقدم على الأرض، وكانت موموم الفلسطينيين الأساسية، تصرف عن مسارها باستمرار من أجل الحفاظ على الحداثة.



إن الخلل المتواصل في طريقة تناول إدارة كليتوتون لعملية السلام الفلسطينية- الإسرائيلية، يمكن في إحقاقها أن تدرن أن اختيارها التكي إلى جانب واحد لضمان أمن إسرائيل الكامل يعنى بالضرورة أنها غير مستقر للفلسطينيين. عمل كليتوتون وفريقه، صحت السياسة، الذي من المسلم به أن يكون قد بدأ منذ زمن بعيد استيعاب النهج السياسي المخاض لإسرائيل، والسائد بين أوساط الأمريكيين، على أساس أن مخاوف إسرائيل الأمنية عميقة جدا، وأن مهمة الولايات المتحدة الأولية، من خلال علاقات متكافئة فريدة بينها وبين إسرائيل، أن تتكلم على تلك المخاوف. وبالتنتيجة، فإن صناع السياسة الإسرائيلية اتخذوا موقفاً يكونون فيه غير عادلين أن يروا حاجات الفلسطينيين الأمنية، ومعرفة السبب الذي جعلهم يشعرون أن عملية السلام فسترت في ضمان تلك الحاجات. والوسط الذي يشهد على الهواجس الأمنية لطرف واحد، ويتجاهل أو يرفض النظر عن المهم والهاجس الأمنية للطرف الآخر، لا يعد وسيطاً منصفاً.

يبدو أنه كانت لدى كليتوتون ذاته عواطف حقيقية تجاه الفلسطينيين الإسرائيليين، وقد سماها مرة «الأمم الزروع» التي يمينه الفلسطينيون في ظل الاحتلال، إضافة إلى معاناة اليهود الماضية، «والوابة المعينة للإسرائيليين العيش دون مخاوف». وقد تمتع كليتوتون بقدرة فذة تمكنه من أن يتحدث مع الآخرين عن مشاكلهم، بطرق سطحية على الأقل، مع أن قدرته الضمنية «أن يشعر بملك» كان موضوعاً يدعو للاستعجان

والمستوطنات الإسرائيلية أكثر من أي رئيس وزراء إسرائيلي سابق. لكن الهوة بين الطرفين بقيت شاسعة بالمعنى المطلق. كان الطرفان «قريبين» من التوصل إلى اتفاقية نهائية لن القضايا الفلسطينية، في بعم التفرق إليها فجأة؛ كانت تذاذات بباراك مهمة جداً ليس لأنها تنازلت إلى حد كبير، بل لأن إسرائيل لم تقدم تنازلات حول القدس أو المستوطنات قبل.



وما يكون من الدقة أن نحكم على التقدم الذي تم إحرازه في عملية السلام منذ ثلاث سنوات ولا يكتفيون أن نحن قدزنا التقدم الحقيقي على الأرض مقابل ما هو في الواقع. ففي بداية عملية سلام أوسلو كان التوقع العام، مبنياً على قرار الأمم المتحدة رقم (٢٤٢) وعلى سياسة الولايات المتحدة سابقا، أن اتفاقية السلام الإسرائيلية سوف تصدر عن انسحاب إسرائيلي عسكري ومدني من كل الضفة الغربية وغزة ما عدا جزءاً صغيراً منها. إضافة إلى تقاسم المباداة بين الفلسطينيين وإسرائيل في القدس الشرقية، إن «المقيمين» التي عرضها كليتوتون في نهاية وإياته تقدم غرضاً لصيغة عامة تلبي في الاتفاقية المنقول. لكنها جاءت متأخرة. لم يخلق عملياً أي شيء من توقعات أوسلو ولم تتجاوز ذلك من سبع سنوات في عملية سلام. ترمي إلى التوصل إلى نتائج سريعة وسهلة نسبياً. انسحبت إسرائيل من بعض المناطق في الضفة الغربية، وغزة، مانحة الفلسطينيين حكماً ذاتياً كاملاً في المدن الفلسطينية، لكن شملت تلك المناطق (١٧٪) من أراضي الضفة الغربية. وبعد سبع سنوات، احتفظت إسرائيل بسيطرةها العسكرية والمدينة على (٨٣٪) من أراضي الضفة الغربية، وكذلك ربع أراضي غزة. بقيت مدينة القدس الشرقية تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة. ازدادت أعداد المستوطنين الإسرائيليين، والمستوطنات، وشبكة الطرق المتقاطعة المتصالية في الأراضي المحتلة. ونقاط التفتيش التي تمنع تنقلات الفلسطينيين، واستمر أمن (٣٧٠,٠٠٠) مستوطن إسرائيلي يخفي بالاولوية من أمن شوعية حياة ثلاثة ملايين فلسطيني تقريبا.

في نهاية المطاف، أخفقت إدارة كليتوتون في إنجاح عملية السلام جراء اختلال هذا التوازن. لقد دفع الوقت أخيراً لتحقيق اتفاقية راسخة متوازنة، لأن التركيز الرئيسي لإدارة كليتوتون كان في النهاية تلبية حاجات الأمن الإسرائيلية، وليس حاجات كلا الطرفين. ■

زاد من اجتماعه بالمسككة العربية الإسرائيلية. وأخيراً، حين السحب الأساسي لارتفاع وتيرة العداء المخاض تجاه الفلسطينيين، هو هيمنة نهج سياسي ينحو إلى أن يهتد بوجهه نظير الإسرائيليين وليس الفلسطينيين، حيث عد الإسرائيليين أناساً متحيزين يشعرون الأمريكيين، بينما رأى الفلسطينيين والعرب عموموا أناساً متوحشين وغير متحيزين. يعمل محرر افتتاحية الذي تتعامل حول «طبيعة» الفلسطينيين جيداً، لأن بعضهم قد قتل مدنيين إسرائيليين أبرياء، دون أن يخطر على بالهم أن يسأل عن طبيعة جميع الإسرائيليين، لأن بعضهم قد قتل مدنيين فلسطينيين أبرياء عدداً كبيراً من الإسرائيليين الذين يرون الصراع وعملية السلام من خلال إطار للمرجعية منحاز نحو إسرائيل ومصالحها فقط. فمة رأى شائع نشأ من إطار مرجعية تجاهلت وجهة نظر الفلسطينيين، يرى أن الفلسطينيين يتصرفون انطلاقاً من كراهية عمياء. وليس من معاناة مشروعة، وهو رأى تم التعبير عنه، على سبيل المثال، في مجلة «تايم» في الأشهر الأولى من الاتفاقية، حيث تعزوا إلى الكراهية.



تحدث كليتوتون نفسه وكذلك فريقه في صنع السياسة، من حين لآخر في الأشهر الأخيرة من رئاسته، كيف أن الفلسطينيين والإسرائيليين كانوا قريبين جداً في مواقفهم اتقائومية، بعد فكة كاتب بقيد. كان الطرفان فعلاً قريبين أكثر مما كانوا عليه من قبل من التوصل إلى اتفاقية نهائية؛ فقد عرض بباراك، كما يتقايها بذلك ومؤيدوه في الولايات المتحدة، مزيداً من التنازلات بخصوص مدينة القدس



خلال السبع سنوات التي تلت التوقيع على اتفاقيات أوسلو ازداد عدد المستوطنين الإسرائيليين في الضفة الغربية وغزة

والقدس الشرقية ليصل إلى (٥٠٠٪) تقريباً،

من (٢٥٠) ألف مستوطن تقريباً إلى

حوالي (٣٧٠) ألف مستوطن





تراجيديا كربلاء

فاروق عبد القادر

فاروق عبد القادر

الفصلان الخامس الذي يتناول «سوسيولوجيا الخطاب الشيعي للجزء الحسيني»، ثم السادس «الخصائص الفولكلورية للجزء الحسيني»، ففيهما تتلمذ أبرز وجوه أهمية الدراسة كلها على نحو ما سبقت الإشارة.

فيما يتعلق بمضمون الخطاب الشيعي يحدد الباحث موقفه من البداية: «إن هدفنا.. ليس المفاضلة بين خطاب وآخر، ولا الدفاع عن أحدهما ضد الآخر، فإنا لست داعية من الدعاة بقدر ما أنا باحث اجتماعي أحاول دراسة ظاهرة دينية ذات محتوى اجتماعي-سياسي، وفي الوقت ذاته ظاهرة فولكلورية شعبية ترتبط بالتراث العربي الإسلامي...».

وليس فينا من يجهل أن تراجيديا كربلاء أومساة الحسين، وليس المرء بحاجة لأن يكون شيعياً أو متشيعاً كي يفهم دلالاتها. فقد بقيت في الضمير الإنساني كله أسطورة تضحية وفداء، وسعى إلى إثبات الحق وشرعيته في مواجهة القوة، والتضحية بالحياة ذاتها لإثبات صحة القضية. أما عن الشيعي العراقي-وهو ما يعنينا هنا في المقام الأول، فقد ارتبطت ثورة الحسين وشخصيته ومبادئه وبطولاته وتضحيته بالكرم، والكرم بالأهل، والأهل بالإتقان والخصال النفيسة، من أجل الإرادة الإلهية التي قررت ذلك الكرم وتلك الشهادة وتلك الإتقان، لأن البشرية لا

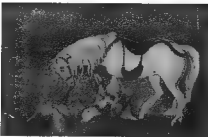
السلطة الحاكمة في العراق. من أول الدولة الأموية حتى آخر نظام صدام حسين، إنما يلقي الضوء على دلالة الطقس ووفائقه، وبعضه يلقي الضوء على بعض ما يحدث في عراق اليوم، وما أفطن أنه سيتطور في المستقبل القريب، حين ينتظم الصراع ويشد بين الدولة الغازية والشعب المحتل، وفي ظل أن الشيعة سلبيون فيه دوراً مهماً، إن لم يكن أهم الأول.

يقسم الدكتور إبراهيم الحيدري دراسته إلى مقدمة وخاتمة وسبعة فصول. أهم فصول الدراسة عذري

العراق. وشهد ملايين الناس زحف الملايين نحو كربلاء ليشاركوا في «أربعين» إمامهم الشهيد. جزء مهم للاحتفال بمصرعه في العاشر من محرم. ولابد أن هذا الذي شهده كان موضع جدل ومناقشة. ولعل بعض ما كان فيه كان محلاً لنقد أو استنكار (خاصة المشاهد المتعلقة بالإثداء الجسدي)، ورأيت ثمة أهمية مضاعفة لوضع هذا الطقس في سياقه الموضوعي الذي حاولته صاحبة الدراسة. هذا من ناحية. من الناحية الأخرى فإن السياق التاريخي لهذه الظاهرة وبطورها، وما عاتته -معظم الأحيان- من قهر من جانب

■ ■ ■ لفت هذا الكتاب اهتمامي منذ قرأت للمرة الأولى -قبل أكثر من عام- رأيت فيه وجوه امتياز عديدة، لعل أهمها أنه أول دراسة عربية -فيما أعرف- تضع هذه الظاهرة -طاهرة «التعزية» -في سياقاتها الموضوعية المتعددة، ثم إنه يلتزم منهجاً علمياً صارماً في تناولها (أغلب الظن أن الكتاب دراسة علمية للحصول على درجة من جامعة ألمانية)، تتعدد مصادره ومراجعته (في اللغة العربية والألمانية بوجه خاص)، وتشمل مصادره دراسة ميدانية قام بها في «الكافية» في ١٩٦٨، وصاحب الدراسة نفسه -الدكتور إبراهيم الحيدري- يلفت في أحد هوامش كتابه عبق جذوره في صميم موضوع بحثه. في حديثه عن إنشاء «الحسينيات» كمؤسسات دينية وثقافية في عراق النصف الثاني من القرن التاسع عشر، يشير إلى أن أولى هذه الحسينيات في بغداد هي «الحسينية الحيدرية»، وعنها يقول: «شيدت حسينية آل الحيدري في الكاظمية من قبل جدها الكبير السيد محمد ابن أحمد العطار الحسيني (الحيدري) عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٦م (هامش ص ٦٨)، ثم كان ما حدث -وما يزال يحدث -في

تراجيديا كربلاء
سوسيولوجيا الخطاب الشيعي
إبراهيم الحيدري
دار الساقي، بيروت، لندن، ١٩٩٠



العباس بن علي، حامل راية الحسين، وهو ملقّبون الزارعين، وما جرى بعد ذلك من هجوم جند بني أمية على مخيمات أهل البيت وأحرارهم وأخروج الأطفال والنساء خائفين مذعورين، ثم يتحول إلى وصف السيدة ليلى، أم علي الأكبر بن الحسين، وهي تودع ولدها الخارج للقتال، ثم حين تنظر إليه يسقط صريعاً، ويصف مصرع القاسم بن الحسن الذي كان شياًً وسيماً ينأبئ للزواج من ليلة عمه الحسين فسقط صريعاً وأسمي «عريس الهواشم»، ثم يصف مقتل الرضيع عبد الله بن الحسين بسهم سموم وهو بين يدي أبيه، وموقف الإمام علي الأصغر بن الحسين، وهو مريض طريح الفراش، يشهد مصارع أهله من سني النساء والأطفال وهو لا يستطيع شياًً.



ويضيف الباحث: «تاريخياً، كانت طقوس الموت والحزن واليكاء معروفة في المجتمعات والأيان الشريفة القديمة، وبخاصة في بلاد النهرين، حيث تكررت الخصال في الميادين ومناحاتهم على خرابي سوم وأكاد، وكذلك مناحات عشتار على فقيدها إله الربيع الملقون «تموز»، في سوم القديمة، بنواح زيب على أخيه الحسين وليلى على ولدها الأكبر في كربلاء، بعبارة أخرى: تعود الميولوجيا القديمة إلى الظهور وقد ارتبنت ثوباً يلائم مفاهيم العقيدة الإسلامية.

من هذه التفاصيل أيضاً ما يتعلق بالآل في ظهور المهدى الملقون، ولأنه في أنه لم يتغير ببؤس الجاهل، ومن ثم يرتبط الانتظار بحال الحسين الذي أصبح ظناً ومفهومنا... هناك يعني أيضاً أن نهاية العالم قد اقتربت، وإن كان علامات ذلك واضحة تؤكد كبر ظهوره... وحين يظهر الإمام المهدى، سوف يمد الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً... لهذا يذهب آلاف الناس إلى «سامراء» زيارة المكان الذي يعتقد أن الإمام المهدي قد اختفى فيه عن الانتظار، وهو يسمى «سرداب الخفية»، وإزيارته آتاب محددة، من بينها أدعية تلى في هذا السرداب، منها من الدعاء الذي يوضع عليه الشاهنشاہ كنه: «إلهي، غطم البلاد وجرح الخفاء واكشف الغطاء واقطع الرجاء وضائع الأرض وتفتحت أسقف السموع، أنت للمساعين

واليك المشتكى عليك المغول في الشدة والرخاء... إلخ». ومن التفاصيل المرتبطة بهذا التصور العام كذلك ما في التمازي من تعبير عن القتل والإحباط، هنا يناقش المؤلف قضية يسكت الكثيرون عن مناقشتها (وإن كثر الحديث حولها بعد الأحداث الأخيرة) في قضية الطائفية وعلاقة السنة والشيعية، وهو يحدد موقفه منها ورويته لها بوضوح كامل: «مثل أية ظاهرة من الظواهر الاجتماعية تخضع «الطائفية» في العراق فيما بينهم على نات يحد سياسي، وليس دينياً أو عنصرياً أو ما شابه ذلك، فلم يحدث أن اختلف المسلمون في العراق فيما بينهم على مسائل ومشاكل ذات أساس ديني...» وفي الواقع، فما يحدث من اختلاف في العراق هو، في أغلب الأحيان، «تمايز طائفي» ذو أبعاد سياسية، مصححة، دفع إلى تثبيت سلطتهم ومصالحهم، من أجل تثبيت طائفته من أخرى...».

ويستعرض المؤلف تاريخ هذه الظاهرة في العراق الحديث، كاشفاً مختلف عوامل الاقتصادية والاجتماعية المؤثرة فيها، ويرى أن أبشع أنواع هذه الظاهرة الذي يلقاه الشيعة، إلى جانب حرمانهم من كثير من حقوقهم المدنية، هو «الخوف من إعلان تشييعهم وعجزهم عن الجهر به...»، رغم ذلك يجسلي الحكم العام صحيحاً: «في الحقيقة والواقع فلا وجود لأصراع طائفي في العراق، فلم يحدث ولا تنازع شرعي رسمي على عقيدته، ولا عريبي مع كروي على قوميته، واتسلم وغير مسلم على دينه، وإنما حدث بين قسم من هؤلاء وبين السلطة الحاكمة... هناك حقيقة أخرى لابد من ذكرها وهي أن النظام السياسي الحالي لم يلزم في الواقع بهوية الدينية... الخفية بقدر ما يلزم بمصالحه السياسية... من هنا يصبح الصراع «الطائفي» - صراعاً سياسياً للدرجة الأولى قبل كونه صراعاً مثنيياً...».

ترتبط بهذه القضية أخرى نرى هذه الأيام أيضاً، وهما كذلك يلتزم الدكتور الجبوري موقفه الثلاثي بطرحها الذي يراه اجدي من السكوت عنها: «إن التشييع بعروية اشيعي ووطنية إننا ننطلق من نظرة خاطئة وديرة غير واعية وواقع مصلحي، وهو تشييع في روح المواطنة والكرامة...» من مطلق التمايز والتمييز

تعرض الشيعة في العراق إلى أخطار بالغة باتت تهدد وحدة الشعب العراقي وكيانه وهويته ووطنيته، وارتفعت شعارات مهمتها ترويح اتهام الشيعة «بالتبعية الإيرانية»، وهي تهمة خطيرة مهدت لعملية استلاب وطنية خفية كان من نتائجها المباشرة تهجير قسري لمئات الألوف من العراقيين «الشيعة» إلى إيران في نيسان ١٩٨٠ قبيل الحرب العراقية - الإيرانية ويعدها، بعد أن اغتصبت حقوقهم في العروبة والوطنية، وصودرت أملاكهم للمقولة وغير المقولة، وأهينت أكرامهم وإنسانيتهم، وفي الوقت ذاته، اضطرت عشرات الألوف من الشباب والتجار وعلماء الأديان والآباء والمثقفين والفنانين الذين لم يقبلوا المشاركة بالسياسة السياسية العراقية، إلى هذه الإجراءات التعسفية إنما جاءت كتبرير مغطى لأساليب التمييز والتمييز «الطائفي» وأشكال العزل والاضطهاد التي مارسها السلطة نفسها، وليس من قبل أهل السنة، عرباً وأكراداً، إن كثيراً منهم مضطهدون أيضاً من قبل السلطة، التي يبالغ في رأسها قلبية عشائرية متسلطة ومستبدة ووطنية في آن...».



ومن التفاصيل المرتبطة بهذا التصور العام، أيضاً، التعبير عن الرفض والاحتجاج، ويظهر هذا التعبير بشكل مباشر أو غير مباشر، وخلال الاحتفالات بذكرى استشهاد الحسين تتحول مواكب الحزاء في أحياء كثيرة، إلى فرص مناسبة لعرض حالة الغمر والغضب الخفية... «وعالياً ما يتم ذلك النظام من خلال مقارنة استبداد بوزمه باستبداد معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد، قاتل الإمام الحسين، في الوقت الذي يتحول فيه يزيد من معاوية إلى «مؤذن»، ظلم واستبداد، يكون الحسين، من الجهة الأخرى، «مؤذناً مثلاً للرفض والثورة على الظلم والاستبداد» في سبيل الحق، وبهذا يصبح الحزب الحسيني، إلى جانب تطلعه وأهدافه الصراعية، وسيلة من وسائل التعبير عن المخرج الخفي مع النظام القائم ومقاومته في الوقت ذاته بشكل صريح أو رمزي...» وبذلك الكاتب على رايه تصويراً مبثورة هائلة من القصاد الشيعة



تراجيلدا كريلاء



(يحول دون الاقتباس عنها صعوبة عاينيتها على فهم غير اصحابها)، تعبر عن كل وظائف مواكب العزاء، ويوجد المؤلف إلى التاريخ القريب ليكشف عن استفادة حركات المعارضة الوطنية من هذه الاحتفالات لتحيية التضامن في مواجهة عدو واحد، فخلال فترة الاحتلال البريطاني للعراق تضامنت اللووف في وجهه واحد، وتحتل هذا، بوضوح، في ثورة ١٩٢٠: «وفي أيار من ١٩٢٠ شهد العراق ظاهراً لم تكن مألوفة هي تبيد عوامل الاختلاف والتباين بين الشيعة والسنة، ووحيد صوفهم، وقد تميز ذلك التقارب بإقامة احتفالات دينية تجمع بين المحدثين على الطريقة السننية ومجلس العزاء الحسيني على الطريقة الشيعية...» وقد أثار ذلك التقارب مخاوف الإنجليز، الذين حاولوا مراراً إثارة الشناعات القومية والطائفية لتضعيف التفرقة والصراع الطائفي والديني والاثني... (الآثارهم يتلفظون الآن على يليقوا دورهم القديم في العراق) (٢). السنتا صلب على أرض صلبة إذن، حين تكاد تكون والظن أن هذا التقارب سيوف في وجه الاحتفال الجديد؟



يستعرض المؤلف أشكال وأنواع مواكب العزاء، هناك، أولاً، «مواكب الطامة»، يتكون الموكب من مجموعة أو عدة مجموعات من الرجال، تقوم بملحظ صورها بالأيدي، ومن تكرر المواكب شعبية وانتشاراً في العراق، وهي تتنقل مساة كل يوم خلال الأيام العشرة الأولى من شهر محرم، ويصحب بظلمات إيلافية، وخلال مسيرتها تقوم كل جماعة بتبريد «ردة»، ومجموعة «رياء»، أي ملطفاً من ملطاف قصيدة شعبية، أما مضامين الدرات فهي، على الأغلب، مدح وثناء وتعداد لشجائ التني وأهل البيت، وقد يتضمن بعضها شتمات سياسية وانتقادات اجتماعية. ويلاحظ المؤلف أن «أول الدرات نالت لحنوى السياسية كانت من محرم من ١٩١٧، التي وجهت ضد الاحتلال البريطاني للعراق، أما الثانية فكانت عام ١٩٢٩ عند مقتل الملك العزة بطرقة غامضة...» (٣). وقد تطور المحتوى الاجتماعي والسياسي لقصائد العزاء الحسيني مع التطورات والتبدلات التي

حدثت في الجُمُسيات والستسيات... ففي عام ١٩٦٨ كان محتوى عدد كبير من الدرات الحسينية في الكاظمية وكربلاء هو انتكاسة حزيران عام ١٩٦٧... وقد أعلن لشراء المواكب فشيهم واستنكارهم للهيمنة الكبرى، وخنوع الحكام العرب ومن يفل وراءهم...» ثم هناك «مواكب الطلم بالاسلاسل الحديدية (الزنانجيل)»، «الزنانجيل» مفريها: «زنجيل»، أي محورة عن كلمة «زنجير» الفارسية التي تعني السلسلة، ويتكون «الزنجيل» من مجموعة من السلاسل الحديدية الصغيرة المربوطة من الأسفل بمقبض خشبي أو حديدى، يضرب بها على الظهر والكفوف، «وكان في مدينة تقريباً...» (٤). تقوم مواكب الزنانجيل بطوقها عصرًا ومنذ اليوم الخامس من شهر محرم، وتبدأ مسيرتها بتجود الساعة الرابسة أو الخامسة مساءً متجهة نحو صحن الكاظمية على شكل قطرات بيضوية أو مستطيلة... وهم يرتدون ثياباً طويلة سوداء مفتوحة من جهة الظهر حتى الكتفين ليتمكنوا من الضرب بتلك السلاسل الحديدية، وخضوة فخطوة يسير بالمواكب وهم يضربون بالسلاسل الحديدية على الكف اليمنى مرة ثم على الكف اليسرى مرة أخرى. وهكذا في إيقاع ثلاثي مع ضرب الطبول وصوت الأرباق والصنجات...»

أخطر المواكب وأشهرها، وما يبرزف إليه كثير من الجدل والاستهجان «مواكب التظهير بالسبوف (القمامات)»، «التظهير» هو جرح الرؤوس الحليقة بالفاقيات بضرمت لينة معيقة، أما «القمامات» ومقرها «قائمة» فهي سبوف مستقيمة، حادة الجانبين، تشبه السبوف الرومانية القديمة، وتبدأ مواكب المطربين بطوقها قبل شروق شمس يوم العاشر من محرم، ويرتدي المشاركون أكفألب البيضاء ملطقة بالمدم غُش عليه، ونحن نفاء الحسين،» ويسرون في شكل يبيضوى على إيقاع لحن جفجفى، وإشاد النائح وهو يريد مرتبة خيضة، يتقدمهم حاملو الأعلام وفي راياب بيضاء مخضبة بالدماء رسم عليها سقاف متقاطعان بينهما رأس مقطوع يرمز إلى رأس الحسين، ويضع الموكب تصمل لياقوا يرمز إلى نعشه، ويتبع التابوت عدد من الخيول

العربية يتقدمها فرس الحسين البيضاء، وقد أُلحظ سرجها ولجامها بالدم...» وعندما يصل الموكب إلى الصحن الكاظمي يتصاعد جوامع المطربين، وعلى إيقاع الطبول والأرباق وهتافات الجمهور الحاشد، ترتفع الضريات على الرؤوس بوناثر سريعة حتى تصل إلى ثروتها بين يديها البعض منهم بالنضرب في رأسه بقوة بحيث تحدث شرخاً في الراس ينزف دماً غزيراً، وقد يسقط البعض منهم مقشياً عليه، وقد حدث أن توفي البعض منهم... (٥). ونحن ننظر البرء إلى هؤلاء المطربين يرى أمامه منظراً مرعباً ورهيماً... تكادأدية من ذوات رؤوس دمدا نظائر كاهنهم المشمة نسل منها بقاء قابلية تغطى جباههم ووجوههم واكتفائهم البيضاء...»

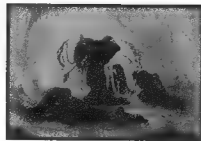


وقد ناقش المؤلف هذين الموكبين الآخرين الذين يشتملان على إيداء بالغ للجسد أكثر من مرة (راجع، بوجه خاص، الفصل السابع «محاولات الاستغلال والتشويه» تحت عنوان «محاولات الإصلاح»، ص ٤٤ وما بعده، راجع كذلك ص ٤٧٢ من الفصل نفسه). ومن مناقشاته المتعددة نستنتج ملاحظتين: أولاً، أن علماء الشيعة ومجتهديهم لم يتفقوا على رأى موحد في هذه الممارسات بتحريم القاطع أو الجواز الصريح، ويرى المؤلف أحد أسباب هذا الموقف أن «كثيراً من علماء الشيعة يعتمدون في زعمهم على ما يقدمه الناس من حقوق شرعية إما لمرجعية الدينية أو وكالتها التفتشيرية في جميع أنحاء العالم الإسلامي...» (٦). إن ابتداء تشييع طاعة الحكومة وعدم قبول أى عطاء منها أوقع البعض من العلماء تحت راية العامة من الناس الذين هم مصدر زعمهم، وبخاصة في الأحيان التي مورست فيها مفقوس ومراسيم تعارض مع روح الاسلام ومبادئ ثورة الإمام الحسين...» ويذهب أن هذا لا ينطبق على كل علماء الشيعة ومجتهديه، ويتابع المؤلف: «بتقصيل وحماسة... وسبيل المصلحين منهم، وبوجه خاص السادة الشيوخ: محمد رضا الطاهر وآل الدين الشيرازي...» حسن الأمين صاحب «رسالة الفريضة

في أعمال الشيعة»، ومحمد جواد مغنية وسواهم. وعلى أى حال، فليس هذا وجه عدم الاتفاق الوحيد بين علماء الشيعة ومجتهديهم، فمة ما لا يكون أهم وأخطر، هو عدم اتفاقهم حول ممارسة العمل السياسي والخدمة العامة، من ناحية، أو الانتكاسة على دراسة الأصول والاعتكاف بالتحقيق فهى، وبالتصرف في عالم السياسة وما يوج به من أساء والإساءة من الناحية الأخرى (يكتب الدكتور الحيدري ما يمكن أن يسفر بعض الظواهر التي نشهدها في عراق اليوم: «بلى الشيعة يظفون من عقال الحكم وما يمت إليه بمسدة مؤلفاً سلبياً، حتى على المستوى الفردي، فهم يتحاشون الحكم والحكام ويظفون الانخراط في وظائف الدولة والدخول في الخدمة العسكرية، ويؤمنون أن يصبحوا جناراً وحمله شهادت عالية ومالكي عبارات وكراش زراعية، على أن يكونوا رجال دولة وعسكريين وجلبو مسابين...» (٧). ورغم «تسييس» الجمهور الشيعي بتأثير أحداث الهولاء التالية على الجُمُسيات، إلا أنها سافلا ترى مفاهير ونسج «أصداء تلك الاختلافات حتى الآن». للاختلاف الثانية التي يذكها المؤلف أكثر من مرة كذلك هي أن طلوس التظهير بالسبوف والضرب بالسلاسل ليس لها جذور في أرض العراق، فهي لم تكن معروفة حتى أوائل القرن العشرين، وأن أصولها ليست عربية بل نخلت العراق عن طريق بعض الحجاج الذين يقدون من أذربيجان التركية بزيارة كربلاء والنفخ عند عودهم من الحج إلى مكة...» وكانوا يقومون بضرب رؤوسهم بالقمامات التي يجلونها معهم...» (٨). كما دخلت طريقة الضرب بالسلاسل على الظفر عن طريق الهنود الذين استقروا في العراق وكربلاء والكاظمية، كما نخل معهم بعض ما يَحمل في مواكب العزاء مثل علم الزكي، وغيره...» وسواء كانت من أصول فارسية أو تركية أو هندية أو سواها، فإن عالم الاجتماع لا يخيى زاية الواضح الجدل، «لقد اختلل البعض ثورة الإمام الحسين بإعادتها الثورية ومعاينتها السامية وإعادها الإنسانية، بتحويلها إلى مجرد طلوس ومناشاة مأسوية لا تعبر إلا عن جسدى وتغيب ذاتى، ويطرق سلبية كوصية، في الوقت الذي يمر الشعب العراقي في أعق محنة من



تراجميديا كيربلاء



التمزق والعجز والنعوص، وإذا كنا مطالبين بانتهاج مبادئ الحسين واهداف ثورته السامية التي تدعو إلى ضرورة احترام الإنسان للدفاع عن كرامته، علينا التصدي لأي إذلال ونكوص واتخاذ مواقف راض وتحد، كما فعل الحسين...
والتي أود اللؤلؤف عند «الفاخرة» المسرحية، في هذه الطلوس، ليس فقط لوعي الدائم بأن المسرح، ولكن أيضاً لأن «مسرح التعتية»، موضوع شغل مسرحين العرب، وغير العرب، وكان محل دراسات واجتهادات، ومازال يحتفل المزي.

وسوف نجد في هذه الطلوس شكلين من أشكال «المسرح»، أولهما مسيرته المواكب الكبرى حسب وصف الدكتور الحيدري لها في بحثه الميداني في المائتة في ١٩٨٠، وثانيها مسرحية «الشبيبة» أو «التشابه»، وهي التي ينصرف إليها تعبير «مسرح ليلة عاشورا».

تبدأ مسيرة المواكب عادة منذ اليوم الخامس من محرم، في حدود الخامسة مساءً، ماعدا يوم عاشورا حيث تخرج المواكب الكبرى في الصباح. يقوم كل موكب من المواكب الرئيسية بمسيرة خاصة به، وتتكون المسيرة من خمسة وعشرين كيرت، تمثل الأولى معسكر الإمام الحسين والأخرى معسكر بني أمية، وتقوم بإستعراض شعبي فولكلوري، شبه عسكري، يرتدي المشاركون فيها أزياء عربية تقليدية ومتنوعة، وتتصدر كل موكب فرقة موسيقية شعبية تعرف لحناً عسكرياً بسيطاً بألوان موسيقية هوائية، وتبدأ المسيرة بمن يمثل أهل البيت وانصرامهم بتقديمه حاملو الرايات الكبيرة متعددة الألوان، يتبعهم مجموعة من الخيول العربية ذات المسرج والى كذا بقوله عدد من الرجال في بزات عسكرية.



في هذا الإطار الواسع تتجسد الشخصيات الرئيسية في التقدم، يأتي العباس بن علي، حامل راية الحسين، وهو يعطي فرساً عربية ذات سرع لدين، وقد ليس رد حديدية، وحمل صليب.

بيمينه، وهو في قميص أخضر وعقال أخضر كذلك، يتبعه فارس شابان يمثلان على الأكبر بن الحسين والقاسم بن الحسن، وسط مجموعة من الرجال والصبيان يظهر الإمام علي بن الحسين الملقب بالسجاد وهو مقلد تبعد عليه أمارات المرض، خلفه سير فارس أسود هو الحر الرشيح، الذي كان أحد قواد جيش الأيوبيين لكنه انحاز إلى جانب الحسين وقاتل واستشهد معه، يتوسط المجموعات «موكب العريس» أو «زفة القاسم» التي تتكون من مجموعة من الشباب والصبيان يحملون على أكتافهم «قبة القاسم» وهي غرفة مقلدة الشكل مزينة بالفاخرة حريرية ملونة وأضواء وتشموع ومزهرجات وأضغان شجر ورود، من عدد من الصبية يحملون صواني فيها شموع وحنا وأغصان الأس، ثم يظهر القاسم بن الحسين، يمثل دوره شاب وسيم في زي عربي على فارس مطهنة، تقول القصة إنه كان مفروضاً أن يتزوج ابنة عمه الحسين، غير أنه ضحى بعمره وشبابه وحارب إلى حين جاور معه واستشهد معه. بعد «قبة القاسم» يأتي «مهد الرضيع»، وهو عدد صغير مقلد بالفاخرة حريرية وردي اللون تحمله فتاة صغيرة، ويشير إلى عبد الله الرضيع ابن الحسين الذي قُتل، عطشان، يسهم تغذ في رقبته وأبوه يحمله بين ذراعيه، ثم مشهد «التواييت»، وهي مجموعة من التواييت الشبيهة المكشوفة من أعلاها، وقد تعدد في كل منها رجل يبدو للناظر مقطوع الرأس، بعد أن غُلى الرأس باضاعة لعائن، وترمز إلى جثث الشهداء، بينما يخطي جسد الحسين تحت كل أبهى ملطخ بالدماء، وأحياناً تقف محافظات بضيضان مرواكتها يبعث ربيع إلى التابوت وقد تطلعت أجنتهما بالدم، وحسب الرواية الشعبية فإن الحماة الزجل كان قد نقل خبر مصرع الحسين إلى المدينة، وفي موقعة التوابوت صيبتان صغيرتان محتجبتان في الحسد تملآن «بنات الحسين»، تتجبع التواييت مجموعات من الأطفال، واحدة تملأ أبناء مسلم بن علي رسول الحسين الذي قُتل في الكوفة، وأخرى تضم مجموعة من الأطفال فقيرين بالاسل، يربوهم نحد الجنود جريد الفخار على رؤوسهم، وهم يمثلون أولاد الحسين وأهل بيته الذين أخذوا سبياً إلى دمشق.

«الحسيني» الذي وقف إلى جانب الحسين وحارب معه واستشهد معه، ويعرض النصراني في لباس عسكري عسري، «وفي الحقيقة، فإن تعديل القارس النصراني في هذه المسيرة إنما يشير للأهمية العالمية لثورة الحسين، ليس لدى المسلمين فحسب، وإنما لدى المسيحيين أيضاً».

بعد انتهائهم مسيرة معسكر الحسين، وأهل بيته وإنصاره يأتي معسكر بني أمية، يتصدره أربعة من ضباط الجيش يتقدمهم شمر بن ذي الجوشن الذي ضرب سيفه نحر الحسين ثم حُر رأسه، يليه عدد من الفرسان في قمصان حمراء وسراويل صفراء، في حين يتبع عدد من الصبيان أي بواق طوبية، يتبعهم فارس يمثل جوازاً أبيض ناسج زعن، يردى زياً عربياً مع كوفية وعقال ونظارات شمسية ملونة. يمثل عمر بن سعد قائد جيش بني أمية، يسير خلفه قائد روماني وإلى جانبه جثمان أسودان مدرعان يمثلان حراسه، ويتبع قائد الجيش مجموعة من الفرسان يحملون الألقاب والنائب، إثر انقراض هذا المشهد الثري، ويلاحظ وصف هذا المشهد الثري، الدكتور إبراهيم الحيدري: «أن منظفي المواكب يخلطون أهمية كبيرة على الألقاب والأزياء الفولكلورية حتى لو فقدت بعض مصداقيتها التاريخية والواقعية، كما أنهم يعرضون المعسكرين بشكل متناقض تماماً، فهم يعرضون معسكر الحسين في أزياء عربية، بينما معسكر بني أمية في أزياء رومانية، أو حربية»، وفي الواقع فإن المعسكرين يحسبون أدوراً تكاد تكون متعكسة بعضهما عن البعض الآخر، على كل دور من هذه الأروار يرتدب بالخشعية التي يقومون بتقليدها وأهميتها الدينية والتاريخية. (٢٠) من الملاحظ أن الممثلين الذين يؤدون أدوار أهل البيت وانصرامهم تظهرون القلبية والتقوى والبراءة، لذلك يكون تعاطف الجمهور الحشود معهم قوياً وحاراً، عسير عن حب واحترام كبيرين، وبخاصة من يقوم بدور العباس ابن علي والسجاد والقاسم وعلى الأكبر، ومن الملاحظ أن يقوم بهذه الأدوار «ممثلون» من السادة المشرقيين بآلتاسهم إلى الرسول، وعكس ذلك يحاول «الممثلون» الذين يقومون بأدوار أدوار قادة وجند بني أمية أن يظهروا وكائهم مغلظة القلوب دون وجود عاسة ومشية متعاطفة وبرومون الجمهور الحشود بتخترت غاضبة، في محاولة

إثارة السخط على بني أمية، لهذا نوجه إليهم اللعنات... وبخاصة أولئك الأشخاص الذين يقومون بدور شمر وعمر بن سعد الذين يلبسان من الجمهور أكثر من غيرهم... لعنة وشتماً وإهانات، وأحياناً رمياً بحجارة صغيرة...
وقبل أن نعرض للتشبيه، يحسن أن نذكر ملاحظة الدكتور الحيدري، بما هو أثيريولوجي، حول النظر إلى هذه الأعمال من وجهة نظر «ناقد الفن»، يقول: «علينا، إذن، الانخراط إلى العمل الفني التقليدي نظرة تحكم عليه من خلال قيمنا الفنية المعاصرة، لأن قيمة أي عمل لا يمكن في جانيته الجمالية فقط، بل من أهميته الاجتماعية والنفسية والأخلاقية والهدف الذي أنشئ عليه، مثال ذلك الموسيقى الشعبية التي تستخدم في مواكب العزاء، والتي تعزف كحائاً طقوسية ذات إيقاع سهل وبسيط ينسجم مع مسيرة الموكب والطعم على الصدور أو ضرب الظهور بالسلال الحديدية والبزوس بالسبوق والقمامات، هذه الموسيقى لا يمكن أن تكون جميلة بغير ما تكون مرعبة ومخيرة للخاص، لذلك غالباً ما تكون ذات إيقاع حر، سريع الاستيعاب والتجاوب...»



ومثال ذلك أيضاً مسرحية التشبيه: ظاهرة مسرحية قائمة بذاتها، تشكلت تاريخياً فوق المعطيات والمؤثرات الدينية والاجتماعية... السياسية... دون تأثر من أي نوع... بالمسرح الكلاسيكي أو الحديث أو العالم... هو مسرح شعبي شعائري يختص بممثل بمساحة كيربلاء في مشاهد ذات طابع إخباري وتربوي، هي حبكة مبسطة ولغة سهلة الفهم والاستيعاب، لهذا تستطيع القول بأن «مسرح عاشورا» يمكن أن يشكل نول عمل مسرحي في العالم العربي الذي لم يعرف المسرح الملحي والدرامي، كما هو معروف في المسرح الكلاسيكي في اليونان، وحسب النموذج الكلاسيكي الذي وضع أسسه أرسطو...

الداية تعود مسلم بن عقيل، رسول الحسين إلى الكوفة ومقلته وتمثل معركة «الطف» في كيربلاء جميع أحداثها وسط المسرح الذي تصل لونهما حين يتقدم الحسين وأهل بيته للقتال واحداً بعد الآخر، ثم يقع



له أجسه في كربلاء



مفاهيم الغدو والشجاعة والقدرة على الصبر ومواجهة الصاعب... وهي بهذا تجسد مفهوم الخير الذي يتصبر دوماً على الشر، كخليفة اجتماعية، هي الهدف الرئيسي لهذه المسرحية، وأبعد من ذلك، فإنه يجعل من هذا الهدف غاية يهدى به توليد الصراع الاجتماعي في ربطه بين المبادئ والقيم العليا التي اعتنقتها ثورة الإمام الحسين في كربلاء، وبين النظام الاجتماعي الاستبدادي والرفوض الذي يتحكم في مصير الناس، ويخطئ حقوقهم وصمامات الأمان والتضامن في بعض ما هو غير مباح ومكوث، ولتوطيد ما يعتقد به المرء من قيم ومبادئ، من جهة ثانية...

اليد.

وقد لا يترك هذا المسرح على المصداقية التاريخية للواقع لفر ما يركز على المجال الشعبي لتلك الوقائع وتأثيرها المعاني، إنه لا يعرض تسلسلاً تاريخياً قدر ما يعرض تحكماً موقفاً ومتناولاً بين الناس، ولعلها أيضاً مخفولة عن ظهر قلب، المهم أن يعرض تلك الأحداث على شكل مبادئ وقيم ورموز يجسدها تجسيدا حسيًا، تجسيدا لا بد له من مشاركة وجدانية من جانب المشاهد، وكذا يكون الملل والشاهد حدة جاذبة لانتماض فيها.

ثالثاً: إن مسرح حياة، أكثر منه مسرح لغة ونخاطب الجمهور فيه يتعاضد مع الحدث المأساوي ويشارك الممثلين فيه، ويتفعل بهم ومعهم لفعلاً شديداً، ويظهر هذا الجواب في شكلين: الأول مشاركة الجمهور في العمل المسرحي مشاركة مباشرة أحياناً وفعلاً مباشرة أحياناً أخرى، فالجمهور مشاهد ومشارك، يستمع وينشد ويتذمر مع الممثلين بولع شديد، دون معانلة على طر، بحيث يصبح جزءاً منهم، وهذا قلب العلاقة الجذلية الجذبة بين الممثل والمشاهد. الشكل الثاني يظهر في الانفعال الشديد الذي يشهده المشاهد... لمشارك إلى العمل المسرحي، من ثم يصيح معروضه عذراً جديداً، من نتائج المرحوعة كلها. إلى ذلك يعرض مسرح عاشوراء أشكالاً من السلوك الديني... الاجتماعي، تماماً يعكس طريق الانفعال الشعبية

الإمام الحسين صريخاً، أما النهاية فتكون عند هجوم جند بني أمية على مخيم أهل البيت وإخراقة وسبي النساء والأطفال وإنذامهم إلى الشام. ما خصائص هذا المسرح؟ يحددنا المؤلف على النحو التالي: أولاً: إنه مسرح هوة لا مسرح محزنين، يصدر عن كداه وإمكانات فطرية ومهارات شعبية وفولكلورية، نطرح بشكل علوي، وليس مكتسباً أو عن طريق معرفة أكاديمية منمطة، إنما عن طريق إرث تقليدي ينتقل في العاملين فيه، لذا نجد أن جميع الممثلين والمغنيين والإخمين وكل المشاركين في إنتاج وإخراج وتعمل مع هذه المسرحية هم من غير المحترفين، ويؤمنون بهذه الأنشطة من أجل خدمة الإمام الحسين والتقرب منه ومواساته لا يروجون من ذلك سوى طلب الشهادة.

وغالباً ما يكون المنظم (الملك المخرج) رئيس المكتب أو شاعره أو خطيبه، هو الذي يوزع الأدوار ويدير الممثلين ويحدد الإخراج والديكورات... وقد يقوم بتقديم موزج لملوحة «الطيف» قبل أداء الممثلين، وقد يقوم بإلقاء قصيدة أو موشية حرية أو نصائح أو الممثلين، ربما تكون بدلاً للموسيقى التصويرية في المسرحية الحديثة... إن هذه الطريقة التي يلعبها المسرح الشعبي في عاشوراء لا نجد لها مثيلاً في تاريخ المسرح الكلاسيكي، ولأني تاريخ المسرح الحديث، أما مكان المسرح فغالباً ما يكون في صحن الدين أو العليات الخفية كما في النجف أو الكاظمية، أو في «الخيمة» وهو الموقع الذي جرت فيه واقعة الطف بكربلاء، أو في إحدى الساحات العامة أو في حسيته أو أي مكان آخر، أما الزمان فهو، في الحقيقة، تجريد لزمان آخر مضى، لكنه بقي في الخيال الشعبي حياً ومتحركاً ومتربطاً بشئ محرم من كل عام... ثانياً: إنه مسرح شعرائي، «درامي» تراجميدي، أو صبح التعيير، يعرض، بشكل ملحمي، وقائع وقصص وأساطير وأحداث الطيف، ويستمد مادته من كتب «الفتاوى» التي وصفت أول تراجميدي رامية عرفها التاريخ الإسلامي، هذه الملحمة القديمة وقائع تاريخية ذات إبعاد دينية وإيمانية... سياسية، وغالباً ما يصاحب العرض حوار وإنشاء أشعار وفراث وخطب، يعكس مفاهيم الإيمان والتضحية في سبيل المبدأ والعقيدة، ملماً تعكس

وأصاليب التفكير والانفعال والشعور، وكذلك العلاقات الاجتماعية غير الرسمية، بالمفهوم السوسولوجي، من جهة، والوقائع التاريخية السياسية... بحسب التصورات الشعبية التي يعبر عنها بالنخاطب والقصائد والمراثي والحكم في كربلاء من خلف الغضب لحقهم الضروع، من جهة أخرى، إضافة إلى أنه يفتح موقفاً للمتحير من واقع مؤلم وحزين، وبنياً للإعلان والاتصال، وصماماً للأمان والتضامن في بعض ما هو غير مباح ومكوث، ولتوطيد ما يعتقد به المرء من قيم ومبادئ، من جهة ثانية...

ذلك أوفي وابق تحليل لهذا المسرح، ومن المعروف أن هذا المسرح لم يكن موضع اهتمام المحررين الذين إن في الدراسة بقيمة كتبها باحث تونسي هو محمد عزيزة (ترجمها الدكتور رفيق الصبيان، ونشرت بعنوان «الإسلام والمسرح»، صدرت طبعها الأولى في القاهرة سنة ١٩٧١، والطبعة للشي اعتمدت هنا هي الثانية، منشورات «عين»، الدار البيضاء، ١٩٨٨ م) ولعل أنتم ما في هذه الدراسة الوحيدة هو نص «آلام الحسين أو مأساة كربلاء»، يقول الأستاذ عزيزة في تقديمه إنه «إعداد حر عن عدد من النصوص الشعبية التي درسناها في كثير من المكتبات القومية في العالم... خصوصاً في كربلاء حيث تسقط بعض المخطوطات بسببها وحرض شديداً... ثم لا يلبث أن النص مباشرة إنه «إعداد مسرحي يتصرف عن الكتاب الفارسي - جونغ - ي- شهابتي» فلا نذكر هل تصدقه في الأولى أم في الثانية!



على أي حال، من الواضح أن ثمة اختلافات بين هذا النص، من ناحية، والعرض الذي يقدمه الممثلون المحترفين، من ناحية أخرى، ولعل أبرز نقاط هذا الاختلاف... ما يشير إلى أن النص إيراني أو فارسي... هو ترويج المسرحي من «أهيرة فارسية تدعى شهربانو، ابنة آخر الملوك الساسانيين، يزدجرد الثالث... شهربانو هذه هي التي تقهر



مع الحسين قبل استشهاده، وهي التي يتحدث إليها: «شهربانو... يا رفيقة شبابي العذبة... يا رفيقة أنهارى... اعلمي أنني لا أفارق إلا مرغماً لأن قلبي لم يرغب أبداً بأن يتحرر من لقاء نفسه من القيد العذبة التي تربطنا معاً، إنني أعهد إليك بأولادي... إلخ»، في الطبعة العراقية، لو صح الوصف، نجد السيدة ليلي، أم علي الأكبر، هي التي تصحب الحسين إلى كربلاء، وهي التي تنوح على ابنها بعد مصرعه، وتروي عنها القصص في المجالس الحسينية (ولما قتل على الأكبر توجهت ليلي إلى خيمتها ونثرت شعرها، بناء على طلب الإمام الحسين، ولأنها نذرت أيضاً ما لم استجاب الله دعائها، وأخرج ابنها سالماً من المعركة ثم أخذت تشنّد: لئلا على لئن عادوا وإن رجعوا / لأزعن طريق «الطيف» ريحاً... ويعلق الدكتور الحيدري: «والحقيقة فإن البيت هو للشاعر مجنون أبلي العارمي الذي انتظر ليلة، التي كانت تقام في تلك المنطقة، والبيت هو كما يلي: «ثم نرى على لئن عادوا وإن رجعوا / لأزعن طريق «الطيف» ريحاً... وإضافة لاختلافات أخرى كثيرة حول الظل العطفاني الذي كان يحمله الحسين: سكتة (في الطبعة الإيرانية) أم عبدالله، وأهملوا الجهر للحسين يعرض عليه المساعدة... إلخ... تلك الاختلافات طبعية ومالوفة في مثل تلك النصوص، لكننا نلاحظ... بوجه عام - أن معظم الدراسات التي كتبت عن المعززة كتبت عنها كما تقدم في إيران، لأني العراقي (بين مراجع الدكتور الحيدري مرجع مهم يحدو عنداً كبيراً من الدراسات حول مختلف جوانب الموضوع، Peter Chelkowski: zeh, Ritual and Drama in Iran, New York, 1979، ومن ثم اكتسب دراسة الدكتور الحيدري أهمية إضافية في حيث أنها تضع الظاهرة في سياقها التاريخي والاجتماعي في العراق، صحيح إنه يتابع مظاهر التحرية في الدول الإسلامية: إيران وتركيا وباكستان (الهند)، ثم في الدول العربية: لبنان ومصر ودول الخليج، وسواها، إلا أن مداته الأساسية من العراق ومن العراق... وقد لا تكتمل رؤيتنا لهذا المسرح دون أن نعرف وجهه نظر مسرحي غربي في هذه الظاهرة، في كتابه «الطيف» المنقوش... صدرت طبعته الأولى في ١٩٩٥ - يعرض المسرحي الإنجليزي بيتر برون لهذه التحرية، ويتحدث عنها حديثاً



تراجميادى كرمال



طويلا (راجع، من فضل: بيترو بروك: الأعمال الكاملة، ترجمة كاتب هذه السطور)، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٥١ وما بعدها). لم يكن بروك غريباً عن الثقافة الفارسية فقد أخرج عمله الكثير «اجتماع الطير» عن الشاعر الفارسي فرید الدين العطار. وكان ما ميز بروك دائماً في اقترابه من الثقافات الأخرى، إعنى الثقافات خارج الإطار الغربي، هو أن يقرب منها بتواضع واحترام ورغبة في الفهم، حتى يستطيع أن يبين منطقها الداخلي، والآوار التي كانت - أو زالت - تؤيد لجمهورها.



يروى بروك: «حين ذهبت إلى إيران للمرة الأولى في ١٩٧٠ شهدت شكلاً من المسرح بالغ القوة، و«التجزئة»، قطع جماعة اصحابنا الصغيرة طريقاً طويلاً عبر إيران، بالطائرة حتى «شهد» ثم في تاكسي يفوس بعيداً في الريف المنحصر المفتوح، وخرجنا عن الطريق الرئيسي نحو موح. فجأة وجدنا أنفسنا خارج جدار بني اللون يحميط بالقرية، وهناك بالقرب من شجرة قلعة شكل مثلثان من أهل القرية دائرة كاملة، واقفين أو قاعدين تحت الشمس اللاهية. (...)». كان أهل القرية في حالة توتُّع تام لأنهم يعرفون ما سيحدث حتى التفاصيل الأخيرة، كل ما قيل لنا أن التجزئة هي الشكل الأساسي للإسلام من مسرحيات «الأسرار المقدسة»، ورغم أن الحكايات قد ظهروا قبل عدة سنوات، إلا أنها استمرت تقدم في الخلفى في ثلاثينات أو أربعينات القرن (...). فرح الموسوي القاعد تحت الشجرة طبلته بإيقاع ملح، فخطأ قروني إلى الحلقة، كان يتلح هذا مطافياً طويلاً، وله نظير محارب جميل، وعلى كتفيه ثوب من القماش الأخضر الزاهي، اللون المقدس، وبدأ في إرشاد مظفوة طويلة من متفكهم موداً من نغمات الليلة جداً في نمط يتكرر، لم يتكرر، في كلمات كنا عاجزين عن متابعتها لكن معانيها تنفتح على الفور عن طريق الصوت الصاعد من أعماق الخشن. لم تكن الحداثة عاطفة، ولكن الأمر بدا لنا وكأننا نسمع إلى صوت أبيه، وأبي أبيه، وهكذا، وجوعاً إلى الوراء، كان يقف هناك، ماعداً بين رجليه، معتباً بالقوة

مفتقناً تمام الاقتناع بعلمه. كان تجسيدا لهذا الشخص الذي يعد في مسرحنا أكثر الشخصوس مراوغة على الإطلاق: البطل (...). حين قُوت أول هذه الأفكار لنفسى، كانت نمة شخصية أخرى، تلقها ثياب حمر هذه المرة، تدخل الحلقة وأرفع العترة على الفور: لقد جاء الشرير. لم يكن يغني، فليس له الحق في التفتيح، اكتفى بان خطب في الناس بصوت أجش. بعدما بدأت الدراما. وأصبحت الحكاية واضحة: إن الإرام في أمن حتى الآن، لكنه لا بد أن يرحل أبعد، ولكي يفعل فلا بد أن يحتار أرض أعدائه الذين أعدوا له كعماً بالفعل، وحين كانوا يترجمون ويصيحون سوابهم الشريرة اجتاحت الرعب والسخط جمهور التفرحين. وطبيعة الحال، فإن كل واحد كان يعرف أنه لا بد أن يلوم بهذه الرحلة، وكل واحد كان يعرف أنه سيقتل، ولكن بدافى البداية أنه يمكن، هذه الليلة، كادى هذا الحمبر. طلب منه أصحابه الإرحل، ودخل الحلقة ولدان صباران يفتنيان معاً، إنما ولده، وهما يطبلان منه، يعاطف حارة، لا الإرحل. كان الشاهد يعرف الحمبر الذي يتفكره، فنظر إلى ولديه وغشى لهما الغتية وداع مؤثرة، وضموها إلى صدره، ثم انقلبا وانطلق، وأعانته حذاء الفلاح الضخم على أن يضع قدميه بليات على الأرض. وقف اللولدان ينظران نحوه وهو يرحل، وشافهما ترتعش، وفجأة وجدنا الأمر لكل أحدهما احتضامها فجرا وراء ورما نفسيهما على قديم فوق الأرض، ثم ثابته أماناً الغتية المشرية لئلاسى... ومرة ثانية أجابهما بأغنية الوداع (...). كان الشاهد ذاته يتكرر. في التراسدية انتشبت لهممة خفيفة حولي من كل ناحية، وسبحت عيني لحظة من الحدث قرأيت شفاهاً ترتعش، والأبدى والتأويل تغلظ الأواء، والوجود مرققة ببرحاء الحزن، بعدها بدأ الرجال والنساء المسنون، ثم الأطفال، وهدموا الشهاب المختون على دراجاتهم، راح الجميع ينسحبون ويتجنبون في حرية كاملة. (...)»



كانت نمة ظاهرة حقيقية تحدث في «التصوير المسرحي». إن حدثاً من

الماضي البعيد هو في عملية «إعادة تصوير» أو «إعادة تمثيل» حتى يصبح حاضراً. إن الماضي كان يحدث هنا وأكن، والبطل يحدد قراره الآن. وولعته وكربه يحدثان الآن، ودموع الجمهور تسيل الآن. لم يكن ما حدث هو وصف الماضي أو تصويره، فقد تم إلغاء الزمن. كانت القرية تشارك مباشرة وبأكملها، هنا والآن، في قوت حقيقي لشخص حقيقي مات باقياً، لم يزل ماثلاً السنين، لقد قرئت عليهم القصة مراراً، ووصفت بالكلمات مراراً، لكن الشكل المسرحي وحده هو الذي استطاع أن يبرز هذا الفعل، أن يجعلها جزءاً من الخبرة المباشرة... هكذا قدمت «التجزئة» سرا في قرية إيرانية بعيدة، وهكذا بدت لعيني مسرحي كبير هو بروك، ولكن كان من حظ بروك أن يرى شكلاً آخر للتجزئة، ولعل إغفارة بين المسرحيين تكشف الكثير عن طبيعة التجزئة. يتابع بروك: «بعدما بسنة، حين كان الشاهد يحاول أن يقدم صورة بلادة للغرب باعتبارها «ليبرالية طيبة»، تقرر أن تقدم «التجزئة» للعالم في «مهرجان شيراز الدولي للفنون» الثاني، «طبيعة» أن تكون هذه القرية الدولية الأولى أفضل التعارى - وهكذا أرسلت الجعشات الاستكشافية إلى كل أرجاء البلاد لتلتقط أفضل العناصر، وأخيراً اجتمع الممثلون والموسيقيون من القرى المتناثرة على نطاق واسع، اجتمعوا كلهم في طهران، حيث أخذ صمموا الشهاب مقاساتهم وجوههم، وقوبهم منخر مسرحي محترف، ويديهم معلم تدريس، خلوا بعدها بالاشاحات التي يلتموا عرضهم في شيراز. هنا، بحضور الحبيبة وخمسة عشر ضيف عالمي، في نهاية السهرة الإحفاالية، المناقضة تماماً للمصنوع الديني، وضع القرويون - للمرة الأولى في أعينهم - على منصة أمامية، تتوهم قلوبهم بلع الضوء فتشع عيونهم، وينظرون... على نحو غائم، نجوف صف من القاعد تنسلخها شخصيات مرموقة في المجتمع، وطلب منهم أن يقدوا «بضائعتهم» (...). ولم يتوقف أحد ليعال عن هذه المباشرة التي يتوقع منهم أن يقدموها، وبالأداء، وأمام من؟ «هذه الأسلة لم تلحح أبداً لأنه لا أحد معني بإجاباتها، هكذا نغخ في الأوباق الطويلة وفرغت الطويل، لكن هذا كله لم يكن يعني شيئاً على الإطلاق



ابتهجوا للمشاهدون الذين جاءوا ليشهدوا قطعة طريقاً من الفولكلور، ولم يعرفوا أبداً أنهم قد دعوا، وأن ما زاوه لم يكن أبداً «التجزئة»، كان شيئاً عابثاً، أقرب لأن يكون سخيفاً وغثاً مجرداً من كل ما يثير الاهتمام، لم يقسدم لهم شيئاً. لم يعرفوا أبداً أنه قدم لهم باعتباره «ثقافة»، وفي النهاية ابتهجوا المسؤلون، وتجمع الجمع السعيد إلى اليوميه.



كانت «برجزة» المعرض تامة وشاملة... عود على بدء، في تقديم كتابه يضع الدكتور إبراهيم الجيدري يده على الأفكار الأساسية التي قدم بين يديه الإزالة والتفاصيل على طول صفحات دراسته. يكتب: «يرتبط البعد الديني لعاشوراء بالبعد الاجتماعي لها، الذي ينعكس، بشكل أو آخر في التحايز «الطائفي» ذي البعد السياسي» «الخصم الذي دفع إليه الحكام والسلاطين، والذي أدى إلى حرمان الشيعة في العراق من كثير من حقوقهم، وبخاصة حين تكون السلطة في يد الأقلية مذهبية تسلط على الأغلبية (...)» هذه الوضعية غير الطبيعية تجد صدامها في العزاء الحسيني الذي كون من الشيعة وحدة في الشارع الطائفة الحزبية التي تظهر في الخطاب والصناد والمراثي، والتي تعمير بوضوح عن عزاء وشكوى واحتجاج خفي (...). إن طائفة العزاء الحسيني هي نتاج ظروف وشروط تاريخية وتنافسات اجتماعية - سياسية عميقة الجذور في المجتمع العراقي، وارتبطت بتراجيديا كربلاء من جهة، وبالهموم والألام التي يعاني منها الفرد، من جهة أخرى. بحيث تحولت هذه المراسيم، والتدريج، إلى وسيلة من وسائل التفتيش المستطيع بوجهها أولئك الذين يزينون تحت وطأة علاقات اجتماعية - سياسية مظلمة وباهم والأحزان، وإن يجدوا فيها أيضاً عزاء وسولي، وهما تمكن إحدى إمكانيات التماثل والتعويض... فتمت تتحقق «إمكانات التماثل والصعير» - على أرض الواقع الدامي ...

المعجمات العربية العامة والخاصة

شوقي ضيف

ضخم وميزه الفيرورابدي بسبع ميزات: الأولى: أنه جعل الكلمة الأصلية فيه بين الوسين ويجلو الكلمات المرزبة على معجم الصنصاح لجوهرى خط ممتد إشارة إلى الفرق بينهما.

الميزة الثانية: تخليص الواوى من اللبائى فى المعتل، فتكتب صورة الواو، وتذكر مادتها اللغوية، وتصور الباء وتتبعها مادتها اللبائية مثل (أنا) فإن العرب استعملوا فيها مادة (الأو) وهو الاستقامة فى السليم ومادة (الو) وهو الإتيان والمجيء فتكتب أول صورة الواو، وتذكر مادتها، فإذا فرغ من المادة الواوية كتبت صورة الباء وأبعت بمادتها اللغوية، وإن أعمل أحد الحرفين: الواو أو الباء ترك وصور المستعمل فقط، وقد يصور الحرفان معاً مجموعين وتلجها مادتهما وقد يحذفان وتذكر مادتهما وقد تحذف إحدهما وتذكر مادتها بما يتطلب الإحاطة العامة بالصيغتين الواوية واليبائية ومادتهما المختلفتين.

والميزة الثالثة: أن جضع اسم الفاعل جعل العين إذا جاءت مسحيحة مثل جولة معجم جائل ذكرت فاعل: جولة، إما إذا اعتقت فإنها تكتب ألفاً مثل بالغ وياعة قائد وقادة وسيد وسادة.

والميزة الرابعة: أن كلمة المؤن لا تذكر مرة ثانية بعد ذكر المؤن إذ يقال: «وهي بهاء أى أن أنكى هذا الذكر بهاء» وترك هذا المصطلح مبرا. والميزة الخامسة: أنه إذا ذكر الماضى وحده أو المصغر وحده، فالمضارع مضموم العين مثل يكتب، أما إذا ذكر الماضى والمضارع مع فإن الفعل يكون من باب ضرب ما لم يمنع من ذلك مانع مثل يكتب الفعل حلقى العين فإن المانع مثل فتح الباب فيه الفتح، وربما جاء مضموماً مثل صرخ يصرخ وتغ يبالغ أو مكسوراً مثل صرخ يترخ ويرجع يرجع، وربما جاء الضم والفعل مثل صلح يصلح ويصلح وفرغ يفرغ ويفرغ ورعد السماء رعداً وترعد، وربما جاء الفتح والكسر مثل رضع يرضع ويرضع ومنع ينع ومنع ينع وينع وينع وينع، وربما جاءت الحركات الثلاث مثل تحت يفتح ويثنت ويثنت ويثنت ويثنت وينع وينع.

والميزة السادسة: قال اللغوى أبو زيد: «ماضيهما المتفاوتة من الأفعال التي لجسيها ماضيها الاصطلاحي على فعل بالفتح انتت بالتحريك في المضارع فإن شئت فقل يفعل بضم العين، وإن شئت قلت يفعل بكسرها، وبما لا يقيد المضارع حينئذ يضم أو يكسر فهو الفتح

والميزة السابعة: فإن الفيرورابدي اتخذ فيه خمسة أحراف رموزاً للاث متعددة، فأقيم ليعرف والعين لموضع والجيم

٤ - حواشى ابن برى على الصنصاح : يقول ابن منظور عنه: أتبع له الشيخ أبو محمد بن برى قطعاً ما فيه، وأملى عليه أماليه، مخرجاً لسفاته، مخرجاً لغلطاته... ورتبه ترتيب الصنصاح فى الجواب والفضل.

٥ - النهاية فى غرب الحديث لابن الأثير الجزرى، ويقول ابن منظور عن عمله فى كتابه: إنه جمع فيه ما تفرق فى تلك الكتب (الخمس) المذكورة ونقل من كل أصل صمونه ويقول لم أبذل منه شيئاً فى الفيرورابدي، ويقول ابن الأثير: إنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة إذ نقل عنها حرفياً ابن منظور مادة كتابه، ولم ينصرف فيها إلى تصرف، حتى بلغ بها عشرين مجلداً ضخماً، وراجعها عاماً حجة من أعظم علماء مصر حينئذ هو الشيخ العلامة أبو محمد بن برى.

معجم الشيرورابدي

ولد الفيرورابدي محمد بن يعقوب الشيرازى سنة ٧٢٩هـ وانتقل مبكراً إلى العراق وجال فى الشام ومصر وأخذ عن علمائها جميعاً ودخل الروم والهند، واستقر فى زيد باليمن ويبلغ فى إكرامه سلطانيته الأشرف إسماعيل وتوفي بها قاصداً سنة ٨١٧هـ وانتخب معجمه: «المقاموس» انتشاراً واسعاً فى البلدان العربية حتى صار اسمه علماً على كل معجم عربى. والمقاموس مطبوع فى أربعة مجلدات

تجمع مفرداتها باعتبار الحروف الأصول وحدها دون الزوائد، ولابد أن ترتب كلماتها على أساس الأبينية، ولابد أن توضع تقاليد الكلمة فى مادة واحدة. وألفت بعض المعاجم مرتبة ترتيباً صوتياً على مخارج الحروف مثل معجم العين لل خليل، ووصل إلينا منها اثنان: تهذيب اللغة للأزهري، والحكم لابن سيده الأندلسي، واختلقت المعاجم بعد ذلك فمنها ما ألف حسب الحرف الأول فى ترتيبه على المعاجم العامة، هي الجوهري وثلاثة من المعاجم الخاصة، هي لسان العرب لابن منظور التونسي المتوفى سنة ٧١١ لهجرة، والقاموس المحيط للفيروز ابادي المتوفى سنة ٨١٧ لهجرة، وتاج العروس للزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ لهجرة.

لسان العرب لابن منظور

ولد ابن منظور فى القاهرة، وقيل فى طرابلس سنة ٦٣٠ لهجرة / ١٢٣٢ للميلاد، وتوفى بالقاهرة سنة ٧١١ لهجرة / ١٣١١ للميلاد، عمل فى ديوان الإنشاء بالقاهرة ثمولى القضاء فى مدينة طرابلس. ومعجمه «لسان العرب» طبع مراراً منذ سنة ٨٨٢هـ / ١٨٨٢ م، ويقول ابن منظور فى مقدمة معجمه إنه اعتمد فيه على خمسة معاجم هي:

- ١ - تهذيب اللغة للأزهري.
- ٢ - الحكم لابن سيده الأندلسي، وهذا من أمثال كتب اللغة.
- ٣ - الصنصاح لإسماعيل بن حماد الجوهري.

المعجمات كتب تحمل مفردات لغوية إما لامة، فنسي معجمات عامة، وإما لفرع من فروع الامة مثل الجغرافيين والمؤرخين والفلاسفة والأدباء، فينسب إليهم، فيقال معجم الأدباء مثلاً إلى غير ذلك من فروع المعجمات، فلتسمى المعاجم حينئذ معجمات خاصة.

المعجمات العامة

والمعجمات العامة لا تكتفى بتسجيل مفردات اللغة، بل تضيف إليها تسجيل جملاتها ونظفها وتاصيلها ودلائها أو معامها. وتعنى كلمة معجم إزالة العجمة أو الغموض، وشركتها فى وقت متأخر ينطس هذا المعنى كلمة قاموس التى سقى بها الفيرورابدي معجمه، وأصلها فى اللغة (البحر الضخم) وسقى بها كل معجم لغوى على التوسع.

وتتمثل المعاجم تاصيل الكلمات أى تاريخها ومصطلحاتها وأصواتها التى جعلتها تسجيل فى ذاكرة الحاسوب بمنطوقها الدقيق، كما جعلتها تسجل على الأقراص المدمجة وعلى شبكات الإنترنت. والفرد العالم العربى الساسقى فى صنع المعجمات ضمن معجم الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٠هـ معجمه الذى سماه معجم العين، اختارها أسماً له دون الهمة أول الحروف الجاهلية، لأنه تعلقها تغيرات كثيرة بخلاف العين من الحروف الحلقية التى افتتح بها معجمه، والثلى لا يسمها تغيراً فى الأبينية الصرفية، وإننا أوجز منهجه فى هذا المعجم العام لأن علماء العرب الجعيمين تسكوا بكثر قواعد فى معاجمهم العامة والخاصة.

ولد رتب الخليل مفردات معجمه على أساس مخارج الحروف، فبدأت بالحروف الجاهلية، وإنهاء بحروف اللغة والحرف، وأخذ فى القواعد التالية:

- ١ - ترتيب مفردات المعجم على أساس حروفها الأصول فى الكلمة، ولا أهمية للحروف الزوائد، وتطلت هذه القاعدة الراساس فى المعاجم العربية بعد الخليل حتى العصر الحديث.
- ٢ - ترتب الكلمات المجموعة فى مادة لغوية ترتيباً دلخياً على أساس الأبينية: الفاشى الثلاثى (الصحيح والمعتل والتلفيف أى الجتمع فيه حرفاً على) الرباعى، والخامسى.
- ٣ - ترتيب الكلمة وتقاليدها فى مادة واحدة، وأطلق الخليل على هذا الصيغة الموجودة فى المادة لفظ «مستعمل» والصيغة التى لا توجد لفظ «مهل»، وتعدست الكلمة بهذه القواعد - بعد الخليل - إلى العصر الحديث، فلا بد أن

للمجمع، والرمز بالجمعين لجمع المجمع والرمز بثلاث جيمات لجمع جمع المجمع، وبالباء لقربة، وبالدال ليدل، وبقيت بالجاموس ضوابط واستخلاصات أخرى تعرف بالعاموس والاستقراء، منها أن يقدم ذكر الخيس من المصادر والجموع على غيره، ومنها أنه اختار استعمال لفظين - التحريك ومحركا في الكلمة المبدوءة حروفها بفتحتين مثل جَبَل وفَرَح - ويطلق الفتح أو الضم أو الكسر على الحرك بإحداها.

تاج العروس... من جواهر القاموس

مؤلفه السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، وهذا المجمع أكبر المعاجم العربية، وهو ليس كتاباً مستقلاً، بل هو شرح على القاموس المحيط للفيروز آبادي توسع فيه مؤلفه سعة كبيرة، حتى أصبح أكبر المعاجم العربية، وأوضح المؤلف في مقدمته مصاصره فيه، ومنها المعاجم والكتب اللغوية السابقة له مثل الصحاح للجوهري، وتهديب اللغة للأزهري، والحكم لابن سيده والجمهرة لابن دريد والمجلد لابن فارس والعياب والتكملة لنصاغانى ومعجم الفهرن والحديث الخبوي مثل مفردات القرآن للراغب الأصفهاني والأساس والحقائق للزمخشري، والنهاية زين الدين وكتب القراءات وشرح الشعر مثل ديوان الهذليين لابي سعيد السكري وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وطبقات المفسرين للدوادري وطبقات الشافعية للسبكي والجواهر المصنفة في طبقات الحنفية للقرشي والبدائية والنهاية لابن كثير والإتقان في علوم القرآن للسيوطي والذكرة في الطب للأطاعي وكتاب النبات لابي حنيفة الدينوري وكتاب المعرب للجواليقي، وكأنه لم يترك كتاباً لمهم في المعاجم واللغة وشرح الشعر والدراسات اللغوية مثل الخصائص لابن جني والمقصود والمعدود للثعالبي، وأخذ ما لا يكاد بالوفيات للمصنف.

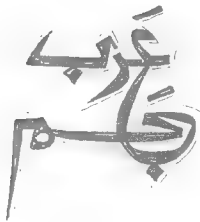
وكان الزبيدي ينقل في كتابه لتاج عن هذه المصادر وأمثالها نقولاً كثيرة دون أن يدخل عليها أي تبديل أو تغيير، فلم يبدل فيها أي شيء قاله، وإنما مع ذلك لا ادعى فيه دعوى فاقول: شافيتها أو سمعتم أو رحلت، أو لخطا فلان أو أصاب أو غلط القائل في الخطأ... ولعمري لقد جمع فاعلي، واتى بالمصادر ووفى، وليس لي في هذا الشرح فضيلة أمث بها ولا وسيلة أتصك بها سوى أنني جمعت فيه ما تفرق

في تلك الكتب من منطوق ومفهوم، ومسمية تاج العروس من جواهر القاموس». وتابع هذا الكلام بحديث عن عشرة مقاصد للكتاب من أهمها بيان سعة لغة العرب، والمتواتر في الكتاب عن الرواة والأحاديث والمطرد والشاذ والمغرب والمولود والأضداد. وكانت مصر البلد الذي اختاره الحسيني الزبيدي لتأليف معجم تاج العروس فيه، وبدأ بها جزءه الأول سنة ١١٧٤ للهجرة بعد قدومه إلى مصر بسبعة أعوام كان فيها يهدى لكتابته، واستغرق الجزء الأول منه ستة أعوام ويضعة أشهر وأتم الأجزاء التسعة الباقية في سبعة أعوام ويضعة أشهر، إذ أنهى منه سنة ١١٨٨ للهجرة. وأكمل معارضته على كتاب الكلمة للمصاغاني في جمادى سنة ١١٩٢.

وبتاج العروس انتهت المعاجم العامة القديمة، معاجم الأسلاف، وانتقل إلى معاجم المجمع اللغوي العامة، وهي الثنائ: معجم كبير ومعجم وسيط، والمواد فيهما مرتبة وفق الحروف الأصلية للكلمات دون الحروف المزيدة، وأعرض المنهج الذي وضعه المجمع لكل منهما في إيجاز.

المعجم الكبير

توضع في أول المواد الفظائر السامية



كانت مصر البلد الذي اختاره

الحسيني الزبيدي لتأليف معجم

تاج العروس فيه، وبدأ بها جزءه الأول سنة ١١٧٤

لهجرة بعد قدومه إلى مصر بسبعة أعوام

كان فيها يهدى لكتابته

إن وجدت، وترتبط المعاني مترجمة من الأصل إلى الفرعي، ومن الحسي إلى المعنوي ومن الحقيقي إلى المجازي ومن المألوف إلى الغريب. وقدمت الأفعال على الأسماء والثلاثي منها على الرباعي والمجرد على المزيد واللازم على المتعدي والمبني للعلوم على المجني للمجهول. وتضخيم عين المضارع بوضع خط القلي صغير عليها، وتوضع الضمة والفتحة فوق هذا الخط والكسرة تحته هكذا: كَسَرَ. وهذا اختلف الفعل الثلاثي الأوجف بين ووى ويأى فصل بينهما في المعاني والأمثلة. ويذكر ما نصت فيه المعاجم من مصادر الثلاثي ويذكر القياسي، ولا تذكر مصادر غير الثلاثي لأنها قياسية. ولا تذكر المشتقات لأنها قياسية أيضاً.

وتذكر الكلمات التي وقع الإبدال في بعض حروفها مثل وشار فقد أبدلت الواو همزة فتذكر وشار. وتحال على ما سبقتها فلا يذكر من الجموع إلا مجموع التكسير القياسي، أما غير القياسية فلا يذكر منها إلا ما نص عليه. وما تصرف من العربات في مادته الثلاثية لم يجم يذكر في مادته وما لم يتصرف فيه بالاشتقاق يذكر كاملاً في مادته لا كزيميس فإنها تحال على أصلها: أزميسدس. ومن عربية نصارى الشرق ينطق كما عربوه مثل

بطرس في (Petr) أو بطر في (Victor) ويولس في (Poul) وتستعمل المواد اللغوية عند الحاجة، وبالمثل يتوسع في الاشتقاق من الجادم، ويستشهد من القرآن الكريم من الحديث النبوي - والنصوص الأدبية والمثل والشعر.

الجانب الموسوعي

يذكر من مصطلحات العلوم العربية ما شاع استعماله بين العلماء مما له صلة بالحياة العامة واللغة الحضارة، كما تذكر أعلام الأماكن والبلدان وأسما الدول والمدن الشهيرة وأسما المشاهير من الرجال، وتذكر وفاة العلم والتاريخين الهجري والميلادي وتذكر أهم الحيوانات والنباتات العربية، ويشار إلى ما قاله علماء الحيوان والنبات من العرب ويستعان للتوضيح بصور الحيوانات ورسوم النباتات، وتعرف تعريفاً علمياً دقيقاً مع ذكر مقابلها الأجنبي.

المعجم الوسيط

وضع المجمع هذا المعجم ليحاظ على سلامة اللغة العربية ويجعلها وأقية يعطبل العلوم والفنون، ماثمة الحاجات الحية المعاصرة، ويأمر باتخاذ الوسائل التي تظل له ذلك وما يطوى فيها من قرارات لغوية، منها:

- ١ - فتح باب الوضع للمحدثين عن طريق الاشتقاق والمجاز والأرتجال،
- ٢ - إطلاق القياس ليتمل ما قيس من قبل وما لم يقس.
- ٣ - الأخذ بالسماح من طوائف المجتمع كالتجارين والحدادين وغيرهما من أصحاب الحرف والصناعات.
- ٤ - الاعتداد بالألفاظ المؤدة والمعربة والدخيلة والحدثة.
- ٥ - الاعتداد بالمصطلحات العلمية في مختلف العلوم والفنون وبالتعريفات العلمية الدقيقة.

وأملت في هذا المعجم الألفاظ الجافية الحوشية: والمترادفات المتشابهة عن اختلاف اللهجات مثل: أظنان وأطبان. وروعي أن تكون ألفاظ المعجم من السهل الناصع المنوس من الكلمات والصيغ. وعزَّز بالاستشهاد الحكم من القرآن والأحاديث والأمثال والأشعار. وتراكيب الأدياء وصيغهم البلاغية. وقدمت فيه الأفعال المجردة على المزيدة، والأفعال على



المعجمات العربية



معجم المصايف

القرآن الكريم

تتمتع اللجنة التي عيّنت بوضعها في مقدمة كتب التاريخ والتراجم والدراسات القرآنية وما ألف من كتب في تفسير غريب القرآن، ويبلغ ثلاثة وثلاثين كتاباً أو مجلداً، ولم يكن يد لها من التبايع أحد منهجين في التأليف:

المصحح الأول: التزام ترتيب السور القرآنية وإبائها على نحو ما نجد في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩ هـ، للهجرة، وكلمة مجاز التوفي بها الكتاب لا تعني المعنى البلاغي إنما تعني المعنى اللغوي أي السلك والطريق إلى تفسير الفاظ القرآن الكريم وفهم أساليبه على ضوء طبيعة لغة العرب وأساليبه في الكلام.

والمنهج الثاني: الترتيب الهجائي أو المعجمي كما في «مفردات الفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ، للهجرة وهو يتبع ذكر المواد اللغوية القرآنية، ويذكر فيها تفاسير الكلمات القرآنية مستنداً إلى تفسير ما يحسنه من حديث نبوي أو أثر أو أي أسلوب أو أي لفظ من الفصحاء.

وقد تمت ترجمة عمل مقترحة في معجم الجمع، وهي:

أولاً، في عرض المادة

- ١- تحرر معاني الألفاظ في ضوء السياق اللغوي وضوء ما ورد في القرآن من صور المادة في دقة وإيجاز.
- ٢- لا تُعرض الكلمة إلا في موطن واحد، وإذا كان للكلمة أكثر من معنى يشار إلى المعاني خلال عرض الآيات.
- ٣- تجرّد المواد من ذكر الأرقام، وإن كان المستحسن أن توضع علامة مميزة أمام بدء المادة أو أمام كل صورة من صورها.
- ٤- مراعاة الترتيب الهجائي في عرض

الاسماء والمعنى الحسي على المعنى العقلي والحقيقي على الجازي والفعل المأزوم على المتعدي، وفصل مضعف الرباعي من الثلاثي مثل زلزل وزلّ.

وأهم من المؤنثات ما كان ببناء زيادة على مذكور لوضوحه وشهرته، ما كان يؤث بغير البناء اكتفى منه بما يخفى على كثيرين، ويراعى ذكر ما أقره الجمع مثل:

- ١- قياس المطاوعة لفعل مضعف العين مثل تفعل.
- ٢- قياس المطاوعة من فعلان وما الحق به مثل درجته فتدرج.
- ٣- قياس تعدية الفعل الثلاثي المأزوم.
- ٤- قياس صيغة استقل لإفادة الطلب والصبرورة.
- ٥- قياس صنع المصدر الصناعي بزيادة ياء مشددة على الكلمة.
- ٦- قياس صوغ مصدر على فعال من الفعل المأزوم المقترح العين للدلالة على المرض.
- ٧- قياس صوغ مصدر على فاعلة من الثلاثي للدلالة على الحركة أو ما يماثلها.
- ٨- قياس صوغ اسم على وزن فاعل ومفعول ومفعلة وفاعلة من الفعل الثلاثي للدلالة على الآفة مثل مبرد -ممسح -مكحلة -مساعة.
- ٩- قياس صوغ مفعلة اسماً للمكان المأذة.

التي تكرر فيه بعض أسماء الأعيان مثل ماسدة، ميطخة.

- ١٠- تكمل المادة اللغوية إذا ورد بعضها ولم يرد البعض الآخر.
- ١١- تذكر الرموز التي وضعت للمعجم مثل (ج)، الجمع و(و) للمؤد و(مع -) للمعرب و(د) للدخيل.
- ١٢- يوضع في المعجم ما يحتاج إليه من الصور والرسوم للحيوانات والنباتات للنضوض

ب. المعاجم الخاصة

جناب المعاجم العامة الكثيرة التي وضعها العرب لإفاد لغاتهم محاولين تفسيرها بمعجم خاصة وضعوها للألفاظ الغريبة في كتاب الله، وبالمثل غنوا بوضع كتب للحدِيث النبوي ومعاجمه أو لثقافته والشرعية أو لأي علم من العلوم. وتسمى معاجم خاصة لأنها تخص القرآن الكريم أو الحديث النبوي أو علماً من العلوم، واستعملها أصحاب الحديث ووضعه الجمع اللغوي لألفاظ كتاب الله بامس:

التعريف المفيد الموجز مع الانتفاع بسباق القرآن ومضامينه في التعريف.

رابعاً، حروف المعاني

حروف الجر والاستفهام والشرط والتداء: تذكر معانيها في السياق القرآني مع الاكتفاء بمثال قرآني واحد.

الاعلام القرآنية تصاف مع تعريف موجز ومع الانتفاع بالسياق القرآني في التعريف ومضامينه.

وكان تفكير الجمع في وضع هذا المعجم للمرة سنوات طوال كان أعضاء الجمع فيها يتحاورون في منهجه ويتناقشون طويلاً في شأن شديد حتى استطاعوا إخراجها في هذه الصورة الحية الخالدة.

خامساً، الحديث

ألفت عشرات من الكتب في غريب القرآن حتى لتجمع مقدمة معجمه فيها ثلاثة وثلاثين كتاباً، وتكثر بالمثل كتب أول من بدأ التأليف في غريب الحديث أبو عبيدة المتوفى سنة ١١٠ هـ وبمعه جماعة كما منهم أبو عبيد القاسم ابن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ وكتابه: «غريب الحديث» من أروع الكتب التي ألفت في الموضوع، ونشره الجمع لنفاسته وإصمته.

ضم أبو عبيد في هذا الكتاب ما كتبه أسلافه في غريب الحديث من مؤلفات حققها تحقيقاً علمياً دقيقاً ضابطاً لإفادتها ومفسراً لمعانيها، ومربطاً بدقة أسانيد: مستندة الصحابة وفي مقدمتهم الأئمة الراشدين. ثم بعض أصوات المؤمنين وغيرهم، ثم مسانيد التابعين وغيرهم. وحتى بذلوا في زمنه طوا الأبعاد والنظر فيه، حتى أصبح ما يقول الخطابي إماماً أهل الحديث به يتأخرون وإليه يستحكمون. وظل طوال أربعين عاماً يراجع فيه وينقح، ما وسعه التلخيص والراجحة، ويحرق لقب في عصره سباق معاصريه في علوم القرآن وإمانهم في علوم الحديث والبلغ والفقه. وقد ذكرت الكتب الكثيرة التي ترجمت له عشرات العلماء الذين أخذ عنهم من مثل أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد والسكاكي والشافعي وغيرهم من لغويي الألفية وفقهاء العقول. وفي كتابه: غريب الحديث يقول النحوي الكبير ابن درسي: جاء أبو عبيد فيجمع عامة ما في كتب غريب الحديث التي سبقته وفهرسها وتحرر أسانيدها، وصفت كتابه المسند له جدته وأحاديث كل رجل من الصحابة والتابعين

كتاب الزاوية



ميثاق الأمم المتحدة (١٩٤٥)

يتمتع أعضاء الهيئة جميعاً في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأي دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة. (مادة ٢)

إذا أمن عضو من أعضاء الأمم المتحدة، في انتهاك مبادئ الميثاق جاز للجمعية العامة أن تقلعه من الهيئة بناءً على توصية مجلس الأمن. (مادة ٦)

يتعهد أعضاء الأمم المتحدة بقبول قرارات مجلس الأمن وتنفيذها وفق هذا الميثاق. (مادة ٢٥)

إذا أخفقت الدول التي يقوم بينها نزاع من النوع المشار إليه في المادة ٢٣ في حله بالوسائل المبنية في تلك المادة وجب عليها أن تعرضه على مجلس الأمن. (مادة ٢٧)

يقر مجلس الأمن ما إذا كان قد وقع تهديد للسلم أو إخلال به أو كان ما وقع عملاً من أعمال العدوان، ويقدم في ذلك توصياته أو يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير طبقاً لأحكام المادتين ٤١ و٤٢ لحفظ السلم والأمن الدوليين أو إعادته إلى نصابه. (مادة ٣٩)

إن رأى مجلس الأمن أن التدابير المنصوص عليها في المادة ٤١ لا تكفي بالفرض أو ثبت أنها لم تكف به، جاز له أن يتخذ بطريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الأعمال ما يلزم لحفظ السلم والأمن الدوليين أو لإعادته إلى نصابه. ويجوز أن تتناول هذه الأعمال المظاهرات والحصر والعطليات الأخرى بطريق القوات الجوية أو البحرية أو البرية التابعة لأعضاء الأمم المتحدة. (مادة ٤٩)

الاقبال فيقول مثلاً: فُ من باب فعل واكثر من ذكر جموع الأسماء والصفات، ومن التفصيل في المسائل اللغوية والصرفية والتجوية. وضبط المادة بالعبارة كان يقول: المطلب يضم الأول وسكون الثاني، وذيل المؤلف المعجم بخاتمة نحوية وصرفية في منتهى الدقة. وحاول تخليص الواي من البلي، وكتب الباب والفصل ورأس كل مادة باللون الأحمر. وعُني بالضبط فيه وذكره أبواب الفعل عنائية كبيرة.

المعجم الوجيز

هذا هو المعجم الثالث لجمع اللغة العربية، فقد عني المعجم بمعجم كبير ومعجم وسيع تحدثنا عنهما، وبقي هذا المعجم الوجيز الذي جعله الجمع وأفيا بحاجة التلاميذ في التعليم الثانوي بلغة فصيحة ليس فيها الفاظ حوشية غريبة مع إدخال ما دعت إليه الضرورة من اللفاظ المؤلفة والمحدثة والعربية والمخيلة. وقد عني المعجم من مادة اللغة نحو خمسة آلاف مادة وأضاف فيها الصور والرسم التي يحتاج إليها في معرفة الحيوانات والنباتات وبعض الآلات، واختبره من الجموع والمصادر أشهرها وأكبرها استعمالاً.

ولمعت في المعجم الأفعال على الأسماء والجرد من الأفعال على الميزان وضعت لها في المقدمة جداول تصنيف ترتيبها، وقدم الفعل اللازم على المحدث والمعنى الحسي على المعنى العقلي.

وما الحق بالبراي على كل كوتر وضع في باب: كثر، ووضع المصنف الرباعي مثل رزّل في بابه الرباعي لا في زل الثلاثي، والكلمات التي أبداً أولها الواو تاء مثل تجه وتؤده وتقي وضعت مع أصلها في باب الواو، وذكرت الكلمات حسب نطقها لا حسب تصريفها.

وذكرت طائفة من المصطلحات العلمية الشائعة التي يستخدمها التلاميذ في دروسهم وأبحاثهم، وضبطت التعريفات بلغة سهلة واضحة.

وربيت الكلمات في المعجم وفق الحرف الأول الفلاني فالثالث من حروف الهجاء ووضع نجمة في أول المادة، والرموز (ج) للجمع و (جـ) لجمع الجمع وتوضع الحركات: الضمة والفحة فوق خط الكسرة تحته هكذا: —

ومثل أن وتلّ وتلّ واستأن طلب في أصلها الثلاثي: «آن»، وتوضع تعلم وعلم وتعلم واستعلم في أصلها «علم»، ويطلب في المعجم: الأتوب وماتبة في أدب. وإن كان العرب غير شائق فإن حروفه كلها تعد أصولاً مثل: إيريق، جلسرين. ■

على حدته وأجاد تصنيفه، ورغب فيه أهل الحديث واللغة، ولجامع ما يحتاجون إليه فيه. ويقول أبو سليمان حنّ من محمد بن إبراهيم الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ للهجرة في كتاب غريب الحديث لأبي عبيد: كان أول من سبق إلى إيقان هذا التصنيف ودل من بعده عليه أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه قد وعى تصنيفه عامة ما يحتاج إلى تفسير من مشاهير كتب غريب الحديث، فصار كتابه إماماً لأهل الحديث به يتذكرون، وإليه يتحاكمون.

ويكتال المؤلف في غريب الحديث منذ أواخر القرن الثاني للهجرة ويذكر الأستانان طاهر الزاوي ومحمود الفناحي في مقدمة تحقيقهما لكتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦ للهجرة خمسة وأربعين كتاباً في غريب الحديث ألقت حتى عصره، ومنها كتاب لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة، وكتاب الدلائل لقيس بن ثابت السريسي الأندلسي المتوفى سنة ٣٠٢ للهجرة وكتاب أبي بكر الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة، وقيل عن مصنفه في غريب الحديث إن كان خمسة وأربعين ألف ورقة، ومنها كتاب الفائق في غريب الحديث لمؤرخي المتوفى سنة ٣٨٨. وقد بدأت هذه الجهود في شرح غريب الحديث منذ أبي عبيدة معمر بن المثنى في أواخر القرن الثاني الهجري حتى انتهت إلى كتاب النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

المصباح المنير في

غريب الشرح الكبير

تأحمد بن محمد بن علي الفيومي، وهو منسوب إلى فيوم العراق لإبى فيوم مصر. من علماء القرن الرابع عشر الهجري إذ توفي سنة ٧٧٠ للهجرة ١٣٨٠ الميلادي. والمصباح لتأليف معجم لغوي خاص لشرح غريب كتاب الرازي في الفقه، وفي مقدمته أنه استعمل من معاجم لغوية مثل تهذيب الأثر ومجل ابن فارس وديوان الأديب للفرابي والمصباح للجوهري وأساس البلاغة للزمخشري، ومن معاجم فرعية خاصة مثل إصلاح المنطق لابن السكيت وفصح لمط، ورتب الفقه وفقاً لحروفها الأصول مبنكاً من حروف الألف في الحروف الهجائية إلى حرف الياء غير أنه وضع اللفاظ الرباعية والخاسية مع اللفاظ الثلاثية، فوضع برقع الرباعية من برق الثلاثية.

وأكثر من الاستشهاد بالأحاديث النبوية، وعُني بإيراد المعنى الفقهية إلى جانب المعنى اللغوية، وتوسع في المشتقات والقرن بالإشارة إلى أبواب

في الذكرى العاشرة لوفاته،

جمال حمدان

وعبقريّة المكان



عبادة كحيلة



جمال حمدان مفكر كبير، عاش في صمت، ورحل عن دنيانا في صمت، وبين صمت وصمت ملا اندبنا وشغل الناس بذات معرفتي به قبل سنوات بعدده في زمان الصبا، حيث كنت أطلب العلم بالجامعة، ثم كانت هذه المعرفة بعد الجامعة، صرت أختلف إليه، فأضني معه ساعات وساعات، لا أحس خلالها بزمان، وهو يجتأب معي أفكاراً رحيّة وعوالم خصيّة، بحيث كنت أنسى.. ربما أنسى إلى أي تخصص ينتهي.

نظمت الجلسات ثم انطلقت، حين علا السباح بين حمدان وبين من هم خارج حمدان.

نشر حمدان نحواً من عشرين كتاباً، وعشرات من المقالات في مختلف المجالات، كان يصدر فيها جميعها عن حبه لمصر، وكل ما ينتمي إلى تراث مصر. في هذه الكتب وغيرها جعل حمدان الجغرافيا تفتّح على غيرها من الإنسانيات، بل إنه يجعلها «علماً بحدّاتها، فناً بمعالماتها، فلسفةً بنظرياتها». لقد حول حمدان الجغرافيا من حقائق إلى أفكار، وصعد بها إلى أعلى مراحلها.. شخصية المكان، وهي جماع ما ينبئ عنه المكان، وصاغ هذه الأفكار بأسلوب راقٍ ومتميز، يصعب معه أن تحذف كلمة من عبارة ولا عبارة من سياق.

«شخصية مصر» هو عمل حياته، صدرت طبعته الأولى ١٩٦٧، حين كان هناك أمل، وصدرت طبعته الثانية ١٩٧٠، حين نوى الأمل، وصدرت طبعته الثالثة والأخيرة ١٩٨٠ - ١٩٨٤ حين صارت خشيّة من ضياع الأمل. والكتاب ملهمة شجيّة في حب مصر، فوسط أجواء الركاكة التي رانت على حياتنا في العهد الأخير، يبرز هذا الكتاب شهاناً، لكنه لا يحترق، ينظر مضيئاً، بعد انقضاء الكتاب وقضاء الكاتب. يتلذذ جمال حمدان عن غيره.. العباد، غريال، حمين فوزي وحسين مؤنس بإنه كتب عن «شخصية مصر»، وكتبوا هم عن «شخصية المصريين»، وكتابيه محاولة لتفسير شخصية مصر في إطار يُعَدِّين أساسيين، هما الموضوع والموقع، أو أن شخصية مصر هي محصلة هذين اليُعدِّين والعلاقة بينهما.. ولندعه يشرح هذه النظرية لأن على أساسها يقوم الكتاب كله.

يقول حمدان: «والنظرية العامة التي تقدم في تفسير هذه الشخصية المظلمة، هي التفاعل التلافوا أو اختلافاً بين يُعَدِّين أساسيين في كيانها، هما الموضع Site والموقع Situation، فالموضع يُنصِّد به البيئة بخصائصها وحجمها ومواردها في ذاتها، أي البيئة النهرية الفيضية

شخصية مصر
جمال حمدان

القاهرة - عالم الكتب،
الطبعة الثالثة - ١٩٨٠

بطبيعتها الخاصة، وجسم الوادي بشكله وتركيبه إلخ.. أما الموقع فهو صفة نسبية تتحدد بالنسبة إلى توريثات الأرض والناس والإنتاج حول إقليمها، وتضبطه العالائق المكانية التي تربطها بها. الموضوع خاصية محلية داخلية ملموسة، ولكن الموقع فكرة هندسية غير متطورة..

في إطار هذه النظرية تتحدد ملامح الشخصية المصرية أولاً: في التجانس، والتجانس هنا طبيعي، مادي، عمراني، حضاري ويشري.. أما عن التجانس الطبيعي فيصير نموذج البيئة الفيضية المطلق، حيث يتدرج الوادي على نحو بطيء بين الشلال والبحر، بحيث لا يصير ثم تباين إلا بين قاصية الشمال في براري الدلتا، وقاصية الجنوب في النوبة السفلى، كما يمتد التجانس إلى المناخ، فمناخ مصر صحراوي لا يعرف سوى فصلين النذين طوال العام، بحيث يصعب الحديث عن القابليّة مناخية بها.

ويرتبط التجانس الطبيعي بالتجانس المادي، ففقد الضمت طبيعة التربة والري والحارة إلى أن تصير مصر المعهورة بيئة زراعية، أو أنها خلق واحد متصل من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، تتم زراعته بكثافة، ولا تدرج بين الوادي والصحراء، بل انقطاع مفاجئ وحاد.



نتج عن التجانس الطبيعي والتجانس المادي تجانس عمراني، فالنيل هو العامل الأهم في تشكيل العمران، ومدّنا وإرثنا في معظمها تلغ على النيل أو بين أحضانها، وهو الذي يربط بينها ويحدد عدد سكانها.

أما عن التجانس الحضاري فالسمة العامة للقرية المصرية، إنها امتداد للأرض السوداء أي الضفول، وفيما عدا العاصمتين لا تختلف المدينة عن القرية إلا بكونها قرية كبيرة.

نتنقل أخيراً إلى التجانس البشري وهو يعود إلى بداية العصر التاريخي، فالمصريون المحدثون كآسلافهم القدماء عنصر واحد، لم يعرفوا هجرات ذات شأن سوى الهجرة العربية، وهي هجرة اقرباء، يشتركون مع المصريين في انتمائهم جميعهم إلى عرق واحد.. لذا لم تعرف مصر الحاجز اللوني، ولا التمييز العنصري.

مصر إذن وطن متجانس، أي وطن أحادي النغمة، وهو ما أفضى بدوره إلى ملمح آخر في شخصيتها هو وحدتها، فموقعاً تحددت مصر شمالاً وعلى نحو قاطع بالبحر، وماعدها صحراوات شاسعة، تعدّ تقوفاً للوادي، وتحد في اتجاهه، مما يجعلها جزءاً متمماً له، وغفلت له الصحراء الحامية، وموضفاً كانت ضآلة المعور ساحياً داعية إلى

التوحيد، يشقه شارع طويل هو النيل، بحيث لا توجد رقعة واحدة من المعمور، تتبعد عن النيل أو فرعة، وليس يربيد إن أن مصر لم تعرف الطرق الرومانية رفعا عن طول عهدها بالرومان.

هذه الوحدة الطبيعية عاش في جنباتها شعب واحد حياة اقتصادية مشتركة، أي أهم عنصر في نشوء الأمة، فصارت مصر أول أمة في التاريخ وأول دولة، دولة غير قابلة للتقسام، فلا يمكن الحياة لدولتين تحظط كل واحدة بمكنة على مفصلة عن الأخرى، وبالتالي تتصارعان على مشكلة المياه، ثم تتصارعان على مشكلة الخروج إلى البحر، مما يؤدي إلى التهنية إلى الوحدة.

أسفرت الوحدة الطبيعية عن وحدة وطنية، فهي ناحية اللغة لا توجد حول جنوب لغوية لا وزن لها (الثانية - سوية - حاليه)، بل إن جميع الجيوب في حقيقتها مزوجة اللغة، أي تجمع بين العربية ولغاتها الخاصة، أما من ناحية الدين فمفسمة الأقباط ثابتة تقريباً، بل ربما تتناقص، بسبب التحول الديني والهجرة إلى الخارج ومستوى المواليد.

هذا التمايز اللغوي أو الديني إذا صح أنه كذلك يدين من وقعه أن تكون مصر الجنسي سابق لتكوين اللغوي وتكوينه الديني، ومما يؤكد الوحدة أن المسلمين والأقباط يتداخلون جميعاً في مصر كلها، ولا يشكل الأقباط أغلبية في إقليم بذاته.

المظهر الأخير للوحدة الوطنية هو الوحدة السيكلوجية، ومصدرها النيل الذي جعل المجتمع المصري مجتمع حضري، يكاد يخلو من البدوالة، بل إنه يتداخل في طوقسها الحديثة - فرعونية ومسيحية - وإسلامية - ويدين من ثنائياتها الدينية، فهو دين المصلحة المشتركة والخطر المشترك والحياة المشتركة، وبذا فإن نجد شعباً متمازلاً في ملامحه الجسمية والفنية كاشبه المصري.

إلى هنا ينتهي القسم الجغرافي كما يدعه حمدان، لكن هذا القسم الذي أدى إلى دولة أحادية في إبداعها هو نفسه القسم الذي أدى إلى أن تكون حكومتها قوية ومركزية في آن.. وهو الملح الثالث في شخصيتها.

كيف كان ذلك؟ يعاود حمدان التأكيد على أن البيئة الغليظة، دفعت إلى ضبط النهر، وضبط النهر دفع إلى ضبط البشر، بمعنى أن لابد من سلطة عامة قوية، تصير وسيطاً بين الفلاح والنهر، وزاد من قوة هذه السلطة، ما نط بها من حماية البرية الغليظة من خارجها، أي من البدو الذين كانت هجماتهم على الوادي ظاهرة عامة على مدى التاريخ المصري.

أما عن المجتمع فلا بد أن يكون مجتمعاً تعاونياً، لا يصرف الفردية، وهو ما نلاحظه في القرية المصرية، حيث تعاون الجميع في شق الترع والمصارف، وفي درء أخطار الفيضان، ووصل هذه التعاون

إلى حد العمل الطوعي غير المجبور، وإن تحول أحياناً إلى سخرة، وعاماً الفلاح بالعونة.

الحكومة المركزية القوية والمجتمع التعاوني بلذات هما فطران حاكمتان في كيان مصر، وهما اللتان أدتا إلى أن عرفت مصر الحضارة والنظام والقانون.

تختلج الآن إلى الملح الرابع في شخصية مصر، هو أنها وأنها والعراق أصل الحضارة، فهي وإن كانت مفصلة عن غيرها بالموضع، فهي متصلة بغيرها بالوقع، وأتاح له الوضع كوحدة صحراوية حماية لها وحضارتها في مراحل تاريخها الأولى، ولدى اشتداد عودها لعب الموقع بوره كإقليم عبور أو مرور وجعلها في قلب الدنيا من ناحية وحماية السلسلة بحضارات أخرى حولها من ناحية أخرى، تلأخذ منها وتعطيها.

وقد مرت مصر عبر المرحلتين الأولى، أربع، مرحلة عصر الحضارة، مرحلة تصدير الحضارة، مرحلة الانقضاء الذاتي، وأخيراً مرحلة استيراد الحضارة، لكنها



المصريون المحدثون

كأسلافهم القدماء عنصر واحد،

لم يعرفوا هجرات ذات شأن سوى الهجرة

العربية، وهي هجرة أقرباء، يشتركون مع المصريين

في انتمائهم جميعهم إلى عرق واحد..

لذا لم تعرف مصر العاجز اللوني،

ولا التمييز العنصري



في هذه المرحلة الأخيرة لم تلق عند حد الاستيراد، إنما قامت على صهر هذه الحضارة الوافدة في بوتقتها.



الملح الخامس هو أن قوة مصر السياسية تتناسب تناسباً عكسياً مع درجة عزلة عن انغلاقها داخل حدودها، وطريقه إلى عدم انغلاقها خارج حدودها، وحدودها الشرقية على نحو خاص.

وبما كان من الممكن أن تعيش مصر في عزلة نسبية عن المنطقة حولها، عندما كان الصراع صراعاً بين رمل وطين، لكنها لم يعد في إمكانها أن تعيش هذا العزلة، عندما صار الصراع صراعاً بين رمل وبحر، والعزلة هنا أو الانطلاق يعنيان بالدرجة الأولى العزلة عن العالم العربي، أو الانطلاق إليه.. صحيح أنه نهيا صراع عمق استراتيجي ناشى عن صحراء تحيط بها ويجر ويبتة رى تشكل عائقاً

أمام الغزاة، فضلاً عن كونها شبه مغلقة في قاصبة الجنوب بجبال أسوان، وفي الغرب بفضية الروسات، لأنها مفتوحة من جهة الشمال الشرقي، وهو ما أدى إلى أن ترتبط مصر في استراتيجيتها ببلاد الشام، حيث دارت معظم معاركها فيها أو بسببها.

على أنه من الملاحظ أن مصر حين كونت إمبراطورية في بعض عصورها، كانت هذه الإمبراطورية إمبراطورية دفاعية، وليست إمبراطورية هجومية فقد أغناها عنها غناها، وهي بهذه الإمبراطورية كتلت الأمن لنفسها والمنطقة حولها.

يرتبط على هذا الملح ملج آخر، هو أن مصر هي قلب العالم، فانيل يفتح لها الطريق إلى قلب أفريقيا، والشام يفتح لها الطريق إلى قلب آسيا، ولديها بطنى يجران هما أهم بحار العالم القديم، يفضى كل منهما إلى محيط، مما أهم محيطات العالم، مرحلة الإمبراطورية الحديثة في آن.. إن ليس بغريب أن تكون مصر هي عاصمة العالم.

صناعية «محمد علي»، لكن الاستعمار لم يلبث أن سرق هذه الثورة.

يأتي بعد ذلك ملج مهم هو أن مصر أربعة أبعاد حضارية وسياسية، أسبوى وأفريقي على مستوى القارات وأينبي وموسيلي على مستوى الأقاليم وتداخل هذه الأبعاد فيما بينها، كما أن الكل يتداخل مع الإطام العربي الكبير، لكن البعد الأسبوى هو أهم هذه الأبعاد، فائيل لا يجرى في منتصف الصحراء، لكنه ينفذ إلى الشرق، والذات مفتوحة على سبيلها، الأمر الذي يجعل مصر جزءاً من الحلقة السعيدة، وتشمل حواف الجزيرة العربية والعراق والشام، ورغماً عن كون مصر في إفريقيا موعفاً، فقد كانت وأبداً في آسيا واقعاً، هي أي أفريقيا بالبحر افيا، لكنها في آسيا بالترايخ.



الملح التالي هو التوسط والتوسط بين المقصود والتوسط هنا بين الجميع بين مقاضات على نسق، إنما يدعي أن مصر تكونت تاريخياً وسطاً في حدود متجانسة، فهي بطبيعتها تكاد تتوسط كتلة اليابس القديم وكثلة المعمور، وهي متوسطة الحجم بالمجاليات العالمية مساحة وسكاناً ووفرة، الغطاء الزراعي يجمع بين المعتدلات والموسميات، تكاد لا تعرف غير فصلين اثنين في العام، وهي بشرتها جمعت تركيبة من عدة بذات، وتجاوزت لديها حضارة الشرق وحضارة الغرب، وتمازجت خلالها الصفات الجنسية للأجناس الثلاثة الرئيسية في العالم القديم بكل نسب القهوة واللبين، تاريخياً شهدت عصر الإمبراطورية، كما شهدت عصر الاستعمار، غيرها شهد احدهما فقط، أخيراً هي دولة شامية وليست دولة متخلفة.. ذلك كله أدى إلى أن تتوازن في شخصيتها، ولينطوح اتجاهها نحو عصرية أو طائفية، لا ترفض الجديد، إنما تأخذ منه ما يناسبها، أي أن لديها ملكة الحد الأوسط والتوسط الذهبي.

الملح العاشر هو تعاقب الاستمرارية والانقطاع في تاريخ مصر وشخصيتها، الاستمرارية موجودة وبالدرجة الأولى في الخصائص المادية لحضارتها المرتبطة بالبنيل، والانقطاع موجود وبالدرجة الأولى في الخصائص المادية لتلك الحضارة، ولثة مراحل حضارية أربع مرت بها مصر، هي وبالترتيب اكتشاف الزراعة وبدء الحضارة، الإسلام والتعريب، تحول طريق التجارة إلى الراس، الحضارة الغربية الحديثة، على أن الانتقال بين مرحلة واحدة أخرى جرى بطريق التطور، ومرحلة أخرى تسمى «الدواء التاريخي» مما جعل هذه التطورات غير متعارضة.

المرحلة الأولى لا يقاس عليها لأنها بداية، أما تحول



جمال حمدان



قطر عربي، سبقها إلى الحضارة الحديثة، موافقة بين آسيا العربية وأفريقيا العربية، لا حدود لها مع غير العرب، تصديدها للصليبيين والمغول.. ثم إسرائيل.

مصر بين العرب أولوية بين آلاف.. العرب بغير مصر عملت بغير الأمير.

ننتقل الآن إلى قضية القضايا.. قلنا إن الحكومة القوية المركزية والمجتمع التعاوني بالذات هما الظاهران الحتميتان في كيان مصر، وهما اللتان أدتا إلى أن عرفت مصر الحضارة والنظام والمكان.

إذا كان الأمر كذلك، وإنه كذلك فمن أين أتى الطغيان؟ يذهب حمدان إلى أن الطغيان في مصر حدث بالتاريخ، وليس أصيلاً بالجغرافيا، ويستعين في هذا بنظرة نمط الإنتاج الشرقي أو الآسيوي.

يصل حمدان إلى ذلك فيقول: «إن سادات مصر في الجديرة مرحلة من الخصخصة البدائية، حيث الملكية على المشاع والإنتاج بدائي، لا يتركز فائض، ولا يمكن ثم تميز طبقي، بل إن رئيس الجماعة كان يخاف لسنه أو حكمته، ووظيفته حماية الجماعة من أعدائها، لكنه مع الزراعة والاستقرار، أضيف إلى هذا الرئيس مهام أخرى: هي إزالة المستنقعات واستصلاح الأراضي وإقامة قرى وهمايتها من الفيضان، وضبط المياه وتوزيعها، وبدأ تميز طبقي، تحول معه الرئيس إلى حاكم بالمعنى الدقيق، وبدعا تحقق له من انتصارات على جماعة معينة، صار يؤله حليلاً، ثم اندمجت الكيانات الصغيرة في كيانات كبيرة، غير محيرة تاريخية طويلة، إلى أن ظهرت أول دولة في العالم.

كان قيام الدولة يعني أن نمط الإنتاج الآسيوي قد اكتملت أركانه، فقد قامت سلطة مركزية قوية، فأدت نظروا البيئة الفيزيائية إلى تدعيم تفوقها وتبرير وجودها، فصارت تشرف على ضبط المياه وتوزيعها على الفلاحين، عبر جهاز ضخم من الموظفين، وصارت تلك الأرض كلها ملكية عامة كحق راقية، وتوزعها على الفلاحين وكبار الموظفين كحق انتفاع، وكان كبار الفلاحين ومدهم أن يعطوا مقابل ما يعفون أودهم، ويعود فائض العمل إلى الحاكم.

هذا النظام وإن وضع أساسه في حقبة سحيقة، إلا أنه صاحب تاريخ مصر حتى القرن التاسع عشر، وطبيعة الحال فقد خضع لبعض التعديلات في بعض العصور، فاقترب في أحيان من النظام العبودي، واقترب في أحيان أخرى من النظام الإقطاعي.

يصل نمط الإنتاج الآسيوي إلى مداه في عصر محمد علي، فهو بنظام الري الدائم التي إقامه على السخرة صار الملك الوحيد للأرض، أي أنه ألغى الإقطاع بصورة القائمة، ثم فرض الاحتكار على الإنتاج، وبدأ إقام نظام رأسمالية الدولة تظهر معه بالتدريج ملكية فردية، تقلصت بالتدريج كذلك لصالح الإقطاع، بحيث صار لدينا شريحة بوليغو ما عرف بطبقة النصف في المائة التي كانت تستحوذ على نصف الدخل القومي.

هذا النمط الآسيوي للإنتاج كان الأب الشرعي لنمط آخر من الاستبداد أو الطغيان الشرقي الذي كانت مصر صوره للملك، وزاد معه الفلاح المصري لم يكن يجد ثمنه ثقتاً، حيث لا يعطيه الممول أرباحاً فرصة لأن يتعدد كثيراً من يدى الحاكم، كمدكان من شأن السكسكي بالقرى، أي يلغى الفرية، ويفرض تمنيلاً جمعياً، تخلفه مع روح المبادرة التي تعين على المقاومة، ثم إن أحادية الاقتصاد المصري حدث كثيراً من وجود طبقة من التجار والحرفيين، كان من شأنها أن تحدث قدراً من الحراك الاجتماعي، من شأنه أن يكسر طوق هذه الحلقة الربوية.

على أن أكبر ضاف لهذا الطغيان هو الاستعمار الإنجليزي، ابتداءً بالعبادة وانتهاءً بالإنجليز، وكان الطغيان الأجنبي يخذ من الطغيان المحلي عملاً له واداء.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن... أين شعب مصر من هذا الطغيان.



يتوجه حمدان إلى نقطتين مهمتين، أولاهما أن المصري عادة ما كان يقف سلبياً وراء هذا الطغيان، فيصرف عن حياته الحضارية الدنيا (إلى أحيان أخرى الدين) أو حياة جديدة (الإنجاب)، وفي أحيان يلجأ إلى الحكمة السياسية أو

طريق التجارة، فهو ألقها تأثيراً، على أن العرب والإسلام كانا أهم هذه التطورات وأخيراً، ويبدو أن زعماء بوضوح في الجوانب اللامادية، وهما اللذان جعلوا قائمية السباسبية.

قللت الحال كذلك حتى بداية دخول الحضارة الغربية الحديثة، وهي أول حضارة عالمية في التاريخ، وقد ترتب على دخولها انقطاع في الجوانب المادية، لكن الجوانب اللامادية ظلت كما هي من ثقافة تتمثل في الغربية والعربية والشرائط العربي، فضلاً عن الدين والعقيدة.

تتمثل هذه الملامح أو أنها تؤدي بالضرورة إلى ملمح مهم وأخير في شخصية مصر هو انخساعها ويختصها المؤلف بالباب الحادي عشر والأخير من راحته، وكان في تقديره أن يضم ثلاثة فصول في هذه الطبعة الأخيرة، لكن الظروف العامة المصاحبة لصدورها، وهي ظروف حزنة، خلصتها ما جرى من انقلاب في توجهات مصر أن ينضم حسالت بين المؤلف وبين أن ينضم ما تطلع إليه، فأتاني بإعادة نشر ما كتب في عام ١٩٧٧، وأضاف إليه في عام ١٩٧٠.

يقر الكاتب أن مصر جزء من منطقة عربية واحدة، أحدث بها الجفاف ابتعاداً جزئياً، لا تمنع من أن تكون البلاد العربية جميعاً بيئة متوسطية، وأن تصبح مصر والعراق والمغرب منظراً جغرافية، كما أن الوحدة السياسية لا بالضرورة من الوحدة الطبيعية، وإنما من الوحدة البشرية، وهي متوافرة عند العرب.

دينيًا وتاريخيًا العرب أول العراق (إبراهيم) ومصر (هاجر)، ثم هناك التأثيرات السامية في اللغة المصرية القديمة، وهناك أيضاً اللغة العربية التي جعلت العرب هو الأب الإجماعي لخصر في الدرجة الأولى والأب البيولوجي في الدرجة الثانية.

إن سماد أجداد مصر تحلقت في إطار العروبة... معارك صلاح الدين وقطر وبعبير أعظم من معارك تحسنت وروميوس والتوسع الغزواني في مساحته. لم يصل إلى توسع القرن التاسع عشر.

وإذا كانت مصر عربية، فهي زعماء العرب، أهلها لذلك ضخامة حجمها وتجانسها، واستيعابها لعينات من كل

السفريية، وفي أحيان يلجأ إلى خلاصه الفردي.

بيد أنه وللإنصاف كان يقوم بهيات أو انتفاضات، يرغم الحاكم خلالها على تقديم تنازلات، ربما كانت مهمة.. في إحداها نجح في عزل حاكم (خورشيد) وثولوية حاكم آخر (محمد علي) وفي أخرى (١٩٧٧) نجح في وقف قرارات جائرة أصدرتها حكومته، وأحياناً تتحول الهبة أو الانتفاضة إلى ثورة عارمة، شهد تاريخنا القديم واحدة منها، هي ثورة إيبوير في عهد الأسرة الخامسة، وفي تاريخنا الحديث ثورتان، كانت إحداها تصل إلى إعلان الجمهورية (عرابي) والأخرى حقلت بعض أهدافها (١٩١٩). وفي منتصف القرن كانت هناك إرهابية بدورة شعبية أكبر من سابقاتها، سلم الجميع بحتميتها لدولاً أن سبق بوليغو قطع عليها الطريق، وإن كان بوليغو بذاته ثورة «في آخر الثورات تاريخياً، وأولى ثورة نجاحاً على أي نحو أو آخر».

اللفظة الأخيرة المهمة في هذا فاهرة الطغيان لم تكن لفسراً على مصر وحدها، إنما هي شملت العالم كله، وعبره يقر، حمدان أن الطغيان في مصر كان روح العصر، ولم يكن روح المكان، وإن كان قد طال في مصر، فالسبب هو طول تاريخها من ناحية، وما جرى من استعمار أجنبي من ناحية أخرى، أي أنه ليس حتمًا جغرافيًا.

على أن نمط الإنتاج الآسيوي، وإن انتهى زمانه، فإن ما صاحبه من طغيان لم يمته زمانه، وقد خلف هذا الطغيان رواسب في شخصية المصريين (لا شخصية مصرى وشواذب، ليس أولها النفاق، وليس آخرها الخنوع، وعلمنا أن نعتزف بهذه الرواسب والشواذب، ونعوض في التعامل معها وعلاجها، لأن نظري أنتمسا ولا نسمع إلا ما يرضينا، ولا يعنى هذا بالضرورة أن شخصية المصريين منحرفة بطبيعتها، إنما هي محرقة طبيعية حكمها، وعلى الشعب أن يتحمل مسؤولية في هذا الشأن، فهو الذي يصنع الطاغية، وهو الذي ينجني في الوقت نفسه تبعات طغيانه، أي هو الجاني والجني عليه معاً.

واضح إذن أن المقصود لحل مشكلات مصر.. كل مشكلات مصر، يكمن في الديمقراطية، ولأنه في الديمقراطية.. فاشكها عند حمدان دليست ضريبة النجيل ولا ضريبة الناس، وإنما ضريبة الحاكم. ■



وزارة الطيران المدني
الشركة القابضة لمصر للطيران
مصر للطيران للخطوط الجوية



لربط ابناء المهجر بالوطن الام
ولخدمة الجاليات العربية وحركة السياحة

رحلات مباشرة بدون توقف

بين القاهرة و مونتريال

مع مصر للطيران

الثلاثاء و الجمعة

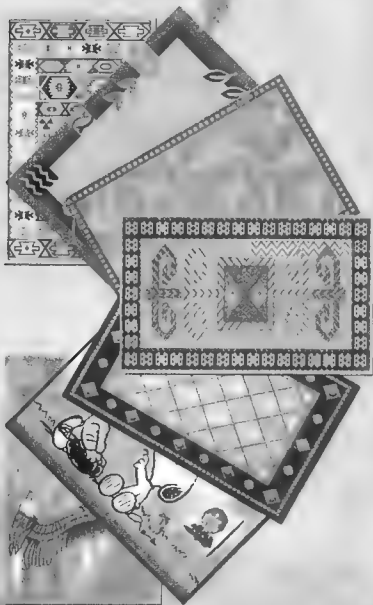
بأحدث طرازات الطائرات

اعتبارا من ١٠ يونية

مصر للطيران
املا بكم صف

سجاد ماك لكل الأغراض .. لكل الأجيال

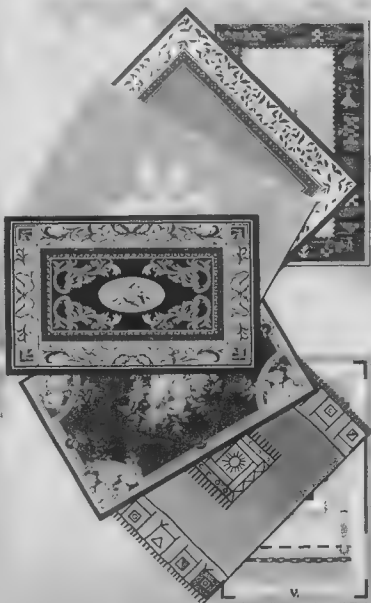
ماك على الإنترنت www.maccarpets.com



متواجد في مراكز بيع بواقى



فانك



التصدير المنتشرة في كل أرجاء مصر

بوع

يات

توكيت

حمام

طفال

ش

ماتيس ويكاسو.. الصديقان

هنري ماتيس يتأمل إثناء حفلة ليكاسو ١٩٥١



الفريمان في معرض واحد!

٢٢

مابلو نيكاسو يعلق ثلاث لوحات لمانيس في مرمعه ١٩٥٩



ماتيس وبيكاسو

نيويورك
أحمد مرسى



ماتيس. آسيا. ١٩٤٦ زيت على قماش ١١٦ × ٨١ سم

المؤلفة من ١٠٣ لوحات حفر التي نشرها فولارد في الثلاثينيات، بها فتيات رسمها من الخيال تحمل هواجس بها. وقد أنتج هذه اللوحات ليس في وقت لم يكن قد قابلها بيكاسو فيه، ولكنها كانت لاتزال طفلة. وأضافت «نحن نعرف أيضاً أن الطبيعة تتبع الفن وليس العكس». ولم يستطع بيكاسو إلا أن يتسم قائلًا: «يا لك من دبلوماسية بارعة».

ثم بدأ يناقشان لوحة ماتيس «طبيعة صامتة» مع نبات الماجنوليا، وكان رأى بيكاسو أنها مفردة في الزخرفية. فضلاً عن أن التكوين المنفوخ، مع نصف الرجل خارج الصورة، بينما تكاد الأشياء يلصق أحدها الآخر، وليست معزولة أو متداخلة بوضوح، كل هذه الأشياء بدت بغيبضة لاستاذ التكعيبة.

وقد لاحظ بيكاسو استغراقها في عمل ماتيس، فعلق أثناء خروجهما من المتحف «إن أنت تعتقدين أن ترتيب الأشياء هذا بدون علاقة سببية عمل ناجح؟ إن ماتيس ساحر، واستخدمه اللون خارق للطبيعة. وهذا يجعلني أشعر بالوجع فجأة، فلنذهب إلى مارتن، بعيداً تماماً، لنشرب بعض الشاي مع بعضنا».

وفي الجنوب، حيث كانا يقضيان نصف وقتها سويًا. كان بيكاسو عندما يكون راضياً عن اللوحة التي يعمل بها، من بين عدة أعمال في طور العمل، يتحدث عن كبح فداء ليصعب عليه جام غضبه. فيبدأ بالاهداف السهلة، الأساقف السكير، أو ابنه الأكبر بول الكسول، ثم يتحول غضبه إلى أهداف حساسة، ظلمة كود الذي يتهمه بأنه مدلل ويتفك لعبه، وفي نهاية المطاف يتحول للهجوم على فرانسواز نفسها وهنري ماتيس في آن واحد.

فهر يوليا لها تظفر إلى ماتيس نظرتها إلى قديس لا يقع في الخطأ، وأنها تقضي وقتها في حرق البخور تحت قدميه. «عيني الآن لك أنت ليس مقلد أعجاب إلى هذا الحد».

«سوف نرى ما سيحدث في المستقبل، الآن لننقل على الذي لست الوحيدة التي تحرق البخور تحت قدميه».

ويرد بيكاسو: «إن كنت تذاكين، دعيني أقل لك شيئاً أو شئتين عن المقاعد ذات المسدين.

لقد أقسمت بذلك! اعتقد أنك رايتها أيتها الراكبة، إن لم تستمع بيبيات رايتها أنتي يبدو لي رجوازيًا. قلد أنه يحلم يكون توازن وتظهر وسكينة». فمن يمكن أن يكون لكل الذين يؤمن علناً ذهنيًا، سواء كان يرث أعمال

أعماله، في وسط مرسمه، إلا إذا كان بقاتمه.

وفيما بعد، في نفس السنة، ١٩٤٥، أثناء مشاهدة معرض من أهم اتجاهات الفن الحديث بمتحف الفن الحديث، في صديقة بيكاسو، كانت أعمال ماتيس التي شغلت الحائط الرئيسي بإحدى القاعات تضم لوحة «فتاة تقرأ» تحمل تاريخ ١٩٤٤، فيها شبه كبير بفرانسواز جيلو نفسها. وقد أخذ بيكاسو، وقال ضاحكاً «هل يمكن أن يتفتح صديقي القديم بهذه الرؤية البقية التي تمكته من رسم وجه لا وجود له إلا في أحلامه حتى الآن؟ إنه يملك بالفعل الإجابة بينما الآن تأمل فيما يمكن عمله بملاحة».

وقد أسعفتها ذكائها في هذه المرة أيضاً فقلقت إن محفواته الشهيرة، للحولية

جمعت بينها مع بعض الصديقات وقبل أن تصعد لروية الفنان في مارا، في كافيته دي فلور، حيث طلب إلى صديقة لها، كان على معرفة بها، ألا تكون انانية فتعزله في صديقاتها الجميلات. وكانت تلك هي البداية التي أدت إلى دعوتها لزيارة مرسمه.

وقبل أن تصعد لروية الفنان في الطابق الثاني، لفحت نظرها لوحة «طبيعة صامتة» لماتيس معلقة في المرسم وسط أعماله. وقد بلغت بها الشجاعة حد أن تعبر عن إعجابها باللوحة على مسمع من الحواريين الذين كانوا يحيطون بيكاسو. وقد سئ بيكاسو لهذه الصسارة، وزاد سروره عندما أضافت بلباقة «لا يملك فنان القفرة على أن يضع مثل هذه التحفة بين

■ في كتابها «ماتيس وبيكاسو: صداقة في الفن» المصادر عام ١٩٩٠ (دويلداي)، صوّرت فرانسواز جيلو، التي عاشت في كنف بابلو بيكاسو زهاء ثمانتي سنوات، وأنجبت منه كلور وبالوما، عائلة الفنانين العملاقين على نحو يوحى إن لم يكن بعكس، تركيبة تجمع بين عنصرين متضاربين: إعجاب أحدهما بعمل الآخر والغيرة منه في نفس الوقت، أو الخوف المتاصل من احتمال تفوق أحدهما على الآخر. ولكن هذه الغيرة المهنية، في ضوء تاريخ تلك الصداقة الجميلة، إن كان في الإمكان وجود مثل هذه الصداقة بين قطبين متنافرين، تُعلن عن نفسها بشكل صريح في حالة بيكاسو بالذات. ويمكن تفسير ذلك، لأسباب مختلفة، في مقدمتها فارق السن، ١٦ سنة، والذي أتاح لماتيس سبباً في التمتع وفي التجديد بالمثل.

ولكن جيلو تحدثت عن علاقة الرجلين خلال السنوات التي عاشتها مع بيكاسو، من ١٩١٩ إلى ١٩٤٤ فقط، ولم يكونا بلبقة الحال بغفرتي إلى الإحساس بالأمن، وخاصة بالنسبة لبيكاسو الذي كان عمره آنذاك ٦٠ عاماً عندما تعرف على جيلو، وكان في أوج شهرته كأعظم فنان غربي عرفه العالم، بينما كان ماتيس يناهز ٧٧ عاماً، وقد تحول بدوره إلى إغترقة في باريس، التي كانت لاتزال حتى ذلك الوقت منارة للفن الحديث العالمية.

ولذلك، لا احسب أن الغيرة في هذه السن، والقصد الغيرة المهنية، حتى لو كانت لها جذورها القديمة، على الأقل في بدايات تجربة بيكاسو في باريس، يمكن أن تكون نفس الغيرة التي توغر صدر فنان شاب يتوسم في نفسه القدرة، أو حتى الرغبة، في أن يترقى طريق غير مسبوق للتعبير عن العالم، بأشياءه وإنسانيته، من منظور جديد، في مواجهة فنان آخر يرى أنه قد وضع قدميه بالفعل على طريقه غير المألوف.



تحكي فرانسواز جيلو، بدون خوض في التفاصيل، إن معرفتها بأعمال ماتيس والتعرف على بيكاسو بمحض الصدفة التي

matiss-Picasso exhibition
معرض ماتيس، بيكاسو
New York museum of Modern
art, Feb 13 - may 19, 2003



بزيارته لصالون المسقيين في عام ١٩٠٦، والذي استمر حتى ٢٠ مارس. فقد مُثل ماتيس هناك بعمل مفرد «ردع الحياة». وقد أقام جاليري دروييه معرضاً شخصياً كبيراً لماتيس في نفس الوقت. فقد كان في ذلك الوقت رائد الحركة الحوشية المؤكد والتي مثلت أكثر أعمال التصوير الفرنسي البائع تقدماً وجساراً. وقد ظلت هذه اللوحة، يقول جولدوينج، تنزّدت في خيال بيكاسو طوال حياته.

وفي محاولة، ربما غير مقصودة لتفسير ذلك الحوار الفني بين الاثنين، يقول بيكاسو «لا أحد على الإطلاق تطلع إلى لوحات ماتيس يتمتع أكثر مني، ولا أحد على الإطلاق تطلع إلى لوحاتي يتمتع أكثر منه». ويقدم المعرض المقام حالياً بمقتضى الفن الحديث - وما - ثمرة هذه العلاقة المصرية بين أعمالهما. ولا أشك أن اختيار الأعمال ووضع أحدها في مقابلة مع الآخر، حسب الترتيب الزمني فرائض نظورهما وتفاعل كل منهما بعمل إنجاز، إنجاز أكاديمي في حد ذاته.

ويعد لقاءهما الأول بلقيل في ١٩٠٦، تقابلاً بالصدفة في أحد المعارض، وقد تذكر ماتيس أنهما اشتركا في مناقشة مقبولة، لكن بيكاسو تحدث عن اللقاء بإعجاب: ماتيس يتحدث ويتحدث. ولا أستطيع أن اتكلم، لذلك اكتفيت بقول نعم نعم نعم.. نعم، لكن ذلك هراء».

وتشير القصة إلى وضعيهما في مشهد الفن في باريس في ذلك الوقت فقد كان ماتيس ناشطاً، في أواخر ثلاثينياته ومتزوجاً وله أطفال. وكان يناقش في الفن والنظريات بلق في النسخ، وكان يرتدي دُفلاً حكة ورباط عنق لا تشوبهما شائبة. ومع ذلك، كانت اللوحات التي عرضها في ١٩٠٥ أعاداً لا تعجبها نقاداً مقبرة للصدمة، وقد حققت له ذبوع الصيت وخلعت عليه لقب «Fauve»، «الوحش البريء».

وكان بيكاسو، الذي يصغره بألنتي عشرة سنة، يتكلم لوضع بصمته. فلم يكن قد مضى وقت طويل على وصوله إلى باريس من وطنه إسبانيا. لكن «الكازيما» التي كان يتمتع بها جذبت حوله شلة من الأصفياء، واعترف الفنان بوجهيته. ويبدأ الحوار البصري لمحتجتي: «البرخ» (١٩٠٧)، لماتيس، وهي مبتلعة من الأسلوب الحوشية الذي أصبح في ذلك الوقت سبباً للسمعة، فقد تخلى ماتيس عن التقليل المرفه والصبون الذي يلجأ إليه الفنان لاصباح شخصوه وإعجابهم بعكاً شائعاً، أو حبساً بالتحسين، بينما استعاض عن ذلك باللون المفع بالمجربة. وضرباً قرصاً تشبه تشبهه ومعبدة، والصورة تشبه زخرفي مسطح للشكل ولبرجالات اللون. لكن المشوخص بلا تحبير.



بيكاسو. بورتريه جيرتود ستاين ١٩٠٥ زيت على قماش ١٠٠ × ٨١ سم

طوال الوقت، والحقيقة هي أنهما منذ التلقا انخرطا في مناسبة صريحة، وكان يرافق أحدهما ترحال الآخر بربرية بينما يتفانسان على الشهرة والثروة في عالم الفن. ولكن برغم معارضتهما للكثيرة، كانا كما يقول ماتيس «متفلقين على نحو غريب».

ولكن على عكس رواية أوليفيه التي كانت تعيد في بيكاسو، يقول مؤرخ الفن جون جولدوينج - في مقدمة الكتاب القيم الضخم الذي أصدره متحف نيويورك للفن الحديث بالتعاون مع الجرائد بالية في باريس ومفتحت تحت الحديث في لندن - بمناسبة المعرض الذي استضافته المناخ الثلاثة أن أفراد أسرة ستاين الأمريكية الثلاثة أصبحوا ماتيس إلى مرسوم بيكاسو ليري بورتريه جيرتود ستاين الذي كان يرسمه. وعلى عكس ما كان تعيد، فيما بعد، أن ماتيس كان ذلك الوقت لم يكن قد عرف بيكاسو، كما كان بيكاسو لم يلق به من قبل، كان الاثنان على عتبة يعمل أحدهما الآخر، وربما كانا قد التقيا. فقد كانت أعمال كليهما يمكن مشاهدتها في جاليري بيرث فيل وجاليري فولر الأعلى مكانة. ولكن اللقاء الذي لا ينسى بالنسبة لبيكاسو ارتبط على نهضة

واستشباط غضبياً. وتحدث عن تدمير بيكاسو وجهه يتوسل للرحمة، برغم أنه عندما كان تطور بيكاسو الجديد يكتسب القول، كان على استعداد لكي يدعى أن التعجبية كانت لها علاقة بأفكاره. «إن الفنانين العظام يحتجون أني ان يبينوا على عمل أحدهم الآخر».

إن كان هنري ماتيس وبابلو بيكاسو، بشهادة عاشقين لإحدهما، أي شهادة شهود عيان، تافيك عما تشهد به أعمالهما وهذا هو بيت القصيد، صديقين وغريبيين منذ لقائهما الأول في حوالي ١٩٠٦ في باريس حتى وفاة ماتيس في ١٩٥٤. وكانت شخصيتهما كما تقول فريناد أوليفيه مختلفتين، اختلاف الليل والنهار، إذ كان ماتيس متحفلاً، وحتى مجاملاً، بينما كان بيكاسو مشحوب بالمعاطفة ويوهيمياً بالسليقة. وقد داب المؤرخون على عقد المقارنة بين عملهما، وتقديم ماتيس كصانع صور متناقضة ملونة توكياداً باناً، وبيكاسو بصفتها الرسام الأكثر مفاهيمه، والذي أكد على الفور أكثر من تأكيد على اللون. وأكد على اللق أكثر من تأكيد على السيكية.

لكن بيكاسو قد أعلن في أواخر حياته أنه وماتيس كانا يتجهان نفس المسار

أو كاتياً، بمثابة تأثير مهدي، شيء مثل مقعد ذي مستدين جيد يمكن أن يرتاح فيه الجزء من الإهراق الجسدي». وخلص بيكاسو إلى استنتاج أن ماتيس يرمي إلى إرضاء المشاهد، ومن ثم، فإن عمله يدخل في خانة الفن الزخرفي.. إلخ.

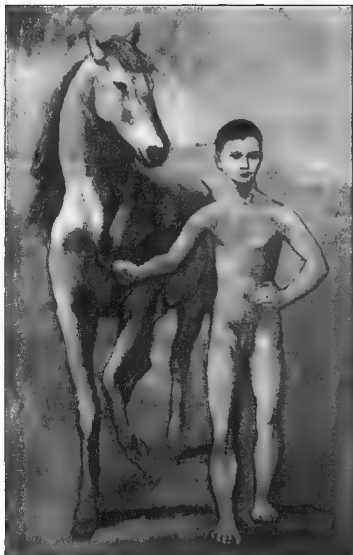
ولكن هذا النحاح.. أو إن شئت الغيرة غير العقلانية، من ثم غير المفهومة، لم تقتصر على ماتيس كفنان، ولكنها في بعض الحالات، كانت تتخذ شكلاً صيغانياً لا يمكن توقعه من رجل يخطو نحو السبعين، وعلى سبيل المثال، غضب بيكاسو مرة وهو يتفقد البريد عندما اكتشف رسالة موجهة إلى فرانسواز بخط ماتيس الذي لا تخطئه العين.. لم يحاول بيكاسو أن يخلى غيرة - العمياء - عندما تبين أن ماتيس يهني فرانسواز بعيد قديمة تحمل اسمها جرياً على تقليد فرنسي، وتساءل: ولماذا لم يرسل تهنئة باسمي؟

ويبدو أن ماتيس لم تحب عنه هذه الحقيقة. ففي إحدى زيارات بيكاسو وفرانسواز لماتيس في أواخر حياته، كان الفنان منهكاً وهو والد في فراشه يقص الفرج الورق المعلقاً شاكلاً تجريدية ليبنى بها لوحاته، وإلا به يفاجئ فرانسواز ببورتريه تجريدي أثار إعجابها وغمرها بالسعادة. ولكن ماتيس تدارك الأمر قبل وقوع الطامة فاتحز في الحال ببورتريها لبيكاسو في الأخرى.

وطبيعة الحال، اقتصرت شهادة فرانسواز جيلو على صداقة الفنانين الخاصة على سنوات حياتها مع بيكاسو من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٤. فلماذا لم السنوات السابقة التي تعود إلى ١٩٠٦؟



تحكي فريناد أوليفيه، عشيقة بيكاسو الأخرى في سنوات حياته الحاسمة في العقد الأول من القرن العشرين أنه تعرف في ١٩٠٦ على هنري ماتيس في بيت أسرة جيرتود ستاين، الشاعرة الطليعية ومفكته بعض أهم الأعمال الفنية لفنان مدرسة باريس البارزين الرواد، هي وشقيقها ليوستاين. وتقول أوليفيه في يومياتها التي صمرت باسم «عشق بيكاسو» في ٢٠١، بعد وفاتها، أن الجميع كانوا يتوقعون من ماتيس وبيكاسو أكثر من أي من معاصريهما، وكانا يصغرين حقيقيين، وجهاً أنهما كانا يتخطان اختلافهما في وجهتهما: «بعضهما يربن شائع، كما كان ماتيس يقول عندما يتحدث عن كليهما وقد فقد ماتيس رباطه رجائه المتعبدية، عندما ظهرت أول الأعمال التجديدية،



بيكاسو، هيبى يقود حصان ١٩٠٦ زيت على قماش ٢٢٠ × ٣٦ سم



ماتيس، رغد الحياة ١٩٠٧ زيت على قماش ٢١٠ × ٣٨ سم

سبيل السمعة في شارع أفينيون في برشلونة). وحتى رسم بيكاسو هذه اللوحة «لم يخرج إنتاج الفنان على النظرة المألوفة للنفر، ولم يكن يختلف كثيراً عن إنتاج غيره من فناني مدرسة باريس، بل إنه يرغب بوجه الميكس، لم يسلم في بداية حياته من القاتر يفتاني عصره الكبار مثل تولوز لوتريك وفان جوخ وقويار. كما لم تخرج موضوعات لوحاته عن الموضوعات التقليدية الشائعة بين معاصريه، مثل مشاهد الملاهي الليلية، وسباقات الخيل والمناظر الطبيعية وصور الزهور. وقد اعتبر المزدنون على مرمم الفنان أن شخص اللوحة «فتيات أفينيون» - حادة الأطراف، مكوثة من سطوح مجزأة ورؤوس مثل

الدراسات التي أنجزها الفنان خلال هذه الحقبة، ويصنف خاصة لوحة «الراس» التي تشبه إلى حد كبير القناع الأفريقي وكل هذه الأعمال تكشف عن علاقة ما تربطها بقطع النحت التي جلبها المستعمرون من أفريقيا. وقد أكد هذه العلاقة معرض آخر أقامه متحف نيويورك للفن الحديث أيضاً عن بيكاسو / براك واقتصر على نفس الحوار البصري وتبادل الفردات و«الباليتة» نفسها خلال حقبتيهما التكعيبيتين المتزامنة. وقد تبادلا اللوابع، من حيث التشاؤل الراديكالي، في عام ١٩٠٧ بإنجاز بيكاسو التاريخي «فتيات أفينيون»، (وقد أطلق أحد أصدقاء بيكاسو هذا الاسم على اللوحة فيما بعد في إشارة ساخرة إلى مأخور

وسحر النحت القبائلي الأفريقي. ويعتقد جوليتج أن المقارنة بين هذين العملين، تبين أن الألوان غير الطبيعية والشخص ذات النسب غير المنسقة في لوحة «اليدخ» تشهد بأن ماتيس أكثر راديكالية في النهج. واستطيع أن أضيف ملاحظة - نقلاً عن دراسة كتبها في السبعينيات عن لوحة «فتيات أفينيون» - أن ماتيس هو الذى اكتشف في محل الأب سوقاج للكلائن في شارع دورين، تملاً من ساحل العاج، وقد أطلع صديق عليه، لكن بيكاسو أكد أكثر من مرة أنه لم يأت بالفرق الأفريقي قبل ١٩١٠. لذلك يشعر المرء بالريبة عندما يلاحظ الجانب الأيمن من «فتيات أفينيون» التي يرى فيها عدد كبير من النقاد إرهابات التكعيبية، وكذلك جميع

وفي المقابل لوحة بيكاسو «هيبى يقود حصاناً» - ١٩٠٦، وعلى عكس لوحة ماتيس، يعطي الموضوع شعوراً بالشجن بينما يستخدم الفنان لوناً متقشفاً، وضربات فرشاة ناعمة، والأشكال مجسمة ونحتية. ولكن كلا العملين مختزلان وميسطان إلى درجة تجعلهما يبدوان منهجين. إذ كان فناندو «الآنجايد» في ذلك الوقت يشعرون بدافع للاستغناء عن التفاصيل وعن الاهتمام بمثل العمل النهائى جرياً على تقاليد أكاديميات الفن الفرنسية، وقد فعلا ذلك بتبني تشكيلة من الأساليب «البرائية»: لقد استكشف ماتيس غرائبية الشرق وعلوية فن الأطفال، بينما انجذب بيكاسو إلى الأساليب الإمبرية العتيقة

السيكولوجية، والعواطف، والشخصية بطرق جديدة.

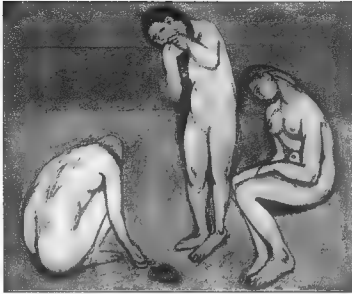
ذلك كان تحليل مؤرخي الفن ومسؤولي متاحف الموما والتيت وبيكاسو، وهو في اعتقادي، ومع تقديرى للجهد الأكاديمي الكبير الذي بذلوه في تجميع لوحات المعرض من بين آلاف الأعمال، والدراسات القيمة التي تضمها الكتالوج - الكتاب الضخم (٤٠٠ صفحة من القطع الكبير)، لا يملك المرء أمام بعض المقابلات أو المقارنات بين علفين معينين إلا أن يشعر بغرض رؤية أوجه شبه أو آثار تالر بهذا أو ذاك من الفنانين لا وجود لها وأن اختيار النموذج الذي يراء منه تأكيد وجهة نظر معينة لم يكن موفلاً، ويضيق ذلك، فيما أعتمد على نموذجي الجولة «١» من الحوار للكعبية، طلوحة بيكاسو «امراة في رداء أصفر» تنتمي إلى الأسلوب والخطبة الزمنية إلى «فتيات الفينون» أما بورتريه مدام ماتيس - فلسف فيه من إرصاصات الكعبية ما يلفت النظر، وهو إن كان يمكن أن يذكر بعمل فنان آخر، فهو في نظري بول سيزان. أما بالنسبة لاستخدام القناع، فمن المعروف أن ماتيس كان يحب باعاً العنصر الياباني التقليدي قبل أن يتكشف الفن الزنجي، أو الأفريقي.



وبرغم انهيار أي أمم أعمال العمالين المنتقاة كعلامات طريق في مسيرتيهما الحرفية، ولا غرو في ذلك فهذه الأعمال قبل كل شيء أخرى بالفضل علامات طريق في تاريخ الفن الحديث، كنت من وقت إلى آخر أعجز عن الوقوع على شبهة تأثر أو حتى المشاركة في رؤية أسلوبية بين العاملين المتزوجين.

وقد شرت حقيقة باتي أنذاك لأن النافذ المخضر يهتولن كرامر أنه شاركتي في هذه الملاحظة بالنسبة لأمثلة أخرى، فهو يؤكد حقيقة لا يتكرها نادق أو ما يلي جاد للفن الحديث، أن المعرض حفل باروع أعمال ماتيس وبيكاسو وكان تشويجاً لجميع معارض الفنانين التي شهدناها، (ولاشك أن كرامر يبتدئ في المعرضين الاسترجاعيين أو الشاملين اللذين أقامهما متحف «موماء» بيكاسو في ١٩٨١، وماتيس في ١٩٩٣). فهو يتناول دراسات «التائر» الذي يعبر نفسه بسهولة لأكثر أشكال الحذقة فتكاً، ويرفعها إلى مستوى الاستيعاب المقارنة التي قلما تحال في لغراض واسعة النطاق.

ومن النتائج المباشرة للترتيب أو التجهيز المقارن للمعرض أنه يكُنْ بياناً شري حتى في أكثر الأعمال الخفية ألفة -



ماتيس. مستحاثات وسلطاة ١٩٠٨ - زيت على قماش ١٧٩ × ٢٢٠ سم

ذلك، الاختلاف بين مزاجي الرجلين، فيكاسو يبتني في الغالب العوان، بينما يقيم ماتيس السكينة. وقد واصل ماتيس الاعتماد على لون واحد، وهي الأضراس والأزرق الباردة المنشطة بالنعناعات من البرتقالي الساطع، وقلتا اللوحتين تكشف عن اهتمام مشترك، وبالرغم من أنه مستوحى من الشخصيتين المصورين الحقيقيين، وهو أن الوجهين عموماً كقناعين. فقد شك كثير من الفنانين في مطلع القرن العشرين فيما إذا كان تصوير «شخصية» شخص ما من خلال التمثيل الواقعي، أو ما إذا كان التمثيل الواقعي يمكن أن يكون حقيقياً. ولذلك، استخدم ماتيس وبيكاسو القناع ليمثل

الحوار بين الفنانين من ١٩٠٩ إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد كان ماتيس يتنوع أعمال بيكاسو في الحال قبل المرحلة الكعبية مثل لوحة «امراة في رداء أصفر»، إلا أن هذه اللوحة قد عشت بسطوحها المجزأة وخلفيتها ذات الأشكال الخشونة، بالرغم من أن شكل المرأة نفسه يبدو كاملاً، بالأسلوب للكعبية. ويعتقد منظمو المعرض أن ماتيس قد تعلم شيئاً من هذه الطريقة، ويظهر ذلك في «بورتريه مدام ماتيس» حيث بنى صورة زوجته حول خطوط عتقة مجردة. ومع ذلك، لم يستخدم التفهشيرات الوحشية التي انتزت الإنسانية تقريباً من المرأة موضوع لوحة بيكاسو، وتبين اللوحتان، إلى جانب

بيكاسو. امراة في رداء أصفر ١٩٠٧ - زيت على قماش ١٣٠ × ٩٧ سم



ماتيس. بورتريه مدام ماتيس ١٩١٣ - زيت على قماش ١٤٦ × ٩٧ سم



الافتحة، فلفة يشكل صادم، وغير متماسكة، وحتى تبعث على السخرية. وكان ماتيس من بين أولئك الذي وجدوا اللوحة مهينة في وحشيتها، وأعان أنها عمل زائف، ولكن هل بلغ به الغضب، أو الشعور بالإساءة أمام اللوحة حد التهديد بتميره؟

ورباً على تبني بيكاسو الافتحة والمخوضات القبلية، سعى ماتيس إلى الإيمان في تأكيد انتمائه إلى تقاليد الفن الأوروبي، وتشير أجساد مستحاثاته في «مستحاثات وسلطاة» إلى نموذج بدائي مختلف، نموذج رسامي عصر النهضة المبكرين مثل جيوتو.

وقد تحدى كلا الفنانين القاعدة، التي سادت لسنوات كثيرة، وهي أن مثل هذه الصور كانت تحثاً إلى قصة أو حكاية، بينما لم تحدا أية لوحة من اللوحتين قصة واضحة. فقد غير ماتيس وبيكاسو طبيعة تجربة المشاهد: استعجز عن فعل فك شفرة قصصه بفعل النظر والإدراك - حركة العين وهي تتنقل من شكل إلى شكل باحثة عن معنى.

وتنقل حلبة المنافسة، كما يصورها منظمو المعرض، من المنافسة في رسم الشخص إلى ما أطلق عليه «الحوار الكعبية»، وقد اختبرت لوحتان، فيهما من جوانب الاختلاف في الرؤية والشاؤل والأسلوب نفسه ما يطغى على أي تشابه يدفع إلى عقد مقارنة.



وقد قسم معدو المعرض، وكل منهم خبير في مجاله، (إليزابيث كولينج، محاضرة في الفن بجامعة إدنبره، وجون جولدوينج، فنان ومؤرخ فن، وأن بالداساري، أمانة بمتحف بيكاسو بباريس وإيزابيل فونتين، نائبة مدير المتحف الوطني للفن الحديث بباريس، وجون إرفيل الذي عني أثناء كتابة هذا المقال أميناً لإدارة الفن الحديث بـ «موماء» خلفاً لكيرك فارنيدو الذي شارك بدوره في تنظيم المعرض والبروفسور بجامعة برينستون، سموا تيمة الحوار الكعبية، على طريقة مباريات الملاكمة، إلى جولتين مرفقتين، وتمثلت الجولة الأولى في لوحتين، لوحة بيكاسو «امراة في رداء أصفر» (١٩٠٧) ولوحة ماتيس «بورتريه مدام ماتيس» (١٩١٣).

لأش أن القناع الافتتاحي انقلبو على ماتيس لصالح بيكاسو مع مولد الكعبية التي يقال أن ماتيس كان أول من وصف لوحاتها بأنها مؤلفة من «مكعبات صغيرة». وقد سيطرت هذه الحركة على



(١٩٠٨)، عمل رائع، لكنه لا يقول لنا أي شيء عن صدمة بيكاسو أمام «رغد العيش»... تلك الصدمة التي حفزت إبداع «فتيات أقيون».

«ولا بد من القول أيضًا أن الحائط النهائي في المعرض يفتنم ماتيس / بيكاسو بمذكرة

أحيان أخرى، فاللوحة الأكثر ملاءمة من أعمال ماتيس التي تُعلق جنبًا إلى جنب «فتيات أقيون» بيكاسو، كانت هي «رغد العيش» (١٩٠٥)، الموجودة في مجموعة مؤسسة بارنيس، ولكن، للأسف لا تعبر المؤسسة مقتنياتهما. والعمل الذي اختير لذلك الموضوع، «مستحات مع سلحفاة»

تمامًا، وهي متوفرة في هذا المعرض في كل متحف..

ويعد هذا التقييم المستحق يتساءل كرامر.. «هل بعض النماذج المتزاوجة ماتيس وبيكاسو مقفحة بعض الشيء»، ربما؟ حسنًا، نعم. في معظم الأحيان، لا تكاد تهم المقارنات الفاشلة، لكنها تهم في

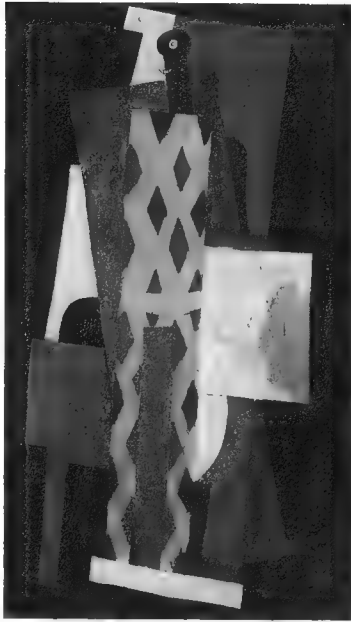
بورتريه جيرترود ستاين لبيكاسو (١٩٠٥)، على سبيل المثال، ولوحة ماتيس «مشهد نوتردام» (١٩١٤) - أشياء معبدة ربما لم تولها اهتمامًا كافيًا في لقاءات سابقة. أن يرى المرء بيكاسو من خلال عيني ماتيس، وماتيس من خلال عيني بيكاسو يمكن أن تكون تجربة مسكرة

خارج بشكل خطير. فهو أحياناً محصلة العقل الباطن لأكثر من قوة متشابهة. فأنجر، وسيزان، وبركاهم مثل أفيال عابرة في هذه الغرف، ظاهرون بواسطة غياب الاعتراف، فيما عدا عندما يعترف بيكاسو بطرف ثالث بشكل صريح، في أعمال مثل «جزائريات، نقلاً عن ديلاكروا»، وهي تحية للغائب ماتيس عن طريق سلف يجله كلاهما.

وقد أعلن بيكاسو مقولته الداعية «لقد ورثني ماتيس جواربه»، ثم أعاد بيكاسو هذه الجوارب إلى مصدرها الأصلي؛ ديلاكروا.

ومع أن المرء يسلم بسبغ المفاضلة بين عبقريتين مختلفتين لافي الأسلوب فقط، بل وفي رؤية الأشياء وأسلوب الحياة والتعامل مع العالم الخارجي، إلا أن فكرة المعرض نفسها التي اختيرت المعروضات لتعزيمها، وبالأحرى والتي فرضت على أصحابها اختيار أعمال بنفسها على أساس معيار واحد، وهو خدمة نفس الفترة بغض النظر عن القيم الاستيعابية المجردة من أي غرض عملي آخر، فضلاً عن أن نجاح المتعلمين، برغم هذا الاعتبار أوبة اعتبارات أخرى، في تنسيق المعرض بطريقة توحى، ولو بطريقة غير مباشرة، بالتنافس والأخذ والعطاء معاً، يجد المشاهد نفسه، بدون أن يشعر، يحمي القباط نكل من الفنانين كأنه يتابع مباراة ملاكمة ليسال نفسه في النهاية.. من المنتصر؟ وفي الحقيقة، قبل أن أجيب بصوت مرتفع، لاني لم أكن في حاجة إلى عملية حسابية، سالت ابنتي التي كانت ترافقي فأجابت بلا تردد: ماتيس طيفاً.

يقول جاك فلام، مؤلف المجلد الضخم الذي أصدره متحف نيويورك للفن الحديث بمناسبة معرض ماتيس الشامل، في كتاب صدر حديثاً حول فترة المعرض «بيكاسو / ماتيس»... «تُتيت في النهاية أن بيكاسو لم يكن إلى حد كبير فنان المستقبل كما كان رجل المستقبل، وكان ماتيس في كثير من الأحوال رجل الماضي لكن فنان المستقبل» فقد كان بيكاسو أول فنان نجم حديث، بينما كان ماتيس في طلبة الرصينة، وهيئة الطبيب، والرجل المتخبط الذي يحمي حياة حبه المضطربة من الجمهور، كان يبدو من سلاله الأسلاف، بيكاسو الكومي المجدد، ماتيس بطريق الكوت دازور، إلى يرسم الحريم وبعض الورق الملون وهو يرتدي البجامة، يقول مايكل كيملان: «بدون الانقاص من بيكاسو في وجه الدقة، إن مفاجأة المعرض في أنه يجعل فن ماتيس يبدو على الأقل واثقاً وملائماً بنفس درجة بيكاسو، بينما لم يدور نقاد آخرون عن ترجميح كلفة ماتيس. ■



بيكاسو، المهرج ١٩١٥، زيت على قماش ١٨٣ × ١٥٠ سم

وهي أن الفنانين العماليين قد أثر أحدهما في الآخر، أو تأثر أحدهما بالآخر. وقد استمرت عملية الأخذ والعطاء هذي حتى وفاة ماتيس في ١٩٥٤، ولكن بيكاسو، فيما يبدو، أكثر عن طيب خاطر أن يكون هذا الحوار الخلاقي موصولاً حتى بعد غياب «غريمه» إلى صرح هذا التشبيه، وصديق العصر.

ولكن تحديد هذا التآثر، كما يلاحظ الناقد مايكل كيملان، بين عبقريتين تبادلت الإعجاب مثل ماتيس وبيكاسو، وأعلن اقتنهما وتنافسهما أحدهما مع الآخر،

فصاغات الصحف المسطحة، والأوراق الملونة ومواد أخرى إلى تكويناته التكعيبية. وفي السنة التالية بدأ يرسم لوحات تكعيبية ملونة تشبه عناصر من الكولاج. وقد كان ماتيس دائماً ملوئاً وصانع أشكال محددة، وأخيراً رأى في هذه التكويزات واللوحات التكعيبية أسلوباً يمكن أن يرتبط به - وحتى محاولة ليتجاوز.

وتتوالى بعد ذلك المزاولجات والفنانات التي اختيرت بعناية لشهد بصحة مفهوم، وإن شئت رسالة المعرض،

متجهة. فلوحة بيكاسو «الظل» (١٩٥٣) هي من أضعف أعمال الفنان. ولوحة ماتيس «عازف الكمان أمام النافذة» (١٩١٨) ليست في الأخرى عملاً، برغم أنها أفضل بكثير من لوحة بيكاسو. والشيء المشترك الوحيد فيهما هو الشعور بالكآبة الذي يثيرانه - وهذه طريقة غريبة لإنهاء مثل هذا المعرض المنتهج بالنصر.

ولابد من التوضيح بفضل ماتيس وبيكاسو نفسيهما في لفت الانتباه إلى تأثر أحدهما بعمل الآخر. وإن كان مثل هذا الرأي يمكن ألا يكون موضوعاً في بعض الأحيان، برغم أن ماتيس بالذات كان يتمتع بحاسة نقدية مرهفة، وقد ارتقت بعض ملاحظاته عن تجربته الخاصة مع الفن إلى مستوى التفتير.

يقول جاك فلام، مؤرخ ماتيس المخصص، أنه عندما بدأ العمل في كتابه عن كتابات وأقوال ماتيس في الفن في الستينيات، كان معظم الفنانين والنقاد في أمريكا يعتبرونه فناناً جدانياً وكشبه بالأحرى سطحي. وكان الإحساس العام أنه ليس لديه شيء يذكر ليقوله عن الفن للفنانين أو الأكاديميين. وكان لا يبدو أن لديه برنامجاً نظرياً أو سياسياً معيناً، أو تكتيكاً محدداً يدعو له - لهدف شخصياً له.

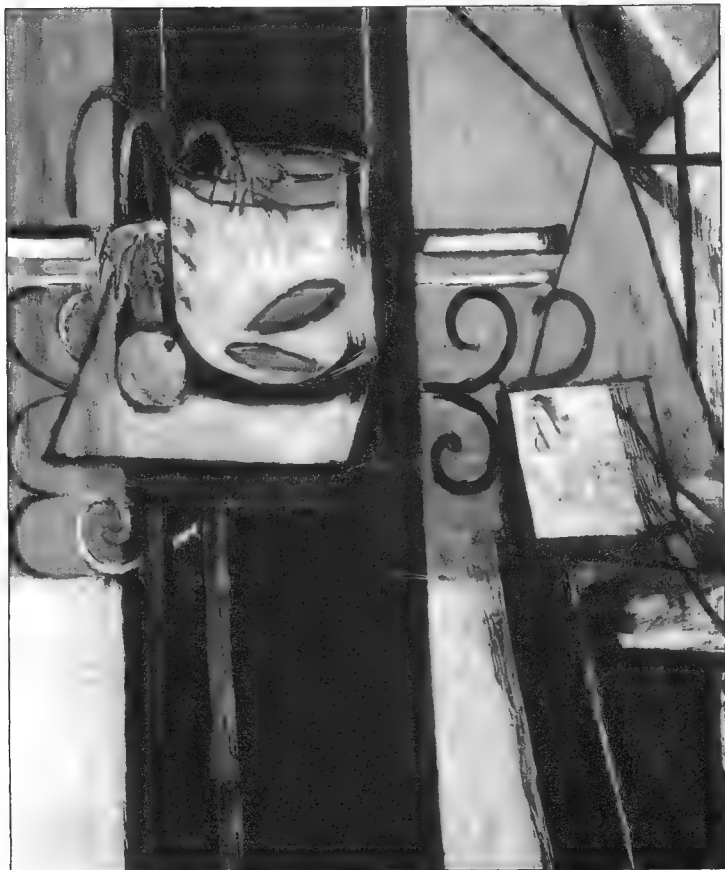
ولكن عندما نُشر الكتاب، أسعده أن يسمع من كثير من الفنانين إلى أي مدى كانت كتابات ماتيس تعني لهم. كما أفاضت كتابات ماتيس الدارسين والدراسات الأكاديمية عن ماتيس بصفة عامة.

لذلك، عندما يعلق ماتيس على عمل ليكاسو يمكن أن تكون له علاقة بلوحة معينة من أعماله، ينبغي على الأقل أن يؤخذ هذا التعليق مأخذ الجد.



وفي خريف ١٩١٥، زار ماتيس جاليري ليون روزنبرج وشاهد لوحة «المهرج» لبيكاسو. وكتب روزنبرج لبيكاسو فيما بعد أن شاهد لوحته مرة بعد الأخرى، اعترف بامانة أنها تتوافق على أي شيء فعلته. ثم أضاف «أنه يعرب عن شعور بأن لوحته «السكة الذهبية» قد قامت إلى «المهرج» ويؤكد تناول المعرض أن «السكة الذهبية» والبيئة» (١٩١٤) قد أثرت على «المهرج»، ولكن ليس قبل أن تتأثر هي نفسها ببيكاسو. فقد بدأ بيكاسو في ١٩١٢ في استعمال الكولاج، مضيقاً من

ماتيس. سمكة ذهبية وبالقبة رسم ١٩١٤. زيت على قماش ١٤٦×١٢٢ سم



السبى البابلي.. دراسة تاريخية

من يقرأ خطبة مبعوث الملك

الأشوري سنحاريب (٧٠١ ق.م) إلى شعب أورشليم المحاصر

والتي يدعوه فيها إلى الاستسلام ويحرضهم ضد حاكمهم ويعرض عليهم

المكافأة بدلا من توقيع العقوبة، لن يجدها تختلف كثيرا عن الرسائل التي أسقطتها طائرات

الفرقوا أنجلو أمريكية على مدن العراق، قبل استسلامها، وتحت نيران القصف الجوي العنيف،

«حققوا السلام معي، استسلموا لي، وسياكل كل فرد منكم عنيا من كرمه

وتيتا من بستانه، وسيشرب كل واحد ماء من بئر»



نيلى إبراهيم أبوالمجد

الثاني ٢٨/١٨ - ٣٣) عُرض ليس عقاب بل كمكافأة على عدم مقاومة السلطة الأشرورية. وبالفعل لقد ذهبت بعض النصوص إلى حد وصف الأشروريين بأنهم يصرون بنبابة عن الشعب، ويرعون مصالحه ويمعنونه وينقذونه من طغيان حكامه.

فلم يُوعَد المهجرون بالأرض والرخاء عندما يُعيد الأشروريون توطينهم فحسباً بل وعدوا أيضاً بالعمى ضد السكان المحليين، الذين نظروا إليهم بالطبع على أنهم متخطفون ومغتصبون. (وهذا لا يختلف كثيراً مع ما فعلته أمريكا مع أفراد العراق عندما سمحت لهم بدخول كركوك، وسمحت لهم بطرد سكانها العرب واحتلال مسابكتهم، كمكافأة للأكراد على موقفهم من صدام حسين وتسهيل مهمة أمريكا في احتلال العراق، ولا يختلف مواقف الشعب العراقي من الأكراد ومن شخص المعارضة العراقية التي تحاول أمريكا فرضها على الشعب العراقي وتوليبتها زمام الأمور، لا يختلف كثيراً عن مواقف السكان المحليين في الإمبراطورية الآشورية).

د- استهدفت سياسة التوطين إيجاد جماعات تعاضد على السلطة الآشورية ضمن الشعوب المحكومة، وبذلك تضمن أن تقلل مخلفه لها، لذلك انحصرت مجموعة من العسكريين والزعماء السياسيين والخشنة... (وهو ما فعلته أمريكا منذ حرب الخليج الأولى فقد احتضنت المعارضة العراقية وراعت عند اختيارها أن تضم عسكريين وسياسيين متطعنين إلى الحكم) ونخبة ممن يمكن الاعتماد عليهم في إدارة البلاد في عراق ما بعد الحرب).

هـ- كان الهدف من إقامة بعض المنشآت الجديدة هدفاً استراتيجياً وشملت عدداً كبيراً من المنشآت الحدودية شبه العسكرية (وهو ما خططت

ومفهوم «العودة» مفهوم إيديولوجي أساسي في سياسة التهجير وإعادة التوطين منذ عصر الإمبراطوريات القديمة، وهو محاولة إيجاد صلة دينية قديمة تربط هؤلاء المهجرين بتلك الأرض الغريبة. وسنناقشه تفصيلاً أكثر في موضع آخر ونبدأ بأول المخططات الاستعمارية وهو:

١- التهجير والتوطين،

تذكر النصوص والأثار أن الخطط الاستعمارية للسيطرة على السكان اعتمدت سياسة التهجير والتوطين وكانت مظهرًا شاعريًا في كل حروب مصر القديمة وبابل والعالم الحثي منذ بدايات الألف الثانية قبل الميلاد، وقد قام بها جيش آشور في القرن السابع ق.م واعتبرت قاعدة للسياسة المركزية البابلية والفارسية بعد انهيار آشور بوقت طويل. وهناك عدة أسباب جعلت الآشوريين يعمدون إلى هذا التهجير في البنية السكانية في الإمبراطورية وهي:

أ- تدمير التركيب الاجتماعي المناطق الفتوحة، وخلق كيانات مفككة وتابعة ومختلطة للإمبراطورية الآشورية (وهو ما تنويع أمريكا كبدايات بقوة السلاح لرسم خريطة جديدة للشرق الأوسط عبارة عن كيانات مفككة، متناحرة متخلصة فقط لأمريكا).

ب- استخدم الآشوريون التهجير كعقاب للمواطنين على الغاومة أو الثورة، كما استخدم للمقاضاة على المنافسين المحليين أو على إكباتيات المقاومة والصينيين (وهو ما تخطط إسرائيل للقيام به مع الفلسطينيين وسعره لاحقاً).

ج- استخدم الآشوريون التهجير وإعادة التوطين كمكافأة للسكان ضد حكامهم، فانتهجوا كما عرض (سفر الملوك

على يد «شلما نصر» سنة ٧٢٢ ق.م ما هو إلا تهجير لسكان السامرة من بني إسرائيل في شمال فلسطين إلى آشور وميديا وشمال سوريا، وتوطين جموعات سكانية من شمال سوريا وبابل وعيلام مكانهم.

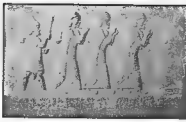


لم تكرر أيضاً على يد الإمبراطورية البابلية، فالسبى البابلي الذي قام به «نبوخذ نصر» ٥٨٦ ق.م هو تهجير لبني إسرائيل سكان أورشليم وأقليم يهوذا إلى بابل، أما الإمبراطورية الفارسية فقامت بالتهجير العكسي، أي هجرت السكان من كافة أنحاء الإمبراطورية (سفر عزرا ١/١) إلى أرض كنعان تحت اسم (العودة من السبى) وذلك من أجل خلقه التركيبة السكانية التي كانت موجودة والتي قاومت هذا «الغازي المعتقد» الذي وصف نفسه بأنه «عائد» فالاصحاح ٤-٦ من سفر عزرا يعكس الصعوبات الإدارية التي تواجه سياسة إدخال عناصر سكانية جديدة وبيانات مركزية في منطقة ما، حيث يوجد سكان مستقرون ذوو عائلات وسلطات ذاتية منذ بعيد، ويعكس التوتر والصراع مع الفعل البعدي الذي فوبل به هؤلاء «الغازيون» الغليونون.

وقد كان آخر مخططات التهجير في منطقة فلسطين هو ما قام به الاستعمار البريطاني أثناء الانتداب وهو يشبه المخطط الفارسي الذي قام به «قورش». فقد تعاون الاستعمار البريطاني مع الصهيونية عن طريق وعد بلفور (١٩١٧ م) وقام بتوطين سكان تابعين للإمبراطورية من كافة أنحاء العالم، في فلسطين تحت اسم «العودة إلى أرض الآباء» وقام هؤلاء «العائدون» بقرع سكان فلسطين الأصليين وإزهايمهم وإجبارهم على مغادرة فلسطين.

■ ■ ■ أعاد الاحتلال الأنجلو أمريكي للعراق إلى الأمان سجل تاريخ الاستعمار والإمبراطوريات في منطقة الشرق الأدنى القديم، وكأنه قد كُتب على الأجيال العربية التي ولدت بعد مرحلة الاستقلال أن تتجرب مرارة الاحتلال عقاباً لها على عدم الاستفادة من دروس التاريخ، فمن لم يقرأ التاريخ كُتب عليه أن يعيده، ومن لم يكن فاعلاً يصبح مغفولاً به. وقد ظلت هذه المنطقة هدفاً استراتيجياً لكل الإمبراطوريات والدول الاستعمارية التي ظهرت منذ القدم، وسنستعرض هنا الإمبراطورية الآشورية والبابلية ثم الفارسية ٥٣٨ ق.م، والاستعمار الأنجلو أمريكي (٢٠٠٣ م).

وسنحاول في السطور التالية أن نلخص المخططات الاستعمارية التي تبنتها تلك الإمبراطوريات القديمة^(١) والمخطط الأنجلو أمريكي في غزو واحتلال العراق. كما سنستعرض بين دور بني إسرائيل في مخططات الإمبراطوريات القديمة، ودور اليهود في المخطط الأنجلو أمريكي. فنظراً لأهمية موقع أرض كنعان (فلسطين) الاستراتيجية بالنسبة للإمبراطوريات القديمة والاستعمار الحديث، فهي تشكل مع مصر أوسط نقطة في العالم. فإذا شجعنا مصر بلعنة فإن للسياسة بمخاطبة عنق النمرة، لذلك ما إن تقرض إمبراطورية ما سيطرتها على بلاد فارس والعراق والهرات الخصيب حتى تقوم بتدعيم طرق الوصول إلى البحر الأبيض المتوسط وإلى مصر. ولا تتفكر بإحتلال تلك المنطقة، بل تقوم بتهجير سكان فلسطين، وتوطينهم في مناطق أخرى وجلب سكان آخرين تابعين للإمبراطورية أو المستعمر وتوطينهم في أرض كنعان، وهو ما يُعرف بخلطة التركيبة السكانية، وقد تكرر هذا كثيراً في التاريخ القديم والحديث على يد الإمبراطورية الآشورية، فالسبى الآشوري



نشر العدل في الأرض.. وهامو «نابونيد» الملك البابلي يصف نفسه بأنه خادم مطيع لئله «سين» وأنه يتصرف بناءً على تعليمات مباشرة منه.. فقد هجر السكان من موطنهم إلى حاران ليقرب موعد عودة الإله سين إلى المدينة ويعيد بناء معبدها القديم. وكما ذكرنا فالإله «مردوك» هو الذي اختار «قورش» وأمره بالزحف على بابل. خلاصة القول أن المستعمر القديم غلّف أهدافه التوسعية بستانار الدين وتنفيذ الأوامر الإلهية وهو ما فعله المستعمر الأنجلو أمريكي، وما عرت زلة اللسان التي وقع فيها بوش واعتذر عنها، فقد وصف حربه ضد الإرهاب بأنها «حرب صليبية».



التعجير الثاني الذي استخدمه بوش بكثرة، ولم يظن أحد إلى أنه تعبير ديني صهيوني هو: «محور الشر» فقد وصف العراق وإيران وكوريا الشمالية بأنهم محور الشر أو معسكر الشر، وقد علقت مارجريت تاشر على هذا التعجير، بأن بوش قد خطا بضم كوري الشمالية إلى «محور الشر»، لكنها أبدته في وصف العراق وإيران بأنهما «محور الشر»، فما المقصود بمحور الشر في المسيحية الصهيونية؟

«معسكر الشر» أو «محور الشر» تعبير مسيحي صهيوني استخدم بوش من التقدير الصهيوني لروى يوحنا اللاهوتي وصف السفر الأخير من كتاب المقدس، وقد وضع يوحنا اللاهوتي، في قرب نهاية القرن الأول الميلادي، ويضم مجموعة من الرؤى بعضها ملغز وغامض، ويتناذر من اليهودية فسر البروتستانت والأرمنست وشيوع يهود تفسيرا حقيقيا، بأن تلك الرؤى تشير إلى قوم السيد المسيح في نهاية الزمان مرة أخرى ليحكم على الأرض، فتكون الأرض بمثابة عرش ويكون مركزها القدس، ويجلس على عرش ملكة داود، ويحكم لمدة عامين وهو ما يعرف به الملك الإلهي، إلى أن تكون هناك دينونة أخرى».

والفكر في منشأها سياسي وليس لاهوتيا، وقد ظهرت في الأبيات اليهودية في القرن الثاني ق م لإعلاء الجلبس والإتخايب التي انتابت اليهود تحت الحكم الروماني وفي ظل ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية بالغه الشدة والقرى والجماعات «الرؤى» في الأبيات اليهودية تمثل الأمل والعلاج لهذا اليأس.

ووفق التفسير الصهيوني لرؤى يوحنا

أن نزول السيد المسيح سوف تسبق معركة حاسمة «قتال يوم الرب» ١٦/١٤، وستدور تلك المعركة في جبل مجدو ١٦/١٦ (هرمجدون الجبلية) في شمال فلسطين، وهذه المعركة الحاسمة هي التي ستأتي بالخلاص، وستكون بين معسكر الخير ومعسكر الشر أو أبناء النور والظلام. والاعتقاد بحتمية الحرب بين الخير والشر أو النور والظلام لكي يأتي الخلاص أخذها اليهود عن الفرائدشتية^(١٧) فهي تقول: إن وجود العالم سببه امتزاج «النور» والظلام، أو «الخير» والشر، فلو لا امتزاجهما لما كان وجود العالم، وهما أي الخير والشر، أو النور والظلام يتقومان ويتفانيان إلى أن يخلب «النور» «الظلام» وال«خير» «الشر» وهذا هو «سبب» الخلاص.

ففسرت اليهودية «قتال يوم الرب» في سفر يوحنا اللاهوتي بأنه حرب الخير والشر أو النور والظلام، وهذا قد يتبادر سؤال: ما هي العلاقة بين العراق وإيران وجبل مجدو التي ستدور عليها رحى الحرب بين الخير والشر؟

العلاقة تكمن في التفسير اليهودي الصهيوني لسفر الرؤيا، فقد تردد فسر نهر الفرات ومدينة بابل في رؤى يوحنا وأتبط ذكرهما بالحوادث والكوارث التي ستحدث على الأرض تمهيدا ليوم الرب ١٦/١٢، ١٦/٩، فتوقع صهيونيين بابل في ١٧/٣-٣ بأنها «الزانية العظيمة الجالسة على الكثرة التي زنى معها ملوك الأرض».. ١٧/٥: «والمدينة العظيمة أم الزواني وجاسات الأرض».. وفي ١٧/١٥: «ثم قال لي الملاك لي المياحة التي رايت حيث تجلس الزانية هي شعوب وجنوع وأمم ولستة.. وأما القرون العشرة التي على الوحش فهؤلاء سيضعفون الزانية وسيجعلونها خربة وخرابة ويأكلون لحمها ويحرقونها بالنار.. لأن الله وضع في قلوبهم أن يضعفوا.. والمرأة التي رايت هي المدينة العظيمة»..



وفي الأصحاح الثامن عشر تدور رؤى يوحنا حول سقوط بابل ١٨/٢) وسبب سقوطها (١٨/٣) ثم يستكمل في (١٨/٥-٧): لأن خطايا ما بلغت أضعافها وتذكر الله ذاتها.. جازاها كما هي أيضا جازتكم ما ضاعوا لها ضحفاً ظاهراً أعمالها.. في الكس التي مزجت فيها أمزجوا لها ضحفاً. بقدر ما غلظت نفسها بقدر بقدر ذلك أعظمها عذاباً وجزأء.. ثم يستكمل لسفر

وصف الموت والحزن والجوع والحرمان التي ستؤول بابل.

لقد استغل الصهاينة الأمر الذي ورد في ١٨/١٦: «جازوا» أي بابل - كما جازتكم» بأنه نزع للمسيحين باليهود، فبابل لم ترتكب أثاماً ما حق للمسيحين، ولكن وفقاً لوجه النظر الخواتمية، تلك الأثام ارتكبت ضد اليهود، فهم الذين تم سبيهم إلى بابل على يد نبوخذ نصر ٥٨٦ ق م كما ذكرنا. وهذا الأمر الوارد في (١٨/٦)، كانه استجابة لما ورد في سفر التزمير (زمور ١٣٧/٩): «يا بابل بابل الخربة طوبى لمن يجازيك جزاء الذي جازيتك.. طوبى لمن يسبك أطافك ويضرب وجه صفيحتك.. فالزمور (١٣٧/٩) يعرض انسي الذي تعرض له اليهود على يد نبوخذ نصر على أنه عقاب وبلاء ومحنة، وجاءت رؤى يوحنا لتفسر وتفصل الجزء المتعلق الذي تستحقه بابل وهو الدمار والخراب والذل واللعن.

وعلى النقيض من المزمور (١٣٧)، يصف سفر جزاء، أبناء اليهود المسيحيين في بابل فيخيل لنا أنه يتحدث عن يهود أمريكا الآن وليس عن يهود بابل، فقد سمح قورش الملك الفارسي لليهود بالعودة إلى اورشليم، ولكن هناك يهوداً لم يفعلوا أن يطلوا في بابل فطلب منهم أن يتبعوا، فرفضوا ونذهب وبعثواهم وتبرعات لبناء بيت الرب في اورشليم (عزرا ١/٣) - فالنبي يبيد وكأنه مكافاة لليهود.

وعلى النقيض أيضاً من المزمور (١٣٧) يصف سفر «دانيال» نبوخذ نصر بأنه تلقى ويمجد له بني إسرائيل ويعامل اليهود بلبين ورفق (دانيال ٤/٣-٤/٢٩).

وسواء كان السبي البابلي عقاباً أم مكافاة لليهود، ما يعطينا هنا هو توظيف «اليمين السببية الصهيونية» للمسبي البابلي في الحرب الأنجلو أمريكية من أجل تحقيق أهداف دينية لتلك الحرب:

١- كما أنتم أعداء اليهود بالقرآن من خراب ودمار وحريق وذلال وعذاب وحزن، هو جزاء بابل على ما ارتكبت من أثم في حق اليهود ضد السبي البابلي.. وهو التخليد الصهيوني لرؤى يوحنا اللاهوتي.

٢- ستمثل بابل في هذه الحرب «محور الشر» إذا، فهذه حرب «الخير والشر» أو «النور والظلام» وعند انتصار «الخير» أو «النور» سيكون «الخلاص» فالخلف البابلي من هذه الحرب استعجابي «الخلاص» أي نزول المسيح وبذلك الخلاص، فإن لم يات «الخلاص» سيأتي في البترول العراقي «الخلاص الديني» من الكساد والركود في الاقتصاد الأمريكي والإسرائيلي.

يبدأ يتضح دور اليهود في هذه الحرب

الأنجلو أمريكية وهو دور «فاعل»، فاليهود حالياً تحت سكر الدين، وتعجيل الخلاص، يعنون للقتل في الفلسطينيين ويمارسون حرب إبادة شرسة لأرواحهم فيها ولا هوادة، لأنها وفق تفسيرهم لروى يوحنا «حرب يوم الرب» وهي حرب «الخير والشر» التي ستكون على جبل مجدو (هرمجدون) وهذا يفسر الدعم اللاتواني الذي يدعمه اليمين الأمريكي لإسرائيل وحروبها.

وهنا في هذا الصدد يجب أن ألفت الانتباه إلى:

أ- أنه بعد انتصار معسكر الخير! الأمريكان واليهود في هذه الحرب سوف تستغل أجزاء من أرض العراق لتنفيذ مخطط «التهجير» عقاباً للفلسطينيين على دورهم وتعرضهم على جيش الاحتلال الإسرائيلي.

ب- ويكتصر في الحرب ستعرض أمريكا تنفيذ خطة «أ» خريطة الطريق» وخطة «النسوية الشمالية»، وستسلي شروطها، التي هي شروط إسرائيل، ومنها أن تتنازل السلطة الفلسطينية عن حق عودة اللاجئين الفلسطينيين، وتعرض العراق كبديل عن فلسطين لمن يرغب في العودة من الفلسطينيين، فهي المخططات الاستعمارية لاختداب الشعوب فهم «مفعول بهم» دائماً كما يذكر لنا التاريخ، إذ إن أرواح الحياة وقاوموا واستبسلوا فلا يذأ أن يستعبدوا ويذلوا بل لن ينجلى ولابد للقياد أن يتكسب، ولذا في تعاقب الليل والنهار، أي، فلما أشد سوء الليل كان ذلك بشيراً بقرع بزوغ الحلال. ■

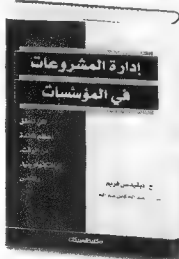
الهوامش:

- (١) اعتمدت في مخطط التهجير والتزوين مفهوم «الهجرة» (الهجرة الدائمة إلى كتبت، توماس، إي. موسون، التاريخ القديم المسيحي، إسرائيلية، ترجمة صالح أبو سراح، بيان، بيروت ١٩٩٥، ص ٢٢٢-٢٢٣، ٢٨١، ٢٩١.
- (٢) ترفض الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية التفسير الحرفي لسفر الرؤيا، ويدرك رجالها أهدافها السياسية اليهودية التي تغف وراء تسريب الفكرة، الملك الألفي، إلى الأبيات المسيحية. ويعتقد اللاهوتي المسيحي الأرثوذكسي أن مكتوب لك ليس مادياً أرضياً ولكنه مسموع من بقاء الله، فهو عبارة صراحة لرسالة الله الذي تؤمن به المسيحية.
- (٣) ضمهم الشهر سثاني نحت من له شبهة كتاب، ويصف وروايت بأنه حكيمة، ولكن هناك من يصف بأنه نزل والقتل، وأن القتل محدد من يد الكبرية الشهر سثاني الألفي ١١٥٢.
- (٤) تزيين محمد بن قنبر، في القرن الحادي عشر، مطبعة الأزهر ١٩٥١ م، الجزء الثالث.

أحدث الإصدارات من الكتب المترجمة



أكبر تجميع للكتب في العالم العربي



الرياض: تقاطع طريق الملك فهد مع العربية، هاتف: ٤٦٦٠١٨ - ٤٦٥٤٤٤ - الدمام: حي الشاطئ - طريق الكورنيش - هاتف: ٨٠٩٣٩٩
 أبها: طريق أبها - خميس مشيط - هاتف: ٢٢٧٥٠٥ - المدينة المنورة: طريق سيد الشهداء مع تقاطع الطريق المائي - هاتف: ٨٣٧٨٣٩٣
 الأحساء: مركز البستان التجاري - طريق الثريات - هاتف: ٨٨٤٦٦٦ - القصيم: بريدة - طريق الملك خالد - هاتف: ٣٢٦٦٦٣
 حفر الباطن: عقارية حمر الباطن - هاتف: ٧٢١١١٨ - حائل: هاتف: ٤٣٧٨٠٢ وقريبا فرعنا في جدة

www.obelkanbookshop.com - www.obelkanbooks.com - E-mail: obelkan@obelkanbookshop.com sa

سَقَطَتِ اليوجينيا.. ولم يسقط اليوجينيون!

حروب وراثية

أحمد مستجير

الأخريين، وإن يُنْكَلُوا في الجيل التالي بنسبة تُقَوِّق نسبهم في الجيل الحالي، ولقد يتم ذلك بزيادة نسل من «مستحقّون» (اليوجينيا الإيجابية) أو بتقليل نسل من «لا يستحقّون» (اليوجينيا السلبية). التحوير المُعَمَّد لجنس البشر لأغراض اجتماعية هو ما تطمح إليه اليوجينيا، وعندما يتخلّب الإنسان على تطوره البيولوجي، فسوف قد وضع الأساس للتخلّب على كل شيء آخر... سيصبح الكون أخيراً طَوْعاً بِناءه، كما قال يوجيني عتيد.

سجدد اليوجينيون إذن للتطور مساراً جديداً، أهدافاً جديدة يقرّونها هم حسب أهوائهم. هم يرون أننا لابد أن نُسَمِّح زمام التطور والانتخاب في المرحلة الراهنة إلى «الخشية»، الاستقرارية الأبية، والأثرنك الأمر للصداقة، لأن الصداقة قاسية غليظة القلب، وهي متقلّبة، وعادة ما تكون أكثر تكلفة، ثم إن علينا أن نغير الوسيلة التي يتخذها الانتخاب الطبيعي والصداقة للقضاء على العشائر «التي لا جدوى منها» (مُصَدِّون التخلص منها بالموث). وإن تستبدل بها وسائل أكثر تحضراً وتبشيراً وإنسانية، تحديد النسل، اليوجينيا ترى أن هناك عشائر بشرية «لا جدوى منها».

ذاعت حركة اليوجينيا في أوائل القرن العشرين في أوروبا وأمريكا عندما كان علم الوراثة لا يزال طفلاً يحيح، وانضم إليها وعاطف معها الكثيرون من كبار المفكرين والعلماء والساسة والفلاسفة ورجال المال؛ برتراند راسل، ج. د. برنال، جوليان هكسلي، رونالد فيشر، برنارد شو، هالفورد لابس، دهب لورانس، أدولف هكسلي، ه. ج. ويلز، روزفلت، تشرشل، جون روكفيلر، خلقت تياراً عازماً ببرها، بحرستها، يدافع عنها، يشرح لها. اجتاحت أوروبا وأمريكا، أصبحت ديناً. كرست نفسها لتأكيد أن الناس لم يُخْلَقُوا سواسية. كانت أوروبا في القرن الثامن عشر قد سيطرت -بالأسلحة وبالمجاهزات، بالقوة وبالإفخاد- على أفريقيا، ثم آسيا، ثم أمريكا، وبقيت مهيمنة طويلاً طويلاً، حتى أعجزت نفسها سيده العالم، وأن بقية البشر إنما خُلِقُوا من أجله، من أجل الرجل الأبيض. «إن الكلاب تكف عن النباح إذا ما استندتقت هوائه»، الشعوب، كما الإفراد، لم تُخْلَق سواسية. وهذا كارل بيرجهايم يؤكد سنة ١٩٢٢ أن السود في أمريكا يشكون نسبة من «ضعاف العقول» تزيد على نسبهم في المجتمع.

في عام ١٧٩٨ كان القس الإنجليزي توماس روبرت مالقوس قد نشر كتابه «فقال عن السكان»، كانت الفكرة المحورية للكتاب هي أن العنصرية تتزايد في العدد

معظم الناس لم يسمعوا عن «اليوجينيا»، ومعظم من سمعوا عنها يعتقدون أنها قد انتهت مع مزيج هتار عام ١٩٤٥. كان السير فرانسيس جالتون هو من صاغ المصطلح عام ١٨٨٢، رأى أن القصور الصحيح للجنس البشري قد انحرف، فلهذا قامت نزعة الخير لدى الأثرياء وإنسانياتهم إلى تشجيع «غير الصالحين» على الزواج، الأمر الذي أفسد آلية الانتخاب الطبيعي. ومن ثم أصبح جنس البشر في حاجة إلى نوع من الانتخاب الاصطناعي، أطلق عليه اسم «اليوجينيا». كان بها بهني «علم تحسين الإنسان عن طريق منح السلالات الأكثر صلاحية فرصة أفضل للكاثر السريع، مقارنة بالسلالات الأقل صلاحية»، أما موضوع بحث اليوجينيا فهو «دراسة العوامل الواقعة تحت التحكم الاجتماعي التي قد تُفسد أو تُحسن أو تُفسد الخصائص الطبيعية الموروثة للأجيال في المستقبل، جسدياً أو نفسيّاً». قيل إن اليوجينيا رغبة طبيعية في الإنسان الفرد، وفي الجماعة. لم يكن شيء مانع لدى والوالدين في فجر التاريخ من قتل طفل زفير في فرصة أفضل لبقاء أخيه، بدلاً من موت الاثنين. وكانت محاولات الأبرياء الجماعية لزيادة وسيلة معروفة لتحسين فرصة بقاء البشرية.

ربما كان افلاطون هو أول اليوجينيين. فعلى رأس «جمهورية» كان لفلسفة يتمتعون بالصحة الطبية والقدرة العالية على التفكير، أما محدودو الذكاء فكانوا يشغلون المواقع الدنيا من الهرم اريكية. كانت الجمهورية ترتكز على الاسترقاق، ولم تتحدث كثيراً عن النساء -كانت مرتبعتين على العمود متدنية في المجتمع الأفريقي. كان افلاطون يعتقد أن الزواج، يورث، وكان على حكام الجمهورية أن يبيروا أمر الزواج «المزغوبين»، وأن يتجسوا لكل من يُبلى بلاء حسداً في الحروب فرصاً للانتخاب أكبر. كانت أفكار افلاطون في الواقع تعادل ما نسميه اليوم «اليوجينيا الإيجابية».

أحمد



إن جوهر التطور هو الانتخاب الطبيعي، وجوهر اليوجينيا هو أن «نستبدل بالانتخاب الطبيعي انتخاباً اصطناعياً واعياً، بهدف الإسراع من تطوير الصفات المرغوبة والتخلص من الصفات غير المرغوبة». إن تحسن الأجيال القائمة، على حساب الأجيال المعاصرة، الفرض المستتر إذن هو أن هناك من البشر من هم أفضل من غيرهم، من يستحقون أن ينجبوا أكثر من

كان المنظرون الاجتماعيون بالقرن التاسع عشر، وعلى رأسهم هيربرت سبنسر قد أكدوا أن القسراء بطبيعتهم لا يستحقون، وأن الواجب ألا نشجع بقائهم أو بقاء نسلهم



الأقوى كما يقول هتسلر لابد أن يسود على الأضعف،
لا يمتزج معه حتى لا يضلح به خطمته
و، لن يجد في هذا قسوة إلا الضعاف،

تطور وسائل منع الحمل، وأربعة فئد
تسمية السيطرة على موارد العالم فقيد
عليها اسم «الحفاظ على الموارد»، كهدية
لإستعادة السيطرة عليها عندما يجبن
الأوان، وخامسة تعمل في توجيه تدريس
علوم البيولوجيا ليشجع في النهاية كل هذه
الأجزاء المتنافرة ونشأ على صورة سياسة
اجتماعية. لم يحدث أي تغير حقيقي في فكر
الويجينيين، هم يسمون إلى تحالف نفس
الأهداف القديمة، وبحيث لا يشفقون في
نومرجح لجرالهم ضد الإنسانية أو
إن تكابهم الإبادة الجماعية (على الرغم من
أن الويجينيين النازيين الذين قاموا بالتعقيم
القسري لم يذونا في سياساتهم نورمرجح،
لأن التعقيم كان يمارس بالفعل بالولايات
المتحدة).

العنصرية يَنْتُهِم، والديموقراطية
عدهم، لكنهم يعرضون لضاعتهم
ويرجون لها تحت أسماء مشفرة. غدت
السرية والمراقبة القانونية والدعاية
سلاحهم. يعملون من وراء مظلة أخرى
لا يعمل عنوانها كلمة «ويجيني»، بسعون
بالزيج الشرير من العرقية والأورانية إلى
الإجهاض وواد الأطفال، إلى القتل الرحيم
للمرضى المسنين، إلى موت الرخسى، إلى
التعقيم، إلى تدريس الجنس بصورة خفية
تؤدى إلى حمل المراهقات والإجهاض
وحبوت منع الحمل. وليس غير الحديث
«العقلاني» بوسائل الإكساب سيبدأ إلىلوب
الناس وعقولهم. يقولون: لابد أن يترك
الخيار للمرأة: تغيير تقدي جميل بقلبه
«في اختيار وسيلة تجنب نسلها».

يستعملون بكلمة «الاحتياط» التي كان
يستخدمها يوسف ميذله في أوشاشتر كلمة
«الاحتياط»، «القدرة على التحمل» تصل محل
«معامل الذكاء» اسم «المعجزة» التي كان
البيولوجيا يصيح «معجزة» مراسات
البيولوجيا الاجتماعية، وهم أبدا لا
يستعملون كلمة «سلالة»، يستعملون
الغضوض والفكرات بالقوانين لينكوا
الأفراد الويجينيين من ماله النشاط
الويجيني على أنه إجراءات طبية طبيعية
تتم بناء على رغبة المريض. غدا هدفهم
النهائي هو تخفيض أعداد سلالات بذاتها
وتحويلها إلى شفايا قديمة.

الويجينيون، أتباع مالوس- الذي كان
يرى في الولادة فاعا جيدا، وليراه يئذين
تعملان وتنتجان- يعتقدون أن هناك الكثير
من المرضى، الكثير من اللفهون، الكثير من
الصبيذين، الكثير من الهنود، الكثير من
الجنس، الكثير الكثير من الناس، بزاحمون
الإنسان الويجيني الأسمى

ويرضون فوق أراض وفيرة
عجيباتهم تفسلهم

وانخفاض وفيات الأطفال، إنما تشجع
البيجالة والمختلطين وضعاف البنية
والعقل». فليهوذا جميعا إلى اللجج في
سبيل الهدف الويجيني الأسمى:
أفكار الإحتياط تقوم على الفرض بأن
الناس ليسوا بطبيعتهم متساوين، أما
الديموقراطية الغربية فتتركز على الفرض
بأن كل الناس متساوون. «من الصعب إذن
أن نكفد الويجيني في مجتمع ديموقراطي»
كما يقول برتراند راسل «الديموقراطية
تتعرض للطريق، والترويج الإحتياط إنما
يضمن تقويض الديموقراطية وصناعة
«نخبة» عاركة لخطوط ونفذ. ومثل هذا
الهدف لا يمكن إذن أن يتحقق في مجتمع
ديموقراطي إلا عن طريق الخداع والظهر
وأموال الأثرياء يرفضون الديموقراطية،
«فقطا كان هناك من الأثرياء من يُدْعَم
مشاريع الويجيني، فسبقى الويجيني».



مضت الويجينيون إذن في طريقها
بسياسة غليظة لخلق البقاء والخلفاء
الفر لا يهيم سلالة هي الأم، والسلالة
المختلفة لأنهم، سلالاتها في الأمم، انتشرت
تعاليمها، آمن بها الكثيرين، نمت القوانين
تدعيمها، نخلت إلى مناهج التدريس
بجامعات، صرت لها المجال العلمية،
أُنشئت لها الكراسي بالجامعات، عُقد لها
المؤتمرات الدولية والمحاضرات العامة،
وعلم باسمها مذات الألفوف بطرق اتسعت
والوشية والديورية: أكثر من ١٦٠ ألفا
بأمريكا، وأكثر من ربع مليون بالمانيا النازية
التي بدأت التعقيم بعد أمريكا بسبعة
وعشرين عاماً، قبل عشرات الألفوف. رُبطت
بالتاريخ فلما أن أنقضى عهد هتلر، اختفت
الويجيني بعد ما جرت على يد البشرية من
دمار، بعد أن أهدرت كرامة الإنسان.
سجحت الويجيني، لكن لم تَمْضَ؛
جرحت الويجيني، ولم يسقط

الويجينيون!

كانوا أساتذة جامعات وأطباء وعلماء
اجتماع واقتصاديين وفنّانين. أدبوا بفرهم
أحروكا وشأنهم ليستشروا في صياغة
الاجتماع. كانوا قبل نهاية الحرب يعملون في
الحلن، أما بعدها فقد راوا ضرورة أن يعملوا
في الخلفاء، بجوار أولئك يمارسون
«الويجيني» المسؤولة الخفية، ويوزعون
الأوان بأن ينهم لإعادة بناء الويجيني:
فبقاعة تؤكّد على الألفوف توقي الجبس
الأي الأبيض، وأدبو تعمل كل في يصيح
الإجهاض قانونيا في العالم بأسره، وثالثة

بالسلالات الأثني، أهمل الفرسون الكتاب،
لكن الألمان أجود، أعيدت الحياة مرة أخرى
إلى الكتاب، وأنشأ عائلته «جمعية جوبينو»
عام ١٨٩٤، وفي عام ١٨٩٩، نشر إنجليز
يحمل الجنسية الألمانية، تهمه هوسون
سيولوت شامبرلين، كتاباً عنوانه «قواعد
القرن التاسع عشر، استهم فيه جوبينو
وقال إن الألمان هم أثني الأريين، وهاجم فيه
السود واليهود. وعندما كتب هتلر كتابه
«كفاحي»، يشيد فيه بالألمان ويركّز
الويجيني، كان في الهمر أن يقرأ كتابه
شامبرلين إنما بصورة فضيحة مؤثرة:

على مطلق العهد العشرين إذن كان
المناف الفكري قد نهك إلى تحقير جوبينا
جاثون إلى سياسة. كان قانوناً مندل
الوراثة قد أعيد اكتشافها، وإنهتد العلماء
في حمية جبريون، لتكتشف نتائج وأفاق
في علم الوراثة جديدة. بينما الفلاسفة
يعضون ويكفرون، ورجال زنا يمولون.
ربما كان لنا أن نقول إنه مع بداية القرن
العشرين بدأت «الحرب» والويجيني خطاً في
الولايات المتحدة وأثينا وإيطاليا والسويد
والاندنيرك وفنلندة، وإيد العالم حرب من
وجود: عدو، مسلح، هدف، ومثال أعلى

العدو هو المختلطين، وإثني الفقراء وإثني
عند الويجينيين صفة (والجدة)، لملعوفون
والجائعين، مرضي المصروع والمدون الروي،
المقعرون، المخطفون، الشواند، الموسعات
المحترفات، الجرحون بالقرعة، المسكرون،
لم المملوثون والمهاجرون من السلالات
الأثني - كل من يلوون المسودع الوراثي
لسلالة، السلاح هو: أن تهمم البشرية،
والعد من وراج المختلطين أو الضعيف، ومنع
الحمل، والإجهاض، بل والقتل إذا لزم الأمر.
الهدف هو: توفير الحياة لأربعة الكريمة
للزج الأبيض العليا فلا يترجمه لها من لا
يستحق، الخلال الأعلى: السلالة النقية
الأنقى، فالأقوى كما يقول منكر لإيدن يسود
على الأضعف، ليمتزج معه حتى لا يضلح
بخطمته ومن يجد في هذا قسوة إلا
الضعاف.

الحرب ضرورية «للفلخص» من البشر
المختلطين، كما يقول الويجيني الكبير كارل
بيرسون: «إن الألفوف التقدم على البقاء
لسلالة الأفضل، رغم ما قد يبدو به من شر
قبيح، إنما يعطي الصراع من أجل البقاء
ملاحمة الجفاعة. إذا توفقت الحرب، فلن
يتقم جنس البشر: إن يكون هناك ما يكفي
جماع خصب السلالات: أصبح
القتل والوشية سلاحاً، والقسوة أيضاً»
«الاحتسان لظلال على الألفوف قومية، لا
تغمة. إن تعاديلهم أحد الأثني للواجب،
وتحديد سابع العمل، والطب المجاني،

أسياً، ويستتقي بالضرورة إلى أعداد لا
يغطيها الخناز من الموارد الغذائية، فإذا عجز
أثني عن تحديد حجم عائلاتهم، فإن
الحروب والمجاعات ستقتضي على الأعداد
الزائدة، فالجزيرة البريطانية مثلاً لا يمكن أن
تحمّل أكثر من ٢٠ مليون شخص (ويعد
مئة وخمسين عاماً كانت تحمل ثلاثة
أضعاف هذا العدد)، مع زيادة أعداد البشر
سيندلع صراع من أجل لقمة العيش يتصرص
فيه من يحمل ميزات معينة، ينقلها إلى
نسله، ليسود هذا بدوره أكثر وأكثر، قال
الويجينيون إن هذا كان وراء حدوث التطور،
وأنه كان وراء وجود النخيلة وإسائدة
الجامعات والطبقة الأرستقراطية، أما عن
الميزات الوراثية فقد راوا أن أولها وأهمها هو
«الذكاء»، إن الهور الأساسي للسلكو
«الإنساني» كما يقول هنري جوردان عام
١٩١٩ «هو العملية الذهنية المتكاملة التي
تسميها الذكاء... وعلى هذا فإن أية محاولة
للتعديل الاجتماعي لا تضع في اعتبارها أن
صفة الذكاء صفة جبرية وإن درجة ذكاء
الفرد لا تتغير، هي محاولة غير منطقية،
وغير كلة».

ابتكروا الذكاء القاييس، وزادوا جبريون
أجنادهم لينكوا إلى صفة عالية التوريث -
وإن كانوا «يعرفون» مقدماً أن «القدرة
الذهنية توريث» أن هذا البراهين على هذا
براهين حاسمة... فقد قالها الويجيني
سيريل بيرت عام ١٩١٩، لم إنهم درسوا
معامل الذكاء وعلاقتها بالجرمية والعنف،
لينكوا لهم لأن الذكاء يحتاج إلى سياسة
الجنس الأبيض!



وكان المنظرون الاجتماعيون بالقرن
التاسع عشر، وعلى رأسهم هيربرت سبنسر
قد أكدوا أن القسراء بطبيعتهم لا يستحقون،
وأن الواجب أن نضع بقائهم أو بقاء نسلهم،
على عكس داروين الذي يقول إن «الأصلح»
هو الذي يترك نسلأ أكثر، سنبس الويجينيين
يرون أن الأصلح هو المتميز في الذكاء
والصحة والأخلاق الحميدة، وهو باطلع
- من يهيم الويجيني الذي يضع يمينه
الصلابة!

كما كاتب فرنسي أرستقراطي اسمه
أثر كوتد ده جوبينو، نشر في منتصف
خمسنيات القرن التاسع عشر كتاباً عنوانه
«مقال عن الفقاوت بين سلالات البشر»، غنا
فيه أن الأرستقراطيين الذين نشروا كانوا دائماً
«زهرة أوروبا»، ولكنهم فقدوا قوتهم بازواج

المزود لا يستجوبونها. اليوغينيون لا زالوا يجمعون برس خادمو بزمام التطور في اياهم الدينامية الخنوق! هم لا يصداقون في قسمة الحياة، ولا في الديموقراطية، لم يتعلموا شيئاً من سلسلة الكوارث الاجتماعية التي سببتها سياساتهم في القرن العشرين. لا تعلموا درساً واحداً: الحد من أن يضبطوا متلبين



والواقع أنهم لم يصنعوا طويلاً. هل رايت غمر فاراً يمشي؟ إنه دائماً يجري. فعندما أنشئت منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ أصر الأمريكي والإرجين على أن ينص ميثاقها على أن تكون دراسات السكان من بين مهماتها الرسمية. اقترعت بعض الدول لكنها نجحت في إنشاء «وكالة السكان» كجزء من المنظمة. وعندما انشئت «اليونسكو» وضع على رأسها اليوغيني جولياني هكسلي، الذي بدأ مباشرة إلى أن يمتح حق الإجهاض للمرأة في كل دول العالم. والواقع أن حركة كبح النمو السكاني قد شكلت جزءاً كبيراً من أنشطة الحركة اليوغينية منذ عام ١٩٢٢. وقد وضعت هذه الحركة بنفس النموذج. بنفس القادة، بنفس التوجهات. أصبح اليوغينيا السلبية (أي وقف التكاثر الزائد) «غير المصالحين» الذي العليا في النشاط اليوغيني. فانسح انتشار وسائل منع الحمل والإجهاض والتعقيم.

وفي عام ١٩٢٢ أنشأ جون د. روكفلر الثالث «مجلس السكان» الأمريكي في حملته من جون فوستر راند ضد تكاثر المضارب غير البضياء. لا يزال هذا المجلس موجوداً ولا يزال يعمل على وقف تزايد السكان بالولايات المتحدة. وبغيرها. وما أنه قد تبني التوتومية نادي روما، الفادي الذي أسسه الماسوني اوريانو بيتشي عام ١٩٢٨ بهدف الترويج لليوغينيا ونشر البروباغندا حول الأزمة البيئية لتبرير قمع التنمية الصناعية في كل العالم الثالث. في يناير ١٩٦٦ كتب فريدريك اوسبورن، اليوغيني العنيد، لصديق له حول عمل مجلس السكان: «تطوير وسائل جديدة لتحديد النسل، كان له دائماً أنه من الممكن أن يتم ذلك بشكل أكثر فعالية باسم «مجلس السكان» لا باسم «اليوغينيا». وأنا اعتقد أن هذه (الوسائل) هي ما أخذ من إجراءات يوغينية عديدة».

غداً يجب حجاج النمو السكاني أهم مهام اليوغينيا، شجعة نخبة تستخدم قوة المال في دفع الولد الفقيرة إلى أن «تطلب» إرادة جزء من شعبها. هذه الخطة لا تعاقب اليوغينيا لأنها قرأت كتاب «أسل الأنواع» لاسم الحمار. لا بد أن هناك حافزاً مائياً. إن الساج الثالث شكل هذا الحافز. كبح النمو السكاني هو خادم السياسة الاقتصادية وقد شكلي تحت عباءة العلوم و نزعة الخبز. في البدء قال إنزهورا في الولايات المتحدة لا تدخل في أمور سكان الولايات الأخرى. وقد تغير هذا عام ١٩٤٤ في ذلك العام قام مجلس الأمن القومي الأمريكي «وكان يحدد التهديبات الرئيسية للدولة» بدراسة مذكره اقترحت أن النمو السكاني في



اليوغينيون

التنافيرون الذين قاموا بالتعقيم

القسمي لم يندادوا في محاكمات نورمبرج، لأن التعقيم كان يمارس بالفعل بالولايات المتحدة

حروب رابايشة

العالم الثالث قد يسبب القللا، وقد يؤدى إلى أن تطلب هذه الدول تصديداً أكبر من موردها. وعلى هذا فإن كبح النمو السكاني لا بد أن يكون أمراً بالغ الأهمية». يهدد الأمن القومي الأمريكي، تحوّل هذه الدراسة إلى سياسة بعد قرار مجلس الأمن القومي رقم ٢١٤ لعام ١٩٥٥ «لا تُكُن هاتان الوثيقتان حتى ١٩٩٢، ومنهما يتضح أن دعم السياسة الأمريكية لكبح تزايد السكان إنما يتم لأن النخبة العالمية الأمريكية تريد من العالم الثالث لنفسها. إنه استعمار بوسيلة أخرى».

كان الاستعمار اللعني الصريح عام ١٩٧٤ أمراً غير مقبول. ومن هنا شرعت الولايات المتحدة تزكي كبح التزايد السكاني للدول الفقيرة، إلى تخلف على متاعها الاقتصادية، وتصبح ريادة وكان الجد هو نفس الجد اللعني: التزايد اللعني. بسبب الفقر. لكن الاقتصادية لم تكن له علاقة بكيح النمو السكاني ولا بالاستعمار. كان سميت (مؤلف كتاب «طرفة الأمم») يرى أن الابتكار هو مفتاح الثروة، وأن السكان عامل ثانوي. تؤكد ذلك حقيقة أن أوروبا لديها ولا أكثر مناطق العالم تحسداً بالمواسكن. وإنجلترا داخل أوروبا لديها، وهي أكثر تكسداً بالسكان من أفريقيا ومن الصين: فإنجلترا ٦٠٠ شخص في المثل المربع، والمتوسط

في أفريقيا ٢٢ شخصاً وفي الصين ٣٠٠. حركة اليوغينيا تحارب الفقراء، لا الفقر.

ولقد اقترعت الصين بالمرأيا الاقتصادية للحد من التزايد السكاني. فقررت الحكومة أن تخفف عدد عشرينها، وضعت تفتد ذلك منهياً سياسة سوابق صارمة لا تسمح إلا بطفل واحد للعائلة، مستخدمة الإجهاض القسري والتعقيم القسري، حتى ليصل الأمر إلى أن يقوم العاملون بمشروع «تنظيم الأسرة» بمراقبة فترات الحيض للنساء في أماكن لتعص بعض المصانع جداول على الحائط تحاكي فترات الحيض لكل امرأة بحيث يمكن لكل شخص أن يراقب كل شخص آخر. كل امرأة تحمل بعد طفلها الأول دون موافقة رسمية يلزم أن تهبط. تقول وزارة الصحة الصينية أنه في الفترة ما بين ١٩٧٩ و ١٩٨٤ تم إجهاض ٥٣ مليون امرأة. غرق في هذه الفترة ٢,٩ مليون رجل و ٣١ مليون امرأة. كان عدد لوظفون في مقاطعات الصين ينجدون في سجلات النساء تحت عمر ٤٥ سنة من أربعين طفلين أو أكثر لتعلن أسماؤهن بالخبر وفواتها إلى الأحياء، وتحدد نوا مواعيد يسلمن فيها أنفسهم إلى العيادات الحكومية لإجراء جراحة التعقيم، ولا يؤخذ وعولن. أصبح الشغل مهم من مهام الحكومة: فلا زواج بدون موافقة، لا حمل بدون موافقة، لا ولادة بدون موافقة، ثم تلقى كل هذه الإجراءات التعقيم والثاء من العام المحددة. فتفتح إحدى إحصائياتها في ١٩٨٢ ١٩٨٢ مجلس السكان، إلى الوزير الصيني المسؤول عن تنظيم الأسرة إلى أنشأ غاندي التي وافقت حكومتها على تنظيم الجبري في الصينيات، وعندما عارضت هيلاري كلينتون الإجهاض القسري في اجتماع بالينج، أسرعت الحكومة الأمريكية لاتخاذ أن هذا رأي شخصياً شخصياً ولا يجب أن يُفهم على أنه تدبير رسمي للصين.



والحق أن الكثيرين من كبار الراسمالين كانوا دائماً من وراء الحركة اليوغينية منذ بدايتها الأولى. ففي القرن العشرين أصبح كبار رجال الصناعة الأمريكيين بالذعر عندما لاحظوا المدل الكبير لنمو عشارل الأمريكي والفراق. الملايين من المهاجرين يصلون إلى أمريكا كل عام، ويفيرون جذراً الوضع المعصري والعرقى لامة. في نفس الوقت الذي يهاجر فيه السود من الجنوب إلى الشمال بأعداد غير مسبوقة. خوفاً من أن تقايد الأقليات لنقوى البيض عدد رجال الأعمال الأمريكيين الحل هو «اليوغينيا»، فيبدأ كبارهم، مثل روكفلر، وفورد، وورد واندرو كارنجي وأفريل هاريمان وبرسكوت بوش، بدأوا يعملون وقلقاً بيوغينية تشجع الإجهاض والتعقيم والفقر كدسبل لمواجهة هذه «الاشنة». الجديده. بل إن عائلة هاريمان، شركاء برسكوت بوش (جد الرئيس الأمريكي الحالي جورج دبليو بوش)، قد قامت بتوفير التمويل لادانيا التازية. كما أنشأت مكتب التسجيل اليوغيني في كولم سبرينج هاريزور (موقع مشروع الجنينوم

البشري حالياً). أما الولد الذي لعبه رجال الصناعة هؤلاء في تعصيد النازي، والذي كان يحظى بالتعصيد الكامل من الحكومة الأمريكية. فقلعه بتضع لبنا إذا عرفنا أن مصانهم بالمانيا التازية لم تُصَف بقنايل الحلفاء، رغم أنها كانت تشكل القاعدة الصناعية للنازي. بل إن الكثيرين من كبار النازيين من كانوا يعضدون اليوغينيا أثناء الحرب العالمية الثانية قد انتقلوا إلى الولايات المتحدة، وعملوا في الجامعات وأجهزة الإعلام ومعاهد البحوث الحكومية وكالة المخابرات المركزية (السي آي إيه)، جاء بهم نفس الرسمين الذي عملوا مع علنه يوش في بناء ألمانيا النازية، ولقد شكلت تراؤهم الكثير من الأجهزة التي تروج لها النخبة البيئية في أمريكا.



الواقع أن اليوغينيا قد حقلت بعد الحرب الكثير والتغير من أهدافها. فكان قد انتجح أو تكوير ونشر «تنظيم النسل» أبعد من كل خيال. وفي سيميضيات القرن العشرين اكتشف بول إيريش لليوغينوت «الانفجار السكاني»، وبالرأسه جينوتية حول ضرورة إبلاطه. وقد كبح الانفجار السكاني في العالم بصورة لم يكونوا يحلمون بها. ثم خلال الخمسة والعشرين عاماً الماضية في العالم ما يزيد على بلون ونصف بلون عملية إجهاض. من يصعد هذا تناقص متوسط عدد الأطفال للمرأة بكثر من الثلث في ظرف ثلاثين عاماً، تنقص المتوسط في كل الدول النامية من ٦,١ طفل إلى ٣,٦ طفل. ثم أخذت اليوغينيا تطرق مدخلاً جديداً هو تحويل نمو الحياة والثقافة لسكان العالم الثالث كي يتوافق أكثر مع نظرة الغرب المتحررة نحو الجنس والتكاثر.

ثم دخل العالم «عصر العولمات»، عصر الاتصالات والخدمات، عصرًا ينصب اهتمامه على المهارات الشادرة، عصرًا يستطبل الخنقى عن سياسة تعليم الجماهير، والاتقاء بتعليم صفوة. كان عصر الاقتصاديات الإنتاج بالجملة يتطلب تعليم الجماهير لتوفير المهارات البسيطة لكل. كان التعليمات فيطلب التاكيد على المهارات العالية الفضل الطلبة. كان نظام للصنع يوفّر وفلاظ تكرارية، أما عصر التعليمات فيطلب المهارات عالية للغاية في أعمال غير تكرارية. في عصر رابايشة فيه خفي لا يزيد على ٥٪ من المجتمع، نسبة من الدخل القومي تصل إلى ٨٪، يعتمدون. توظيف ١٠٪ الباقية من السكان على نجاح هذه الصفوة. يسيطر الآن إلى «حكم» الة اليوغينية، الذي يسهل الحاجة إلى ترف تعليم الجماهير ويعمل على تشجيع التعليم الخلاق اللازم للمقدم العلوم والتكنولوجيا. وقد قللت اليوغيني ادوس هكسلي عام ١٩٣٤ أن تعليم اليوغيني يمكن الفعيرة قد خلق طرية عرضة يمكن نسميها طبقة «الخلق الجدد»، واليوغينيا بدل ذلك طبقة «الخلق الجدد». هو لاشير بإغلاق كل دول في قوراء، «إن معظم البشر لا يجب أن يتعلموا القراءة والكتابة». إلا أن أشباح الجاعة والمرض والحرب، كما يقول

كتاب الزاوية



من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (١٩٤٨)

لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء. (مادة ٢)

لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه. (مادة ٣)

لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة (مادة ٥) لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة نظراً عادلاً علنياً للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه إليه. (مادة ١٠)

لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعه، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات. (مادة ١٢)

(١) لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة.

(٢) يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه. (مادة ١٣)

لكل فرد الحق في أن يلجأ إلى بلاد أخرى أو يحاول الاتجاء إليها هرباً من الاضطهاد. (مادة ١٤)

ورائهم. ثم قال إن الجانب الأخرى قد قدرت القيمة بـ ٤٠٪ فقط. ويمتدني البساطة اعتبر المؤلفان أن للقيمة الخلق التي لا تقبض أحدًا هي ٦٠٪. متوسط الرقيقين، ثم إنهما أقاما كل مناقشات الكتاب على هذا الرقم، والخطأ هنا خطأ فاحش. ربما كان لنا أن نستطرد قليلاً لتوضيح هذا النقطة، دعنا نخيل أننا نريد أن نقدر العمق الوراثي لصفة لون البشرة في عشيرة من الزنوج. لن نجد تبايناً بين الأفراد. العمق الوراثي يساوي صفراً. دعنا نحاول أن نقدره في عشيرة من المصريين وفيهم ما نعرفه من تباين واسع في لون البشرة. هنا قد نجد مثلاً أن العمق الوراثي يساوي ٦٠٪. ما سيقله مؤلفا «محتضني الجرس» هو أن أفضل قيمة هي ٣٠٪، متوسط الرقيقين. هذا الرقم الأخير لا يعني شيئاً البتة؛ فلا هو يصلح للعشيرة الأولى ولا هو يصلح للثانية. إنه مجرد تطبيق بلا مدلول. الرقم الذي نقدره لعشيرة لا يعني شيئاً على الإطلاق بالنسبة للعشيرة الأخرى. وفيمة الصفر إنما تعني أن جينات هذه الصفة قد بُذِئت في كل أفراد الزنوج (بالانتخاب الطبيعي مثلاً) فلم يعد بينهم تباين. وفيمة ٦٠٪ تعني أن هناك لا تزال اختلافات في التراكيب الوراثية بالصفة لهذه الصفة بين أفراد المصريين. وصفة لون البشرة في كلتا العشيرتين بالطبع صفة وراثية تتحكم فيها الجينات؟

فإذا رجعنا إلى صفة الذكاء، فإن قيمة العمق الوراثي في عشيرة من اليهود، وفيها في عشيرة أخرى من السود لن يعينا إطلاقاً في مناقشة تلك التي انتهك فيها هيرنشتاين وموري. إنما فهم هو مفاد التباين الوراثي في كل من العشيرتين. وهذا أمر لم يتطرق إليه صاحبنا «محتضني الجرس». وبالنسبة لليوجينيين يعرفون أن الصفة قد تكون وراثية حتى وإن كان معناها الوراثي يساوي صفراً. وبالعالم يكونون عن

الإنشاء بأن «ارتفاع قيمة العمق الوراثي لصفة الذكاء يعني أنها «وراثية جلاء» ومن ثم قيمة! لا حتى يريحون أن ارتفاع العمق الوراثي للصفة في عشيرة ما إنما يعني أن الصفة هاشمية لاصمية كبيرة لها في البقاء؟

ثم دخلنا عصر الهندسة الوراثية والبيوتكنولوجيا والجينومية، وتزايدت الأبحاث التي تربط الجينات بالصفات السلوكية، وبالذكاء. وفي عام ٢٠٠١ أعلن ريتشارد لين من عوذة اللوجينيا، هكذا باسمه الصحيح، أصدر كتابه «البيوجينيا... إعادة تقييم» وقال فيه أننا على أبواب عصر جديد، أننا نتحرك بسرعة تفوق الخيال إلى «نوع بشري جديد، وستسببه حرب عرقية».

قال إن البشريين قد أمسكوا بزمام البيوجينية البيولوجية، وأقنعوا الغرب أن لا شيء يسمى «العرق أو السلالة» وأقنعوه أن البيوجينية علم كاذب. فكفوا عن ذلك بقوة شخصياتهم وسلبيات الجماهير التي «صُنعت كل ما يقال. بالفتور والإحراج والخداع تمكن «لرهابيو الفكر» اليساريون هؤلاء من تحييد المجتمع الغربي ليصدق أن للبشر جميعاً طبيعة واحدة. ثم قال بجلاء للبحر: جميعاً طبيعة واحدة. ثم قال بجلاء إن علينا الآن أن نحرر أنفسنا من هذه القيود التي تكوننا بها حتى لم يعد في استطاعتنا أن نتعرض على ذات فكرة وجود فروق عرقية بين البشر.

بدأ لين بأن كُفِّرَ على فكرة



في عام
١٩٧٤ قام مجلس الأمن
القومي الأمريكي.
وكان يجسد التهديدات
الرئيسية للدولة.
بدراسة اقترحت أن النمو
السكاني في العالم
الثالث قد يسبب
الاضلال



حروب وراثية

جورج مور (سنة ١٨٨٨) «هي أمور أخف وطأة، مقارنةً بالخطر الذي يتوعدنا من تعليم الجماهير اللغوية» - يتوعد الأخبة البريطانية بالطبع، اللوجينيا ضد تعليم الجماهير!

بعد هذه النجاعات الهرمسية بدأ اللوجينيون يظهرن بوجههم علناً. في عام ١٩٩٤ نُشر كتاب «محتضني الجرس» المؤلفين ليس منهما وراثي. ويتشارد هيرنشتاين (السيكولوجي) وتشارلس موري (عالم السياسة). صدر هذا الكتاب «ليز من أصل جديد مفهوم العرقية، وليبسيها ريادة العلم، فتطلى على الكثرين من يعتقدون في العلم والعلماء كسلطة»، كما كتبت ذات مرة، «فجوهرة الكتاب يلخصه هذا الاقتراح البسيط، فلنضج معاً في أمان، وليعلم كل فيما خلق من أجله: أن ياها الأسود تحكم، وأنا الأبيض أحكم» - نعم، انصحت اللوجينيا هنا عن أسماها الصحيح: العرقية!



يقول الكتاب إن هناك من الأبحاث ما يشير إلى أن قيمة العمق الوراثي لصفة الذكاء هي ٨٠٪. وهذا الرقم يمثل النسبة من التباين الملحوظ في الذكاء بين أفراد العشيرة، والتي ترجع إلى التباين في

نفس الجينوم. هي صفة - إن وجدت - «بازغة»، لا يمكن أبداً التنبؤ بها من معرفتنا بالتشريح الجزيئي للجينوم. أرايت إذ تطلب إليك أن تكتشف خصائص الماء، فقدمت إليك التفاصيل الدقيقة لذرة الأبروجين والخصائص الدقيقة لذرة الأكسجين؟ خصائص الماء «بازغة» لن تكتشفها أبداً من هذه التفاصيل. - معرفتنا بتفاصيل جينوم أي شخص لن يمكننا يوماً من معرفة «كذابه». - لكن أين يتوقع أن يحدثوا له جين الذكاء. يستطرد: وحتى لو تكلف «إنتاج» هذا الطفل الذكي مائة ألف دولار، فسيغوص الأوان ذلك بما سيوفره له تعليم الطفل وما يستتفره من وظيفة ذات شأن. ثم إن ذكاء الطفل المأثور بالجين سيبقى وينتقل في كل جيل تال.

يختصر لين الجيني في جين، بل يختصر الإنسان في جين. من يحمل هذا الجين، أو لن من يحمله هذا الجين، نكتب له السيادة، أو يجب أن نخفي له. كما يهذه البسالة، نشأت المنصورة بسبب هذا الجين ولم تكن نذري؛ قتل من قتل، وأجف من أجف، وعلم من علم في الحركة الوجيهة لأنهم لم يحملوا هذا الجين.

ماذا إن لو اقتصر اللونون الجين الذي ينتشره لين، ثم أولوجه بتقنية الهندسة الوراثية في أجنتهم اللونة لينتجوا سلالة سوية ذكية في مثل كداء البيض، هل سيسمح لهم الأذكاء البيض بالبقاء، ويكونون عن اضطرارهم وتحديد تسليهم واستباحة لأراضيهم وثرواتهم البيئية؟ أم أنهم سيبتركون عندئذ أن هناك جينات أخرى مساعدة لإزالة اللونون ويقترون إليها؟ لو أن نذرة الخير والإنسانية هي الحركة الحظي لليوجينا، لتوقفاً لن يفكر اليوجينيون على الفور في زرع هذا الجين في السود لرفع ذكائهم إلى المستوى الذي يرون أنه اللائق بالإنسان؟ أين يمكن أن يوقع الحسان لليوجينا - العنصرية في كل هذا القدر من البيض للإنسان؟ أين يمكن حقاً أن يتصور اليوجينيون أن لن يقدر عليهم أحد؟ أن الأرض كلها هي أرض الرجل الأبيض، لأنه هو من تمكن من كل هذا العلم؟ يطغى الإنسان إذا استغنى.

إن المخيف هو أن الأصوات قد أخذت تتصاعد وتتعاقد ويتزايد ارتفاعها تمجد اليوجينا، وتلوث الجو الذي يتنفسه الساسة. عاد الوجه الطبقي الفبيح لليوجينا. سقط القناع!



كتب هذا المقال بعد انتهاء حرب العراق اليوجينية. جرس على المنحني يبق، فهل تستيقظ؟

معادلة النازية باليوجينا، ومعادلة اليوجينا باليهولوكوست. لم يكن لدى ألمانيا النازية برنامج تعقيم المخلوقات عبقاً يزيد حجمه عن البرامج لدى دول أخرى في ذلك الوقت. فالسويد، مثلاً، بتعدادها، قد علمت أكثر من أي دولة أخرى في الغرب، أما القتل الرحيم، فكان يجري لإسراع المكان بالمستشفيات للجهد الحربي بعد بداية الحرب عام ١٩٣٩. ليس لقتل الرجم علاقة باليوجينا. أما قتل اليهود في الهولوكوست فقد جرى عندما أعثروا المسبب في نشر الشيوعية، ولأنهم أعثروا سلالة ذكية قادرة على منافسة ألمانيا في سيادة العالم. البرنامج اليوجيني الألماني إذن أبداً لم يتطور، وأبداً لم يكن عدوانياً، لكن الماركسيين نجحوا في أن يصفوا اليوجينا بالنازية الخكرة، ونشئوا هذا في أندهام الناس.

والد بقى الحال كما هو لم يتغير. يقول: إذا ما قارنت البيض بالسود فإن التحدث عن التفاوت بينهما عادة ما يوسم بالعنصرية أو يعزى إلى فشل الحكومة في أن تقوم بواجبها لجميع الناس سواسية. أبداً لم يذكر أحد أن نكح الجماعات العرقية المختلفة معادل متوسط ذكاءهم. السود في القاع واليهود وشعوب شرق آسيا في القمة. هم يقولون إن الجماعات العرقية المختلفة نفس متوسط الذكاء، وينشر علماء الاجتماع والأنتروبولوجيا البحوث التي تؤكد هذه الأسطورة - ويحتاجون تماماً للفروق الوراثية بين السلالات البشرية!

يستطرد لين. ما كان العاقبى الوراثي للذكاء (قال إنه يساوي ٨٠٪ - أخذ التقدير الأعلى الذي تكرم موارى بتخفيضه إلى ٦٠٪) فمن الممكن لليوجينيين أن يجسروا فترات واسعة في جيل واحد باستعمال تكنولوجيا الوراثة الحديثة. إذا ما قام الزوجان بانتخاب أكثر الأجنة ذكاء لزرعه في رحم الزوجة، فسيترفع ذكاء النسل ربما بمقدار ١٥ نقطة في كل جيل، وحتى أن تصل إلى الحد الأعلى نظرياً (٢٠٠ نقطة) دون الحاجة إلى طرفة جديدة. كل ما يحتاجه لين هو تحديد «جين الذكاء»...

مع خوفنا عصر الليوجنا الجزيئية والهندسة الوراثية والجنوسومات، بدأ لليوجينيين الأمر وكأننا على وشك الانتهاء من حسم قضية الفروق الوراثية بين السلالات البشرية - فضيحة اليوجينا من أولها إلى آخرها قضية وراثية. وتالت نتائج التشريع الجزيئي لمادتنا الوراثية حتى اكتملت خريطة الجينوم البشري من أسابيع قليلة. الأمر لن يحتاج - في رأي لين - إلا إلى سنين معدودة حتى نعلم على «الجين» المسؤول عن الذكاء (إن كان قماً؟). لكن صفة الذكاء، حتى لو أمكن تعريفها وقياسها، لابد أن تكون صفة كمية مرابطة تعتمد على عدد كبير من الجينات مبعثرة هنا وهناك على طول الكروموسومات، وهي بالضرورة تتأثر بالبيئة الخارجية وبالجيئات الأخرى في

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

٣٣ عاماً في خدمة الثقافة العربية



تقدم لكم أحدث الإصدارات

- الخليج يتحدث شمرًا ولثراً... غزالي عبد الرحمن القصير
- مدخل إلى علم اجتماع الإسلام... من الأرواحية إلى الشمولية... يوسف شحات
- الخدمات الإسرائيلية... رؤية فلسطينية لهواميات كاتب فقيده... بلا حارس
- القرن الحادي والعشرون لن يكون أمريكياً... يوزرافيس إيفري
- اكتشاف البهجة... رسائل من البياتي وقباني والراغب... د. بهام فريجة
- تاريخ النقود البرقائي في البحرين... د. فؤاد الجيب
- جماليات البروفة... جواد الأمادي
- الأعمال الروائية الكاملة... عبد الرحمن محمد السرايز
- الأعمال القصصية... عبد الرحمن محمد السرايز
- الأعمال الشعرية... كيد ٤٨ فرياحيل

تطلب مشورتنا من

مكتبة الكيالي
KAYALI BOOKSHOP



عمان، الشيباني، شارع عبد الحميد شومان، تراسلتر، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢، فاكس ٥٦٨٥٥٠١
بيروت، المتصل شارع جون، عتبة عابد بن سالم، فاكس ٧٥١٤٣٨ / ٧٥١٣٨٠
بيروت، المكتبة العامة
mkayali@jordanet.com

خلو.. وجاهز

Caroline

كريم كراميل

بودنج شوكولاتة

كاربير.. أول تكييف تكلمه بالتليفون



N2



- الآن مع أجهزة تكييف كاربير سبليت الجديدة يمكنك:
- التحكم في التشغيل والإغلاق من خارج المنزل بالتليفون من خلال تلي كاربير.
 - الاتصال عن طريق التليفون العادي أو المحمول.
 - التحكم في أكثر من جهاز تكييف كاربير في وقت واحد.

كاربير .. خبرة بتطور

**كاربير ... أول تكييف في مصر
تشغله وتقفله من برده البيت بالتليفون**

Miraco
Carrier

لا شيء يفوق الخبرة ... لا شيء يفوق كاربير

لخدمة العملاء والمبيعات في القاهرة الكبرى اتصل ب: ١٩١١١ بسعر المكالمة العادية
ولدى كل الموزعين المستمدين ..

Carrier
One hundred years of innovation.

شركة مصر لصناعة التبريد والتكييف ش.م.م

المركز الرئيسي: ١٥ شارع مكة المكرمة - خلف نادي الصيد - المنهاسين - مصر الجديدة ٢٠١٠ شارع المحاجر - مدينة نصر ١٨ شارع عبد الله المرسى - إسماعيل شارع الطيران - القاهرة ٧٠٠ شارع شبرا - القاهرة ٧١١ شارع النصر - المعادي الجديدة - الهرم ١٨ شارع الماء فيمصل - تقاطع الملك فيصل مع المروحية - الهرم - الإسكندرية ٥ شارع أثرت الأول - دوار كوبري كينياترا - سموحة ٢٤٥٢٠٠٥ (٠٢) القروية - شارع المحمكة ٥١٩١٥٥ (٠١٥) الأقصر - شارع الوضة الشرقية - الواسط ٣٧٩٩١٠ (٠٩٥)

أسرار جديدة في..



لقد كان لدى أمير ويلز

ولع بالنساء المتزوجات، اللاتي لديهن

تعاظم تفجعه ضعف كفضائله الجنسية،

ويبدو أن مسز سيميسون كانت ممن أرادته تهنيداً

البرلمان، انتهى بتخلي الأمير عن العرش رغم إرادته وحرمان زوجته من أي ألقاب ملكية، فقد كانت سلطة البرلمان قوية للدرجة التي لم يستطع الأمير معها أن يقوم بمجرد إلقاء خطاب وداعه لملكة بعد اضطراره للتخلي عن العرش.

كان اللقاء الأول الذي جمع بين مسز سيميسون وإدوارد أمير ويلز في عام ١٩٣١، حفلًا منزليًا أقامته فيورنيس، خلية الأمير وصديقة مسز سيميسون في ميلتون موراي. ولقيا بين عامي ١٩٣٢ و١٩٣٣ أصبحت مسز سيميسون وزوجها الثاني أرنيس، وهو أمريكي المولد ويعمل سمسارًا لأعمال الشحن، من الضيوف المقترنين لحفل الأمير الريطي (فورت بيليفير). وكانا غلبًا ما يقومان بدعوته إلى حفلات الكوكتيل التي يقامها في شققها بلندن. وفي عام ١٩٣٤ قام الأمير بدعوة آل سيميسون لغشاء أجازة معه في (بياريتز)، إلا أن السيد سيميسون لم يستطع الحضور بسبب انشغاله في أعماله، بينما حرصت مسز سيميسون على تلبية دعوة الأمير. ومع نهاية العام قام الأمير إدوارد ومسز سيميسون برحلة للتزلج سويًا على الجبال الجليدية في النمسا.

لقد كان لدى أمير ويلز ولع بالنساء المتزوجات، اللاتي لديهن تعاظم تفجعه ضعف كفضائله الجنسية، ويبدو أن مسز سيميسون كانت من أرادته تهنيداً.

كانت مسز سيميسون، كما جاء في الوثائق التي ألحج عنها أخيراً، «شديدة الجاذبية وتنفق بإسراف على ملابسها ورفاهيتها الخاصة. على الرغم من ذلك، فقد ذكرت التقارير رفقتها المشيوبة باليدى إمبرالد كوتارد، التي كانت مديونة للمخدرات، وهي والدة نانسي كوتارد التي عرفت بانحيازها للرجال السود».

وفي عام ١٩٣٦ أصبحت علاقة الملك بمسز سيميسون قضية لومية بعدما تطورت علاقة الأمير إدوارد بمسز سيميسون إلى الحد الذي دفع أحد الصحفيين الكبار في صحيفة التايمز للاتصال بالملك مطالباً بإيه باب بأن يعلن بياناً عاماً حول مستقبله الشخصي، ومستقبل الملكية.

وتورد الوثائق التي أخرج عنها مكتب السجلات العامة بالتفصيل محاولة الملك الأخيرة والواضحة لأن يتجاوز معارضة

■ ■ ■ يبدو أن أسرار العائلة البريطانية المالكة لن تنقذ أبداً، فقد كشفت دار الوثائق البريطانية مؤخراً عن فضيحة جديدة في حياة الملك إدوارد للذامن الذي كان متوقفاً أن يكون ملك بريطانيا في الثلاثينيات من القرن الماضي. وذلك على الرغم من أن حكومة هارولد ويلسون كانت قد قررت في عام ١٩٦٧ عدم الإفراج عن هذه الوثائق حتى عام ٢٠٣٦، حيث كان من المتوقع أن هذه الوثائق ستبقى سرية فقط طوال حياة الملكة إليزابيث الأم، ربما بسبب الضخامة المزعومة بينها وبين مسز سيميسون زوجة الأمير إدوارد.

وقد كشفت دار الوثائق البريطانية عن أسرار تخلى الأمير إدوارد عن العرش في الثلاثينيات من القرن الماضي بسبب حبه لامرأة أمريكية متزوجة، ألحقت نتيته للزواج منها صراعاً سياسياً عنيفاً بينه وبين

من صحفيي

Sunday Times & The Times

ترجمة وأعداد: رانية خلاف



فضيحة ملكية قديمة!!

إدوارد وسيمبون

العرش.. الحب.. الخيانة

دول الدومينيون العظمى، الدول المستقلة من دول الكومنولث البريطاني التي تعترف بالعامل البريطاني رئيساً للدولة - وبالبلاد الخاضعة لسلطان بريطانيا فيما وراء البحار الذين كانوا دوماً على علاقة طيبة ودودة معي.

إنني الآن أدرك أن الصحف في دول أخرى قد أعطتكم مبرراً قوياً للتخمينات فيما يتعلق بما أتتوني أن أفعله - فيما يتعلق بما سوف يحدث بالفعل. وأريد هنا أن أعبر عن امتناني لوصف بريطانيا العظمى على الكياسة والفهم اللذين أظهرتهما.

وستفقد الملك في خطابه، ما لم يكن في نيتي أبداً أن أخفي أي شيء عنكم. حتى اليوم لم يكن يمكن للنسبسية لي أن أتحدث في هذا الموضوع. ولكنني لم أجد استطاع الاستمرار بمسحاً لعب القليل الذي دائماً ما يقع على بصفتي ملكاً، إلا بأنخاذي وضعا قوياً في هذه المهمة الصعبة من خلال حياة زوجية سعيدة، ولها إلهام وبني وبنات خلفت العزم على أن تزوج المرأة التي أحبها، حينما تكون حرة لتزوجه.

وبناءً في نص الخطاب: إنكم تعرفونني جيداً لتظنوا أنني لم أفكر في الزواج لغير أن أشرح، لداسترتي الأمر متى ولما طوياً لكي أجد المرأة التي أريدها أن تكون زوجتي. بدونها، كنت رجلاً وحيداً للغاية. ومهما سيكون لي بيت وكل الصحة والعاطف والفهم المتبادل الذي يمكن أن توفره الحياة الزوجية السعيدة، لكنني ممتن لكم أن لدي الخط السعيد أن أتعلم أن أتعلم عليه يمثل هذه الحياة. وأنا متأكد، أنكم من قلوبكم، تستمتعون الشيء ذاته لي.

واختتمت خطابي لهب الشعب البريطاني موضحاً موقفه من الحكم الملكي قائلًا: ما يفكر أبداً أحد منا، لانا ولا مسز سيمبون في أمر كونها ملكة. كل ما أريته فيه هو أن سماعتنا المتبادلة ينبغي أن تحمل معها لقباً واحتراماً مناسبين لها، ملائم من الزوجين. وأن، وقد صارحتكم في النهاية بما لم أذكر، أشرح أنه من الأفضل أن أرحل لفترة، حتى تستطيعوا أن تفكروا بهدوء وبروية، ولكن بدون تأخير غير مناسب، كما ما صرحتمكم به. لا شيء أقرب إلى قلبي من العودة ثانية، ولكن، مهما كانت سيمبون الأمور، إنني سأحلم دوماً بشاعر

مثل إعطاه رأي واضح في هذه المسألة، أما النبلي اكسبريس فقد اتخذت موقفاً أكثر جدياً من صحفية الميل. ويبدو أن هذا الأمر هو ما دفع البرلمان للإسراع في اتخاذ إجراءات البيان الخاص بالتحلي عن العرش.

وفي الخامس من ديسمبر، وفي محاولة أخيرة من كتب تشرشل، الذي كان من الشخصيات المقربة للملك إدوارد، لياديين خطاباً راجعاً أن يتعامل مع قضية إدوارد به تعاطف وجيد، حتى تحصل ورطته هذه. إن خطاب تشرشل، الذي أذيع للمرة الأولى مؤخرًا، كان يعمل تحذيراً واضحاً من خطورة تدهور حالة الملك العظيمة، وقد جاء في خطاب تشرشل، لقد طلبت من طليطته وبشكل ملح أن يقوموا باستدعاء طبيب. إن جلالتهم يبدو وأما تحت ضغط صعب مثل ويبدو أنه على حافة الانهيار. لقد شاهدت بنفسي حالتي إغماة وقتي فقد إلهيها الملك تماماً خيط الحديث، وأكمل تشرشل خطابه راجعاً بالادوين: «أنا أنكرت للملك فرصة لاستعادة نفسه وإعادة التفكير في الأمور بعدما وصلت إلى ذروتها، على المستويين الدستوري والشخصي، حيث وجدت أن من واجبنا أن تواجه بها، أمل أنك لن تتخذنا بنبلك وتعاطفك».

ولكن هذا الانسحاب لم يجد سوى أذان صماء، بل الأظفر من ذلك، إن بالدوين الأخير البرلمان في اليوم التالي أنه لم يكن ليرى الملك في حالة أفضل من ذلك وأنه كان متفهمًا للغاية لرفض البرلمان البريطاني لزواجه من واليس سيمبون.

الصحافة ويجعله تبحث في ماضي سيمبون، كما قد يؤدي الأمر إلى تدخل في إجراءات طلاقها من زوجها التي لم تتم بعد وقد يتحول الأمر إلى حدوث اعتداءات جنسية على سيمبون.

وقد أثار إصرار الملك على الزواج من سيمبون قلقاً بالغاً لدى أعضاء البرلمان وعلى رأسهم بالدوين، الذي دعا إلى اجتماع سريع للبرلمان في الساعة الحادية عشرة والنصف من يوم السابح والعشرين من نوفمبر. ويقول دوف كوبر وزير الحرب البريطاني، في مذكراته عن هذه الفترة، أنه لا يذكر بالتحديد السبب الحامل لاعتقاد البرلمان، ولكن يبدو أن إحكام الحكومة للسيطرة على الصحف قد بدأ في الانفلات. لقد ذكر رئيس الوزراء أن صحيفة تدعى «كافالكا» نشرت صورة مكبرة للملك مع سيمبون مصحوباً بتعليق يقول: «الملك يسير على هواه». وأن عضواً من أعضاء حزب العمال قد علّق مؤخرًا قائلًا: «تري، هل تعرفون في ملكية فاشية؟».

وبرغم رفضه الصارم لهذه الزيجة، فقد استشار بالدوين في هذا التلميذات اتلي، رئيس حزب العمال، الذي رفض حتمًا هو وحزبه مجرد النظر في مسألة الزواج كحل لهذه الأزمة. ويواصل كوبر في مذكراته: «انعلقت جلسة تاريخية للبرلمان لمدة الساعة والربع، كانت هناك مناقشة قصيرة بعد انتهاء رئيس الوزراء من حديثه، وكان هناك إجماع عام بأن اقتراح الزواج أمر لا يمكن التفكير فيه، وقالوا أنه لن تكن هناك سابقة مماثلة. كنت قطعاً أصول أن أشرحهم على إعطاء فرصة لكسب المزيد من الوقت. قلت لهم عادة في الحياة الخاصة حينما يريد شخصان غير مناسبين الزواج، فإن الوسيلة المثلى هي اقتناعهما بالاتفاق على عام. وقت لم أكن حينما قابلت الملك قال لي أن رئيس سكون إم ملكة أو لا شيء». ثم رئيس الوزراء قائلًا أن الأمور قد زالت حدتها بدرجة لا تغف معها الحياة والتاريخ. واعتقد أن الجميع كان يوافق الرأي.

في الثاني من ديسمبر، كانت علاقة الملك سيمبون في الموضوع الساخن في الصفحات الأولى لكل الصحف البريطانية. وقد ساندت صحيفة واحدة في نيوز كرونكل أمر الزواج، بينما تبنتت الديلي

حكومة بالدوين لزواجه من «واليس سيمبون»، وأن يتوجه بخطابه مباشرة إلى الشعب البريطاني.



تحت سنار الغلام قام الأمير إدوارد باستدعاء رئيس الوزراء ستانلي بالدوين إلى الديوانية الخلفية للصر بانتهجهم في محاولة منه لإقناعه بإلقاء خطابه ليلة، ولكن بالدوين كان قد علق العزم على الإيداع الملك بإلقاء خطابه الأخير.

وكان الأمير إدوارد قد قام بمساعدة من وستون تشرشل، الذي كان في تلك الفترة عضواً هاماً في البرلمان البريطاني، بإعداد خطاب ليلقيه في راديو (بي بي سي) في الرابع من ديسمبر عام ١٩٣٦. وفي هذا الخطاب كان الملك يشي إعلان نيته للزواج من امرأة أمريكية طلفت للمرة الثانية - الملك الذي كان محل شائعات احتلت صفحات الصحف الأجنبية. أما الصحف البريطانية فقد كانت الحكومة البريطانية تحكم سيطرتها عليها في هذا الأمر.

وفي سبوتة الخطاب، عرض إدوارد أن يترا البلاذ لفترة بعد زواجه حتى تخفت حدة الخلافات التي أثارها أمر زواجه، ولكنه لم يذكر بأي شكل نيته للتخلي عن العرش. لقد كان من الواضح إذن أنه كان لا يزال يامل في إتمام زيجته ويحتفظ في الوقت ذاته بمكانته في العرش.

ولها استدعى الأمير إدوارد رئيس الوزراء بالدوين سرًا لمناقشة إذاعة الخطاب في الثالث من ديسمبر في الساعة التاسعة مساءً إلى القصر الملكي. ورغم أنه وصل عن طريق الدخول الخلفي للقصر، إلا أن الصحفيين تمكنوا من التقاط بعض الصور. وفي اليوم التالي، أعطي بالدوين رده القطع للملك، قائلًا: «إن إلقاء الخطاب سيكون خرقاً خطيراً للمبادئ الدستورية. وأنه -أي إدوارد- لن يكون بعد ذلك ملكاً دستورياً».

وإضاف بالدوين، حجة جديدة لغرضه إلقاء الملك لخطابه قائلًا: «إن هذا السبب المذكور من الناس - وبخاصة اليسار اللاتي يميزن بالتعاطف الشديد تجاه الملكية - حينما يسمعن من الملك مباشرة نيته للزواج من امرأة لا تزال زوجه رجل آخر. إن الأمر بهذا الشكل سيغير



عصية لوطي، الامبراطورية، ولكم جميعاً».

وهكذا أعلن الملك تخليه عن العرش في ١١ ديسمبر ١٩٣٦، كما كان بالدوين يمتدح (وبعد عام من توليه عرش بريطانيا بعد وفاة الملك جورج) وبينما كانت حقيقة التخلي عن العرش يتم تمريرها في البرلمان وسط مشاعر درامية في لندن، كانت سمس سيميسون لأجلة في فيلا (لو فييه) بعيدة كان بفرنسا. وحينما سمح لإدوارد أخيراً بإعادة رسالته للامسة في الثاني عشر من ديسمبر، كان قد نزعت عنه صفته الملكية. وفي الثالث من يونيو ١٩٣٧، تزوج إدوارد بمنس سيميسون في باريس بصفتها دوق ودوقة وندسور.



لقد أقرت الحكومة عن كل الأرواق التي بحوزتها والتي تتعلق بإزمة التخلي عن العرش، فهل أصبح لدينا أخيراً كل تفاصيل الصورة؟

إن الاتصالات العديدة بين حكومات الدومينيون والوايتون (مقر الحكومة) والتي تكشف الآن، أن معارضي وواج الملك قد أصروا على أن الدومينيون كانوا معارضي وبشكل عنيد لهذا الزواج، وبأن إدوارد قد خاض بشكل رباط الامبراطورية فيما يتعلق بتخليد التاج الملكي. من الواضح الآن أن حكومات الدومينيون كانت قلقة بالمثل ولتخدهم كانوا ينتظرون للحكومة البريطانية منتظرين أن تقوم بتوجيههم.

كان السير هوراس ويلسون، مستشار الماونج مشيرت برئاسة الحكومة البريطانية، أحد الشخصيات التي تورط في هذه الدراما بشكل خفي وكان وثيق الصلة بكل من رئيس الوزراء ستانلي بالدوين، وخليفته نيفيل شامبرلين. لقد قام ويلسون بتخدير شامبرلين من خطورة سمس سيميسون - حيث كانت على علاقة بالحرية النازية - وكانت لديها أفكار محددة لها علاقة بالنظام الديكتاتورية.



وفي محادثة مع بالدوين، تعجب ويلسون من احتمال أن المؤرخين المستقبليين سيسألون لم لم يؤخذ إدوارد قد ضغوط قبل قوات الأوان؟ إلا أن بالدوين ألقى أنه لم يتصور أن إدوارد سيظل متمسكاً بمنس سيميسون بعد أن يتزوج ملكاً. وأكثر من ذلك، كما أضاف

كوب: «إن الأمير بدا مهزولاً حينما سمع هذا الكلام، وقال إن هذا سيكون قلماً كبيراً». يبدو من مذكرات كوبير أن الأمير كان عاقد العزم على الزواج من سيميسون، وبذلك تتضاءل احتمالات المؤامرة الكبرى من جانب البرلمان لإزاحة الملك إدوارد عن عرشه. ففي التاسع عشر من نوفمبر، كما يستذكر كوبير في مذكراته «عقدت مأدبة غداء صغيرة في التروكاديو للمقتين من كبار رجال الأعمال، وحينما انتهت من الحفل ذهبنا إلى منزل السير هنري تشيبس تشانسون وهو سياسي وكاتب سيرة ذاتية (١٨٩٧-١٩٥٨). كان هناك حفل عشاء كبير حضره الملك إدوارد، الأمير باول، الأميرة لوجنا، والعديد من الشخصيات البارزة، والريس. كان الملك يبدو في حالة معنوية مرتفعة، تحدث معي عن مسألة توليف الجيش وفوضى أسحة المدفعية، وعن إذاعة ال (بي بي سي)، وشرحت له حدود استقلالها». سوف أغير ذلك، أجاب الملك: «سيكون آخر أمر أقوم به قبل الرحيل». أضاف الملك بصوت عالٍ وهو يضحك، وكأنه كان يتطلع للرحيل. بعد مغادرته الحفل، أخذت واليس جانباً. لقد أخبرها باتاكيد بمقابلتي له. حاولت أن أفتحه بأهمية رحيلها في الوقت الحالي عن البلاد. قالت أنه لن يطيق سماع مثل هذا الكلام، وأنها لو رحلت فإنه سيسعى وراءها أينما ذهبت. اعتقد، من الناحية الأخرى، أنها كانت تستطيع إقناعه بأي شيء، حتى

الانفصال لمدة عام. ولكني لا اعتقد أنها كانت ستخاطر باحتمال فقده خلال هذه الفترة. لقد حاولت أن أفتحه بأن الانفصال كان هو البديل الوحيد للتخلي عن العرش، الذي كان سيكون له نتائج مشدودة. ولكنني أشك أن حديثي معها كان له أي تأثير يذكر».

إن بعض الشخصيات السياسية التي كانت ترى أن إدوارد تعوزه المقومات اللازمة للملكية، كانوا سعداء بأن الأمور تسير على ذلك النحو، بل هناك من يرى أن سيميسون صنعت معروفه بالبلاد حيث كانت سبباً لتخلي إدوارد عن العرش. حتى أنه يذكر عن إيرل دابليو قوله: «في رأيي، كان الملك إدوارد غير مناسب تماماً ليكون ملكاً لإنجلترا خلال فترة الحرب المهددة ضد ألمانيا. ولهذا، اعتقد أنه من حسن الحظ أنه لم تمت الإشارة إلى هذه العلاقة الغرامية. يبدو أنه لم يكن لأحد الجرأة على إخباره بشأن تلك العلاقة».

وكان كوبير يعتقد أن التخلي عن العرش كان أفضل الحلول على الإطلاق، فبدلاً من ملك كان سيُجلب المصائب لشعبه يومئذ لتلائم، فقد حصلنا على ملك رائع، الملكة الأم، بدلاً من دوقه وندسور، وسارت الأمور على ما يرام.



من عاهرة إلى دوقه،

لم تهتم التقارير كثيراً بزوج سيميسون الثاني الذي وصف في تقارير البوليس بأنه من النوع الذي ينسج بالمرح الصاحب، الذي لم يصف علاقة زوجته بايمير ويلز، بل إنه يبدو أنه كان يستمتع ببعض المجد الذي انعكس على شخصه بسبب هذه العلاقة.

وباقتراب إعلان التخلي عن العرش، توقف السعي وراء معلومات أخرى عن حياة سمس سيميسون. إلا أنه قبل يومين من إعلان إدوارد التخلي عن العرش في ديسمبر ١٩٣٦، فإن سير هوراس ويلسون، كتب تقريراً، إلى نيفيل شامبرلين، الذي كان وقتها وزيراً للخزانة قائلاً: «من الواضح لي نيتها ليس فقط بالرجوع إلى هنا (إنجلترا)، ولكن لتنشئ محكمة خاصة بها وتعلن ما بوسعها لإشارة قلق من سيأتي للعرش بعد إدوارد». واستطرد سير هوراس قائلاً: «لا ينبغي افتراض أنها تخلت عن آمالها في أن تصبح ملكة إنجلترا، إنه من المعروف أن لديها طموحاً لا حدود له، ورغبة في التدخل في الشؤون السياسية».

ومن بين الأوراق التي كشفت عنها مؤرخا حزم من الخطابات من أساس عابدين، الكثير منها من أمريكا، تدوين مسز سيمبسون، هناك رسالة من مسز ثينبي، من ستركلاند من أنابوليس، ماريلاند، التي كتبت إلى السكونتالند يارد: « هناك ستة ملايين امرأة عاهرة في أمريكا، ونسبة كبيرة منهن يعملن في أوروبا هذا الصيف، وبشكل خاص إنجلترا».



ومن الفضائح الخاصة بمسز سيمبسون والملك إدوارد، وأكثرها إثارة للفضيحة ما حدث في أبريل عام ١٩٢٦ حيث تمت دعوة الملك إدوارد الثامن، وليس سيمبسون، وزوجها أرنيسيت سيمبسون وصديقتها والتي كانت تدعى (باتركوب) وكاس الزبدة إلى حفل منزلي في هيملي هول بالقرب من داذلي، وعلى نحو غير متوقع فوجيء صاحب المنزل إرل الثالث بزيارة مفاجئة من الملكة ماري والدة إدوارد التي طلبت منه إلغاء نظرية على « تزيينات النوم». لقد كانت شغوفة بمعرفة كيف كان كل شيء يجري بشكل مكشوف، وقادها إرل الثالث إلى أعلى الدرع، حيث كانت هناك بقعة نوم، ثم غرفة النوم الخاصة، ثم غرفة أخرى وهي غرفة نوم مسز حمام أترتمصل بغرفة أخرى نوم مسز سيمبسون، ثم يتصل حمامها بغرفة أخرى لنوم صديقتها. كانت الغرف جميعا متصلة ببعضها، ابتمست الملكة ماري لدى رؤيتها لنظاظ الغرف بهذه الطريقة التي تعطي فرصة كبيرة للتصسس.

لم تكشف الأوراق معلومات أخرى عن علاقة سيمبسون بالملك إدوارد، هل كانت تبادل الحب بالغلغ، أم أنها كانت تنطع في سلطنة السباحة واللب ملكي وبرغم ما تردد عن أطعامها السباحية، فقد جرهما الملك جورج السادس من لقب صاحبة السمو الملكي بعد زواجها من أخيه، رفضا لمحاولات أخيه الخلة للتمطية بهذا اللقب. ومن بين الأوراق التي كشفت عنها مؤرخا ملين من الأوراق الشخصية لرئيس الوزراء بوضوح: «الخطوات المتعددة التي اتخذت لحرمان الدوقة من هذا اللقب الرفيع»، الأمر الذي سمم العلاقة بين الأخوين جورج وإدوارد حتى النهاية. في الثامن والعشرين من أبريل ١٩٣٧ ذكر سير جون سيمون، وزير الداخلية،

بالدوين أن الملك وافق رسميا على منح اللقب فيما يخص أخاه فقط، ولكنه وفي الوقت ذاته أوضح بشكل لا لبس فيه أنه لا ينبغي أن يتمتع بهذا اللقب أحد له صلة ما بأخيه.

كتب سيمون: «أنت تترك كم يريد لك والملكة هذا الأمر بشدة، كما أعتقد أن الملكة ماري أيضا لديها رأي مماثل. لقد أوضح السير جون كيف أن مثل هذه الزيادة سيمنح استقلالها بشكل سيبي بواسطة اللقب الذين سيقرحون أن هذا في معاملة غير عادلة للزوج واستخفاف بزوجه. من الأفضل ترك الأمور على حالها لأنني وضع آخر ستكون له عواقب غير مستحبة». واستمر: «حتى لو بقي الترويجي في الخارج، فإن أمر القضية الخاصة بقلب وأسلوب التعامل مع الدوقة سيظل معلقا وسيطو في الحال على السطح في أي احتفال رسمي، على سبيل المثال هل ينبغي لزوجة السفير البريطاني أن تتحضر أمامها لا إن مجيء الدوق والدوقة إلى هنا سيجعل الأمور أكثر سوءا، حيث إن الكثير من النساء يرفضن الاختناع لها، مهما كان لقبها».

وهكذا أثار دوق وندسور هذه المسألة مرة ثانية في أبريل من عام ١٩٢٦ عن اتس، تحتل الملك ويمسج. وفي العشرين من إبريل كتب الملك جورج السادس رسالة يده إلى رئيس وزرائه: «أعلم أن أخي قد مررت اليوم ويرغب أن يناقش معك مسألة منح لقب صاحبة الجلالة لزوجتي، إنني على يقين من أنك ستخبره أن هذه المسألة قد توثقت بوضوح عام ١٩٣٧ إبان زواجه، وأنه لن تشجعه على التفكير بأن أي تعديل يمكن أن يجري في هذا الوقت». لقد حصلت مع أخي ثلاث مرات في هذا الموضوع».

ولكن يبدو أنه الملك جورج فقط هو من اتخذ موقفا حادا من مسز سيمبسون، حيث تروى منكرات كوبر أن ستانلي وايليس رئيس الوزراء في ذلك الحين قد أخبره في يناير ١٩٢٦ أنه شديد الرفض لهذه الشخصية، «و أنه لو اكتسقت الملكة بعلته ما عاهرة فقط، فقد كتبت إلى بولتن، ويستمنر، كوبر في منكراته: «إن رئيس الوزراء كان منزعجا للغاية من علاقات الملك إدوارد بمسز سيمبسون، وأن الأمر أصبح معروفا بشكل عام ولا زل زوجة في الرأي العام». وكان يعتقد أيضا أن حاشية الملك وأوغاثة يعارضون هذا الأمر وبشكل خاص السير لويد هاسلي أمين خزانة أمير ويلز (١٩٢٠-١٩٣٦)». ويقول كوبر في منكراته أن رئيس الوزراء قد استدعاه في أحد الأيام بعد سبب واضح: «ولكنه قال أنه يعرف أنني صديق

الأمير ولكنه لم يقترح أن أقوم بأي فعل في هذا الأمر» (اعتقد أنه كان يظن أنني قد أنصح مسز سيمبسون بابتلاع لحياتة الأمير بأي شئ. وبالتأكيد لم أكن لأقوم بشيء من هذا القبيل. لأنها كانت حتما ستعثر الأمير الذي لم يكن ليغفر لي ذلك أبدا).

ولقد أثار مشهد وجود الأمير مع مسز سيمبسون في إحدى شرفات قصر سانت جيمس إثارة لبقاء بيان وفاة الملك (والد إدوارد) في الثماني والعشرين من شهر يناير ١٩٣٦، ما شعر الاستياء لدى الحاضرين حيث بدوا في الحديث عنها وانتقاد الأمير إدوارد.



وفي هذا المساء، كما يقول كوبر في منكراته: «تناولنا العشاء مع فريدي لونسال (كاتب مسرحي ١٨٨١-١٩٤٥) في جارك كلوب، حيث سجنوا وايليس حيث تحدثت معي كثيرا عن الملك، وقلت لهم: كم كان إياه حسنا في خطابه الرسمي الصغير في مجلس شوري الملك، حيث اعترض ذكر الخطابي لي كلمة كلمة. من الواضح أنه مكث وقتا طويلا في كتابة الخطاب - نارا الغرفة مجيئا ونهابا. ملينا عليها نص الخطاب الذي كان من محض أفكاره الخاصة. لقد كانت تتحدث بحساسية عالية. أعتقد أنها امرأة لطيفة ورقيقة، ولكنها شديدة الصلابة كما أعتقد أنها لا تباينة الحب».

و يقول نورويش، الابن الوحيد لكوبر: إن أباه قد أصابته الحمشة لدى دعوة إياه ويزل له مرافقته في رحلة بحرية للشرق الأوسط مع وايليس سيمبسون. «لقد كان الأمير على علاقة حسنة مع كوبر، ولكن من المحتمل أن السبب الحقيقي من الدعوة هو أن أمير ويلز كان مسلوب العقل إزاء وايليس وكان يعتقد أن كل من بيرل سيمج في حبها، وكان يعتقد أن قضاء أسبوع معها سيسم والدني أي مصهما وأن ذلك سيسبب حلفا في البرلمان، وبالطبع لم يكون أحد من قائلوا وايليس وجهة النظر تلك الصالحة بالأمير».

ويؤكد أن والده كان ينظر للامير باعتباره رجلا ضعيفا، يلتزم لحكم متقل لاخبر، ولم يكن يصدق أبدا أن وايليس ناجح للخلعة. «كان أي يعتقد أنها قد انجرت في علاقة غرامية مع الأمير غير مبالاة بتلك العلاقة المتفردة التي كان يكتنها لها الأمير والتي جعلته يهجه علنه وتوازنه. لقد كان إدوارد رجلا جديدا، وكان يرغب في حياة زوجية لطيفة، قوية

وبورجوازية، لو لم يكن ملكا لثال كل ما اراده وبسيطة».

نقد الملكة الأم

لمعت الملكة إليزابيث الأولى دورا في إبقاء إدوارد في الخفي، فإن عداها الشديد لوايليس سيمبسون كان سببا رئيسيا في منع دوق وندوة وندسور من زيارة بريطانيا من مناهة الباريس عام ١٩٣٨. وكانت وبشكل واضح وراء الخطاب الذي أرسله جورج السادس إلى شيفيل شمبرلين، رئيس الوزراء، الذي أوجع عنه مكتب الوثائق العام مؤرخا، راجيا ألا يسمح للملك السابق وزوجه بتدخل البلاد، حتى وإن كان ذلك لزيارة غير رسمية بلا أي غرض، بل يمكن أن يكون رغبة إليزابيث أي رغبة بشكل مطلق للمقابلة الدوقة. وفي خطاب مكتوب بخط اليد موجه إلى شمبرلين من قصر باتكنجها والمؤرخ بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٣٨، أوضح الملكة أنه لا يعتقد أن زيارة دوق وندوة وندسور فكرة طيبة على الإطلاق ويده أي رسالة الملك: «أعتقد أنك تعرف أن كل من الملكة إليزابيث والملكة ماري ليست لديهما أي رغبة في رؤية دوق وندسور، وعلى هذا فإن أي زيارة بغرض تقديمها لأعضاء الأسرة الحاكمة ستكون بشكل واضح مستحبة».

لقد كانت لدى الملك جورج شكوك حول زيارة محتملة قبل موعدة بأسبوعين، حيث كان رئيس وزرائه يعمل كوسيط بين الملك وأخيه. وكتب الملك جورج في خطاب إلى شفاء، «لما فكرت في مجيئه إلى هنا، كلما استأث من الفكرة، وخاصة أن بعض الصحف تسلك سلوكا غيبيا تجاه هذا الموضوع».

ولكن دوق وندسور لم يأخذ هذا الرفض محتملة بشكل متسامح، فقد كتب من محل إقامته أن أحد أصدقائي كان شكوى أن بعض صفحات وأرسلها إلى شمبرلين، وجاء منها في الضرورى بالسنسلة، لي أن أكر ولائي لأنها بصفتها ملكي، وبصفتي رجلا بريطانيا أتمس بالوطنية لا يمكن أن أؤيد أي فعل يكون من شأنه أن يحدث تعرقا في الأسرة الحاكمة، ولكنني لا أستطيع كتمان، وبالصرامة التي عهدتها مني، أن المعاملة التي خضت لها بوجتي شخصي منذ ديسمبر الماضي، بواسطة الأسرة الملكية والحكومة، قد سهبت لنا الما شديد القسوة»، وكانت العلاقة بين الأخوين قد تسلسلت إلى البرودة قبل هذا الحدث دعام حينما أوضح الملك جورج لأخيه أنه لن



يسمح لأي من أعضاء الأسرة المالكة بحضور زفافه



لقد سبب هذا الأمر انزعاجاً شديداً للدوق بسبب ارتباط ملجئه مخصصاته المالية الشخصية من أخيه بعدم عودته أبداً إلى بريطانيا بدون موافقة الحكومة. حتى إنه إذا ما فكر في المجيء لأي فترة من الوقت فإنه سوف تنطبق عليه أعلى درجات الضريبة على الدخل. واستطرد إدوارد في خطابه: «لم أكن أنشئ، ولم أوافق أبداً، أن اتخلي عن موطني الأصلي أو أحالي في العودة إليه بشكل مطلق. إن هذا الشرط المالي ظالم وغير محتمل، بوصفه معارلاً لنقولي المال في مقابل بقاءني في الخفاء».

لقد نجح نفوذ الملكة كاترين في بقاء الدوق والدوقة في مناهما الباريسي طيلة حياتهما، إلا أنه في يونيو من عام ١٩٢٤ ظهر دوق ودوقة ندسور بشكل نادر علناً في احتفال في بيت مارلبورج من أجل الملكة ماري.

وبعد خمسة أعوام من تلك العودة التي لم تتكرر بعد ذلك، توفي الدوق في الخامس والعشرين من مايو ١٩٢٧ في باريس، وبعد ذلك بأربعة عشر عاماً توفيت دوقة ندسور في صمت في أحد بيوت باريس.

العشيق زير نساء

إن الدراما الملكية لم تتوقف عند هذا الحد، فالأمر الذي لم يعرفه الأمير إدوارد، والذي كشفت عنه الوثائق مؤخراً، أن مسز سيمبسون كانت على علاقة برجل آخر في الوقت الذي كان إدوارد متورطاً في علاقته بها قبل تخليعه عن العرش.

في تلك الأسرة المالكة على علم بهذه الخيانة؟ ولماذا لم تخبر الأمير إدوارد بذلك؟

لقد كشفت عن وجود ترانديل في حياة الدوقة سيمبسون منذ عهد رجل آخر في الإفرنج من الأوراق السرية المتشعبة بالخلي عن العرش. وبشكل خاص حمزة من التقارير السرية المرسلة إلى حكومة العاصمة.

كانت شخصيات عديدة عن علاقة سريّة مع شخص يدعى ترانديل في اللحظة ذاتها التي كان يتودد إليها الملكة المستقبلي إدوارد الثامن. وبينما كان أمير ويلز يغوي مسز سيمبسون بالهدايا الثمينة، كانت هي

بدورها تخفي حب جيبها الآخر بالأموال والهدايا، بينما تأخذ احتياطاتها الواسعة لإخفاء هذه العلاقة عن الأمير الهامك في حبها

كانت مسز سيمبسون وقتها في التاسعة والثلاثين من عمرها، وترانديل الذي عرف بأنه زير نساء في الساسية والثلاثين، وحسب تقارير هؤلاء الذين أرسلوا للمجلس عليه، وصف ترانديل بأنه: «مغامر ساحر، جميل المظهر، كريم الأصل والوص بارع». قد يكون مجرد رجل مبيعات يعمل في تجارة السيارات ولكنه فنان للنساء في بدته المانقنة ولقيعته الناعمة المطوية لأعلى.. لقد كان ترانديل بشكل واضح ما يظنون عليه السخلية المتكاسلة أو بلقة الطيران العسكري فيما بعد كلب ذكي وجال ساحر.

كان من الطبيعي أن يقوم البوليس برقابة مسز سيمبسون منذ بداية علاقتها بأمير ويلز. ولو كانت مسز سيمبسون تدرن أن البوليس الخاص يتتبعها في عام ١٩٢٥، لتأكدت معرفتها قبل أن تتطرح عشيقها في ماريكوس ترانديل السرام في سريها.



لقد عرف البوليس الخاص في عام ١٩٣٥ أن مسز سيمبسون كانت تسكن نفسها مع عشيق آخر غير الملك المستقبلي، ولكن الأمر استغرق منهم عدة أسابيع للتحقق من هويته. وفي الثالث من ديسمبر نجحوا في كشف القاب عن شخصيته.

تقول تقارير البوليس البريطاني أن «هوية العقليق السري مسز سيمبسون» كشفت الآن، أنه جي ترانديل، الذي يقطن الآن منزلاً في ١٨ شارع بروتون، ويلز. إنه يقابل مسز سيمبسون علناً تقريباً في القاعات الاجتماعية غير الرسمية كصديق شخصي، ولكن لقاءات سريّة أخرى يجري الاتفاق عليها من خلال مواعيد خاصة بينهما، حيث يمارسان علاقتهما الحميمة. كما ذكر التقرير أيضاً أن «ترانديل كان يتلقى أموالاً من مسز سيمبسون، بالإضافة إلى الهدايا الثمينة. يعمل كهندس ميكانيكا سيارات ورجل مبيعات ويقال أنه يعمل لصالح شركة فورد، وليس من العجوز المرتب الشهرى الذي يتقاضاه».

ودجى ترانديل في يورك عام ١٩٨٩، لأب يدعى ريف جورج جرانيل كان قسيساً

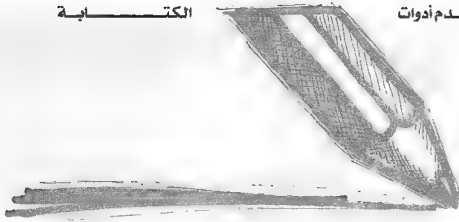
بعض الناس قد تتخيل أن الأيام السالفة كانت تنتم بالنعومة واليسر بالمقارنة بإيامنا هذه، ولكن هذا غير صحيح، ما حدث فقط أن سلوك المجتمع قد تغير. الكثير مما هو مقبول الآن لم يكن كذلك في الماضي، فعلى الرغم من أن ترانديل يطلق عليه زير نساء اليوم، فإنه لم يكن كذلك في الماضي.

كان يمكن للمرء أن يشاهد بصحبة سيدة للعشاء في الخارج بجهة أن زوجها في مهمة عمل في الشرق الأوسط. كان هناك عدد مهول من الأزواج في الشرق الأوسط، هذه مجرد دعاية. لقد كانت تلك فقط كلمة فخريّة.

قضى ترانديل أيامه الأخيرة في تشيلسي، بعدما تخلت عنه زوجته بسبب خيانتها الزوجية، وتوفي في ٣ ديسمبر ١٩٥٨ في مستشفى في مستشفى، شرق لندن بعد علاج لمدة ١٤ شهراً من مرض السرطان. عند وفاته كان يملك حوالي ٤٤٧ جنيهًا استرلينياً أو ما قيمته ٦٠٠٠٠ جنيه استرليني اليوم. ترك ترانديل أيضاً بعد وفاته بعض الأوراق الغامضة التي لم يكشف عنها حتى اليوم. يبدو أن أوراقه تلك كانت تحمل معلومات عن علاقته بسيمبسون، التي أراد أن يخفيها ولأبد.

ولكن إذا كانت الخيانة لعبة، فماذا كانت اللعبة التي لعبها ترانديل الخاصة للبوليس البريطاني وهي بشكل مقنن للاحق كل خطوات ترانديل؟ إن الأدليل على علاقة مسز سيمبسون بترانديل قد تم تحويله إلى البرلمان كدليل على خيانة سيمبسون. إن هذه واحدة تتوقف لملك إدوارد حول هذه الخيانة كانت ستوقف حصراً أمر الزواج وتمنع الزوجة الدستورية، لذا لم يخبره أحد بأى شيء؛ هل كان ذلك مراعاة لشاعره أو لأن الأمور كانت قد وصلت لأكثر من ذلك، هل كانت حسابات شيطانية لم يكشف عنها القاب بعد؟

وعلى الرغم من أن إدوارد كان في هذه الوثائق دفعه واحدة، فهذه الخمينيات حول وجود إدوارد أخرى تتصل بسيرة حياة الملك إدوارد بعد تخليعه عن العرش والتي ألزأت في على التكملة. هناك أيضاً رسائل خاصة متبادلة لم يتم الكشف عنها. إن اللعبة الخاصة بسيمبسون كميريدج ألزأت في انتقار للأفرانج عن ملفين حول التخلي عن العرش في الأرشيف الخاص ببالديون. وربما، الأمر الأكثر أهمية، الأوراق الشخصية للملكة الأم والموجة في مبنى الأرشيف الملكي في ندسور.



القلم الرصاص .. يرفض أن يُمحى!

جيمس شسميد

■ إن أقدم وسيلة للكتابة والأدق نظام لن الحرفاء لا يمتلك ذاكرة كهربية أو مصححاً لغوياً مثل جهاز الكمبيوتر الحالي، كما أنه لا يحتاج صيانة مستمرة وجميع أنواعه رغم شدة تشابهها إلا أنها غير متنافسة، ورغم ذلك كله... فإن الناس لا تزال تستخدمه.

لقد قاوم القلم الرصاص الكلاسيكي لمدة تزيد على أربعة قرون عاملَي الإهمال والزوال، وهو إنجاز لم تستطع تحقيقه أجيال من الكمبيوترات المحمولة والأجهزة الإلكترونية شديدة التقدم.. رغم سهولة حملها والتنقل بها حيث إن حجمها لا يزيد على كف اليد.. ورغم هذا استخدم التكنولوجيا الكبير، فإن العالم استمر في إنتاج أقلام الرصاص السوداء بكميات تصل إلى ١٠ مليارات قلم في السنة الواحدة. ويؤكد الكونت أنطون ولفجنج، الرئيس التنفيذي لشركة فاير كاستل - أقدم وأكبر شركة صناعة أقلام - أنه منذ عشرين سنة تقريباً كان يشعر بالقلق على مصير القلم الرصاص إلا أنه كان ومازال يؤمن بالقلم كوسيلة كتابة أساسية.

ويؤكد الكونت الذي ينتمي إلى عائلة أرستقراطية عريقة تخصصت في صناعة الأقلام منذ ١٧٦١ أنه لو كان استمع إلى مستشاريه الذين نصحوه بترك صناعة الأقلام والتحول إلى وسائل الكتابة عن طريق أجهزة الكمبيوتر أو أي وسائل أخرى لكان تعرض للإفلاس.

ويقول مانفرد ميلر - رئيس الاتحاد الأوروبي لصانعي أدوات الكتابة، موجود

ترجمة: إنجي عنان
المصدر: هيرالد تريبيون
(International Herald Tribune)

في نورمبرج - إن كثيراً من الناس كانوا يسألونه عن السر وراء استمرار استخدام القلم الرصاص في ظل وجود منتجات أكثر تقدماً مثل الأقلام الرقمية وغيرها.

وأسباب إصرار الناس على استخدام القلم الرصاص واضحة ومعروفة، أولها أن أقدم وسيلة للكتابة هي أيضاً ألها تكلفه، كما أن القلم الرصاص لا يتعطل مثل أجهزة الكمبيوتر أو يجب مثل الأقلام الحبر، والقلم الرصاص يمكن استخدامه في الفضاء الخارجي وتحت الماء أو أي مكان فيما بينهما، بالإضافة إلى أن الدعم الفني الذي يحتاجه القلم الرصاص لا يتعدى المبراة.

ورغم كل هذه الأسباب التي جعلت استخدام القلم الرصاص ينتقل من جيل لآخر، إلا أنها لا تعطي السبب الحقيقي، فهناك شيء أساسي في القلم جعل الكثرين يكتفون عن أهمية الكتابة التقليدية باستخدام أداة معقدة مثل القلم الرصاص تطبع بتقاليد كل شيء بدءاً من النقاط الثقيلة إلى القنابل الخفيفة.

في الحقيقة، فإن القلم الرصاص أصبح يمثل نقطة اللقاء يتجمع عندها الكثير من الكتاب والمفكرين والمهندسين المعماريين والموسيقيين ممن يعارضون التكنولوجيا المضادة للقلم الرصاص: «يا محبي القلم الرصاص... اتحدوا، هو النخبة والتي حولت مجهودنا إلى العالم الذي نعيش حالياً تحت رحمة أجهزة الكمبيوتر التي قللت من قيمة الكلمة وحولت تجربة الكتابة الحسية باستخدام القلم ولمسه إلى تجربة واقعية جافة.

وعن سبب شغفه بالقلم الرصاص، يقول بيل هنريسون، مؤسس الجمعية، إن السبب ببساطة يرجع إلى أن القلم الرصاص لا يحتاج كهراء ليكتب، وهو زهيد الثمن، تكتب به بخطك فيصبح مملوفاً يمثل كاتبه ويدل على شخصيته على عكس أجهزة الكمبيوتر التي تحولنا جميعاً إلى مجموعة من خطوط الكمبيوتر.

وبحسب الإرقام والبيانات فإن القلم الرصاص يظل أكثر قوة من أجهزة الكمبيوتر فالأخير تصل مبيعاته إلى ١٤٠ مليوناً في العام الماضي وهي لا تقارن بالمليونات التي أنتجت في نفس العام، ويؤكد ميلر أن إنتاج الأقلام في أوروبا قد زاد بنسبة ١٢٪ في عام ٢٠٠١ وفي الدول النامية تزايد الطلب على الأقلام الرصاص بصورة أسرع، أما في سوق الأقلام الرصاص بالولايات المتحدة الذي يبلغ ٢٢٠ مليون دولار، فإن المبيعات في تزايد مستمر أو على الأقل مستقرة.

ويؤكد دوف مارتين - محرر نشرة الجمعية الأمريكية لمحبي الأقلام الرصاص والذي أنشأ موقعين على الإنترنت مخصصين للأقلام الرصاص - أن الأجهزة الإلكترونية المستخدمة في الكتابة ليست بجودة أو تلقائية كتابة الخواطر والملاحظات بالقلم الرصاص.

شركة فاير كاستل، التي مزالت تعمل في صناعة الأقلام في نفس المكان الذي أنشأه كاسير فاير منذ ثمانية عقود مضية، قد شهدت فترة هائلة في معدل الإنتاج والاستهلاك على مدى السنتين الماضيتين، وترجع هذه الفترة بشكل أساسي إلى ما يسمى Grip ٢٠٠١، وهو التحول الفني والشكلي الذي حدث في تكنولوجيا صناعة الأقلام الرصاص من أي مضاعفة الطلب عليها خاصة في شركة فاير كاستل التي تمتلك ٥ فرعاً في جميع أنحاء العالم ويعمل بها حوالي ١٥ ألف شخص. والشكل الجديد للقلم الرصاص Grip ٢٠٠١ هو شكل ثلاثي بدلاً من سداسي الأضلاع عليه نقاد بارزة موزعة على القلم الأمس بشكل يجعل الإمساك به أكثر راحة وسهولة هذا بالإضافة إلى شكله الجمالي ولونه الفضي

قاوم القلم الرصاص
الالكترونيكي لمدة تزيد على أربعة قرون
عاملَي الإهمال والزوال، وهو إنجاز لم تستطع تحقيقه
أجيال من الكمبيوترات المحمولة والأجهزة
الإلكترونية شديدة التقدم

كتاب الزاوية



اتفاقية جنيف بشأن معاملة أسرى الحرب (١٩٤٩)

في حالة قيام نزاع مسلح ليس له طابع دولي في أراضي أحد الأطراف السامية المتعاقدة، يلتزم كل طرف في النزاع بأن يطبق كحد أدنى الأحكام التالية:

يقع أسرى الحرب تحت سلطة الدولة الماعدية، لا تحت سلطة الأفراد أو الوحدات العسكرية التي أسرتهم، وبخلاف المسؤوليات الفردية التي قد توجد، تكون الدولة الحاجزة مسؤولة عن المعاملة التي يلقاها الأسرى. (مادة ٣)

لا يجوز محاكمة أو إدانة أي أسير حرب لفعل لا يحظره صراحة قانون الدولة الحاجزة أو القانون الدولي الذي يكون ساريا في وقت ارتفاق هذا الفعل.

لا يجوز ممارسة أي ضغط معنوي أو بدني على أسير الحرب لحمله على الاعتراف بالذنب عن الفعل المنسوب إليه.

لا يجوز إدانة أي أسير حرب بدون إعطائه فرصة الدفاع عن نفسه والحصول على مساعدة محام أو مستشار مؤهل. (مادة ٩٩)

إن أصدر حكم بالإعدام على أسير حرب، فإن الحكم لا ينفذ قبل انقضاء مهلة لا تقل عن ستة شهور من تاريخ وصول الإخطار إلى الدولة الحامية. (مادة ١٠١)

لكل أسير حرب الحق، بنفس الشروط المنطبقة على أفراد القوات المسلحة بالدولة الحاجزة، في استئناف أي حكم يصدر عليه أو رفع دعوى لنقضه أو التماس إعادة النظر فيه. (مادة ١٠٦)

علكة فاير أن ينتقل إلى نيويورك لينشئ شركته الخاصة منقسماً عن بقية عائلته ولينتج القلم الأمريكي الأصفر اللون المعروف باسم سابير هارد فاير ٢.

وأخر خسارة واجهتها شركة فاير كانت في عام ١٩٧٠ حين غزت الآلات الحاسبة الأسواق مما أدى إلى كساد صناعة المساطر الحاسبية التي كانت تحتجها الشركة إلى جانب الأقلام الرصاص.

ويضيف الكونت أن حركة علم التنجيم الذي يدرس العلاقات بين الكائنات الحية وبينها والذي ظهر في الثمانينيات ساعدت على إحياء القلم الرصاص حيث أظهرت الدراسات أن لمنتجات البلاستيكية ومنها الأقلام الجافة قد أصبحت فجأة مضرّة للبيئة.

أما القلم الرصاص فهو يتمتع للأرض مله مثل: الأشجار والكربون الأسود الطري والمصنوع من النحاس التي يصنع منها القلم الرصاص.

وبسبب هذه الأصول العضوية التي ينتجها إليها القلم الرصاص، فرت جمعية القلم الرصاص اختيار الكاتب الأمريكي هنري ديفيد ثورو - الذي عاش حياة بسيطة في كوخ في الغابة - كمدير شرفي لها. وقد استقادت الجمعية إعلامياً من حقيقة أن ثورو استطاع أن يتعلم في إحدى أكبر جامعات الغرب وهي جامعة هارفرد فقط لكونه ابن أحد صانعي القلم الرصاص وكونه قد ساعد والده في هذا العمل.

ويتباهى محبو القلم الرصاص بسرد قصة أن شركة فيشر لصناعة الأقلام الحبر قد انقلت المصانع لتخترع قلم حبر يكتب وهو مقولوب وفي غياب أية جاذبية أرضية وأرسلته للتجربة في الفضاء مع سفينة الفضاء أبوللو ٧. في حين أن القلم الرصاص عمل بكفاءة في خدمة رواد الفضاء في كل الرحلات السابقة دون أن يحتاج أي تعديل أو تقنيات ضخمة لتطويره.

والقلم الرصاص يمثل أهمية كبيرة للكاتب حيث أن أسس الأقلام الرصاص وأكثرها جودة وأكثر ما يسعد الكاتب ويهجه إلى أقصى حد، فضلاً عن أن توقف إنتاج القلم الرصاص للمعلم إيرهارد فاير ٦٠٢ في عام ١٩٩٨، والكاتب يحلون عنه ويدفعون ٢٠ دولاراً شهراً للقلم الواحد من هذه النوعية. ■

المعز. والجديد في هذا الشكل هو محاولة تثبيت هذه النقطة بهان الأقلام عادية وغير سام وليس بمادة قد تجعل القبضة على القلم صعبة أو تلتصق بمبراة اللحم أثناء بريقه.

وقد فاز هذا الشكل الجديد للقلم الرصاص بخمس جوائز عالمية بالإضافة لكونه سهل التثبيت خلف الأذن وهي عادة يقوم بها الكثيرون من مستخدمي القلم الرصاص حول العالم والكونت يبيع القلم الجديدة بسعر ٧٥ سنتاً (يورو) أي ما يعادل ٨٠ سنتاً (دولار) للقطعة متجاهلاً مصالحي خبره التسويق الذين أصروا أن لأحد يريد أقلام رصاص غالية الثمن عالية الجودة خاصة أن الشركة تصنع القلم ميكانيكية أيضاً. وتأكيد نجاح المفرة، يؤكد الكونت أنه منذ تم تصنيع القلم الجديد في إيرل الماضي والمصنع يعمل ثلاث ورديات يومياً ليس حاجة السوق من هذا المنتج الجديد. والشراء الجولات التي تتم للزوار بالمصنع، فإن التصوير مشغول تماماً في المكان الذي يتم تصنيع القلم فيه حفاظاً على سرية التصميم الجديد.

والكونت كاستر البالغ من العمر ٦١ عاماً لم يكن أساساً شغوفاً بصناعة الأقلام فقد قضى سنوات طويلة من عمره يعمل كمستثمر ومصرفي في البنك المصرفي السويسري في لندن ونيويورك خلال السبعينيات حتى تولى على مضض أعمال العائلة في عام ١٩٧٨، ومنذ ذلك الحين أظهر كفاءة ونجاحاً كبيرين في مجال صناعة الأقلام الرصاص جعلته في مثل شهرة بيل جيتس في صناعة الكمبيوتر.

وعن منتجه الجديد المتمثل في قلم رصاص خشبي مضاف له جزء مصنوع من الفضة يستعمل لتخفيف به القلم وكعباءة حتى لا يترك القلم أي بقع على جيب القلم، يقول الكونت إنه يعتبره القلم المفضل، ويبيع هذا القلم بسعر ١٣٥ يورو في حين يباع النوع النادر منه المغطى بالذهب والمزجص بالإنماط بسعر ٩٠٠ يورو.

وشركة فاير كاسفل التي يتبع اسمها على حوالي ١,٨ بليون قلم سنوياً في أول من صمم نظاماً يضاف على نوعه الرصاص، وأول من قام بتصنيع القلم الرصاص للسداسي الأوجه الذي لا يتحرج على المائدة. وقد قرر أحد أفراد الجيل الرابع من

■ ذهب جورج دبليو بوش إلى العراق «بضرياته الاستباقية» بدعوى «ضمان الأمن» لوطانيه. وقبل أن ينتهي الإمبراطور العولي الجديد من ارتشائه ثوب انتصاره الذي حرص على إعلانه من سطح حاملة الطائرات العملاقة «ابراهيم لينكولن». كان عشرات من مواطنيه يدفعون الذن في عدد من أحياء الرياض الهائنة الآمنة. فيتلقون في أسرهم. مع غرهم من الإبرياء للأسف بالمشيط كما حدث في حبي المنصور (بغداد) (٢٠٠٣) وفي أزقة قندهار الفظيرة (افغانستان ٢٠٠٢). ويحدث يومياً في الضفة الغربية وغزة.

هل تذكرين غلاف النيويورك الشهير (٢٥ نوفمبر ٢٠٠٢) والذي حمل صورة بن لادن واولفته القاطعة: «كما تفلتون سفلتون».

وهل تذكرين ما حدث من الرئيس المصري مبارك قبل الحرب على العراق. وبغض النظر عن السياق - من أن سياسة امريكية غير متوازنة في الشرق الأوسط. قد تؤدي إلى ظهور مائة بن لادن.

وهل تذكرين القلأ في واشنطن. لم يعجبها الرأي المصري. فسارعت - متعلجة بما يفور الإطراء في القوة - إلى القول بأن زعيم القاعدة «وإن لم يرض عليه.. إلا أنه قد بات راساً بلا جسد. وفهداً بلا تنظيم».

مرة أخرى يخطئ الأمريكيون. حين يصقون. أو يصممون أن يسهلوا كل الأمور بطريقتهم. ثم عشرات العاهد المجتعة وعديد الأبهة الاستباقية. فستتطير القاعدة - إن جاز لنا أن نعتبره «تنظيماً» بالمعنى اصطلاحى للكمة - وإن تسميه «القاعدة» - كما درجت العادة إسلامياً - ليس «إسلامياً» المصمراة في إيطاليها.. ولا «إيسار» ماينوف في ألمانيا.. ولا حتى - رغم قرابة الجغرافية - «الويلو الأسود» جماعة أبو نضال. والتي تتوقف في معظم الأحوال عن الضماعة. أو التآليل. معترض زعيمها أبو يتقاعد.

الأمر هنا يختلف جذرياً. خاصة ونحن هنا على الأغلب بصدء «متبينين» لتأخر أكثر من «متبينين» لتنظيم. وفي كل الأحوال كان أولي بالأمريكيين الذين ابتدعوا الهيكلية «العنكبوتية» للإنترنت. ليصلوا على شبكة غير قابلة للانهايار. أن يكونوا أول من يهجم كيف يمكن تصور بنين شبيكة لا تتفكك بالقضاعة على بعض مراكزها أو وصلاتها.

والواقع أن هذا هو الحال بشأن جماعة بن لادن. كما بشأن كل تلك الجماعات (العقابلية / التنظيمية)

التي يستريح المحققون بنسبتها إليه كلما كان العمل تقجيري أو كما عثروا في أمتعة المشتبه بهم على أشرطة للرجل. هي كباغ فعلياً وعلى نطاق واسع في أسواق البلدان الإسلامية الأسبوية.

هذه المرة. ولأسباب «لوجستية» عديدة. طاشت الكرة. وأرتجت بالقنطريات التي جادت مدهقا الصحيح بلاشك - حواضر عربية. ولطخت مائة ما كان يجب أن تسيل الدار «الجيشاء» وبأسمن «الرياض». وسرعان ما شغل الجميع «هناك» بالسعودية: بلدًا وديناً ونظاماً وحكماً. وصدرت النيويورك الفتاحية: «الآن.. يرى السعوديون العدو». وكانت لهجة التوضيح قاطعة.

بعد أن تؤكد النيويورك أن المملكة ستعفن قريباً تشكل لجنة لكي تتعبد رسمياً ففهم الجهاد. وإن الحكومة السعودية ستستمر. من الآن لصاعداً. بصورة أكثر انفتاحاً على أساس المعلومات الأمنية. تحدد اللجنة الأمريكية معالم خارطة الطريق. وتخصصها في:

١- إصلاح الأنظمة التعليمية.

٢- إخلاء المساجد والمنظمات الإعلامية من رجال الدين المظفرين.

٣- تهيمش وزارة الشؤون الدينية.

٤- وقف أموال «الإثالة الإسلامية» التي تتدفق على منظمات متشددة في الخارج. والحاصل أن المنطقة لزم من طويل كانت قد ادمنت المتشامخي مع خارطة الطريق. وعليه فقد كان طبيعياً «و لمصادرة لراى - أن تقرا في الفتاحية «جريدة عربية» أن أولئك «الذين يؤيدون مسعودة التجنيدات الانتحارية في إسرائيل» - يتحملون جزءاً من المسؤولية عن تفجيرين الرياض».

كما كان طبيعياً أن يرى أحدهم في «الوطن» الكويتية. أن تلك الجماعات الإبراهيمية التي تبني عليه الجهاد «تجد لايدولوجيتها غطاء في الرسالة الدينية التي تنشرها المساجد والمدارس». وبالتالي يطلب كاتب كويتي أن تحارض واشنطن «بنين تزود السعوديين خارطة طريق أخرى تفصل ما هم بحاجة للقيام به».

وينسى الأمريكيون هنا حقيقة أن البنيان الاجتماعي والغفائي. بل وحتى السياسي والاقتصادي للمملكة متماسك بلحمة واحدة.. أو بالأحرى بمادة لاصقة واحدة. يصعب من الصعب. كما هو من الخطر محاولة تذويبها في أي ركن من أركان هذا البناء الذي تراصت لبلاتنه وتداخلت وتلاصحت - إلى مدى قد لا يدركه غير السعوديين أنفسهم.



البابى إذن أن البنيان الذي تصاعد في سماء نيويورك صباح هذا اليوم «الفصلى» من سبتمبر ٢٠٠١ مازال يرمد كثيراً من العيون - هنا وهناك - فساتر لا ترى غير ما رآته يومها. مصممة على تفسير كل حدث وحركة.. بل وكل محادثة هاتفية ورسالة بريد إلكتروني «تفسيراً» سبتمبرياً.

ورفعت السلطات الأمريكية حالة التأهب إلى الدرجة الإرتقالية قبل أسبوعين بسبب رسالة بريد إلكتروني. ربما كانت مزحة. تطلب من العرب القميين في إحدى الولايات مغادرتها خلال ٤٨ ساعة.

ماذا وراء تلك «الحالة السبتمبرية»؟ قبل ٢١ شهراً كاملة وقعت الواقعة «وزلات الأرض».

وكان أن الوصف قبل التفسير. وبحكم «السوق» وهول الخطب - أغفل تفصيلات قد تكون مهمة. وأضفى تفلألاً تصعب موحية.

وكان أن تم - على الطريقة الأمريكية المعتادة - تحليل التفسيات لتصبح وجعاً جاهرة عند الحاجة. وكل حاجة. وكان أن زلذعت ساعات إرسال الشيكات التليفونية لاختناسة دوماً ومجملين ومفسرين كل مؤهلاتهم «التفضيلية» أنهم جاءوا يوماً من - أو حتى زاروا - تلك البلاد النجيدة.

وعبر الالة الإعلامية «المولحية» الجبارة. لم يعد «تؤيد» تلك التفسيات

شأناً أمريكياً صرفاً. ففي عالم تذوب فيه الحواجز. وتسطف فيه الأسوار كما الإرادة. يصبح لكل صوت مآد من هناك حقاً صدى. بحكم الطبيعة.. أو بغيرها من حلقاً. بل وأخر.

والحاصل أن التفسيات (صوتاً وصدى) كانت تحتاج بضرورة الحكمة إلى إعادة نظر. بعد أن هدأت الجلبة وايتعت الصدمة.. وهو ما لم يحدث - للأسف - إلا قليلاً. وكان أن شاعت الأفكار لاستعد صدقيتها إلا من شيوخها ذاتة.

فعلى سبيل المثال يخطئ من يركن إلى وهم أن افغانستان / أفغانستان (في أو كانت هي) المخرشة الرئيسة لتعطف ضد أمريكا. والفرط الذي تترعه. كما يخطئ من يطعن بأن المدارس الدينية أو كتب الفقه الإسلامية القديمة هي الرافد الفكري «للتحريض» على هذه العمليات.

ودعونا نسرده هنا مجموعة من الحقائق التي أغفلها القصد أو العجلة.. أو مسامرة ما شاع.

١ - لم يوجه الإتهام - حلقاً أو زوراً - في أحداث سبتمبر الغفائي واحد. سواء من طالبان أو من غيرها.

٢ - في كل ما صنف «إرهابياً» مع الثباني في التفجيرات والتخطف على غرضها ومدى حينيتها - لم تر أن هرباً واحداً أو خرجاً من القيوان أو الزبوتة. في أفغانستان أو المدارس الإسلامية العربية.

٣ - إن بعض من تصدى للتصحية بحياته في عمليات ملل تلك. لم يتجاوز التاسعة عشرة من العمر. وهو يحكم السن على الأقل. لم يشارك قطعاً في الجهاد الأفغاني (١٩٧٨ - ١٩٨٩) ولم ير عبدالله عزام (صات ١٩٨٩) ولكنه بالضرورة عزم (بالطالبان) صورة الأم العراقية المحترمة التي بالنت واقفة في ملاسيها أمام أنفاتها (تجسداً لغائى «الصمدية» والترحوم) أمام أولاد المدافع سريعة الطلقات لجنود المارينز مفتولي العضلات الذين اقتصروا دارها في أيام الحرب الأولى (الصمودية) CNN.

ونقلتها عنها جميع الفضائيات العربية.

وعلى أن لا يبريد أن يصق ربط مبارك بين الحرب على العراق وظهر مائة بن لادن. أن يعود لأرشيف الصحف. ليرى كيف كان الالف الظاهرية «ضد الحرب» في دولة أو آسيا الإسلامية يرفعون صوراً لسملة / الرمز. الذي لم ينجح الأمريكيون حتى اللحظة في الوصول إليه.

كما قد يكون مفيداً لأولئك المحطمين التي التوسية بتركيز المناهج على ما هو «علمي» بدلاً عما هو «ديني» أن يتذكروا

أيمن الصياد

وقد يكون لازماً مقدمة هنا أن نسال اولئك الذين يشيرون بسبابهم دائماً في بن لادن: لماذا ينتج هذا الكهل المريض الطريد في أن يكون له كل هذا التأثير، الكائن في أوقات تظاهرات كراتشي وكوالالمبور.. والكامن في منديبات النقاش الشبابية العربية على الإنترنت، والمتفجر ريفاً في ضواحي الرياض الآمنة وازقة الرباط الفقيرة؟ يسأل كتاب الأعداء في الصحافة الأمريكية.. وتتذبذب بهم الإجابات: «المالوفة»، والتي يعاد توريرها، كل مخفي، في حين يعرف جيداً المتصفح آراء أولئك الشباب أنه لا قدرات بن لادن التنظيمية.. المشكوك فيها بعد كل هذا الحصار الاستخباراتي.. ولا المدارس الإسلامية، ولا الشبكات «الإغاثية» لليتامي والمساكين.. وأن نهيئت لأسر الشهداء.. وإنما هو الإحساس بالظلم والانتسحاق.. واليأس من عدل «الامبراطور الجديد».

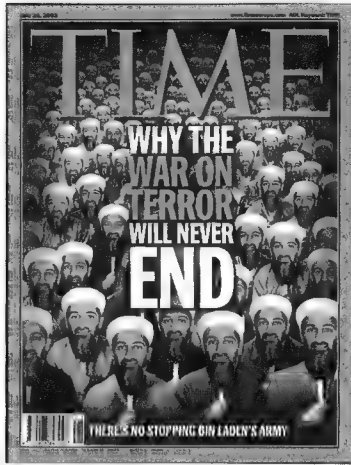
فهؤلاء الشباب يتشاهدون يومياً ما تفعله قوات الاحتلال الإسرائيلي في المناطق التي هي قانونياً محتلة منذ خمسة وثلاثين عاماً، ويعرفون أن واشنطن استخدمت الفيتو لصالح إسرائيل ٣٦ مرة، وأن الأمريكيين الذين يتحدون عن الإرهاب الفلسطيني يظلوا قبل عام قراراً مجلس الأمن كأن يقضي بإرسال قوات لحفظ «امن» «الشرق».

ويسمع أولئك الشباب جورج دبليو بوش يتحدث «كالكلمين» مؤكداً أنه ذهب للحراق «لبنزع أسلحة الدمار الشامل»، ثم يصفاجون به ببعض محاولة في مجلس الأمن لإصدار قرار يجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من تلك النوعية من الأسلحة، وغير ذلك كثير.. وكثير.. يعرفه بالأكيدة السادة في واشنطن، فهل يبرأون إليه بعضاً من الإجابة على سؤال التلاميذ.



نتفهم «الوصفة» الأمريكية.. ونحترم «أصداءها» في صحافتنا العربية، ولكننا نعتقد فيما قلنا هنا مراراً وتكراراً من أن الضمان الوحيد لأمتك هو ألا يكون لك أعداء يكرهونك إلى درجة «الانتقام» منك.

في عالمه «محكم واحد».. يدون الوصفة الوحيدة لامن القوة العظمى «الوحيدة» في تلك السفلى.. وبالطاقة.. «من أعناق ثراث المسلمين».. حكمة.. فعدلت.. فأمثلت.. فقتت بأمر..



بجراحة بالغة.. اختزل امر كله في حجاب الفئدة.. وفي مفهوم «الجهاد» وثقافة الإسلام «الدموية».. مجلة TIME الأمريكية، والتي ربما على مدى العامين الماضيين كانت الأكثر احتفاءً بصورة بن لادن على أغلافها (الهدف تارة.. والشبح المخفي تارة أخرى) اختارته لخلقاها الأخير (٢٦ مايو) عناً لها نهايتها من «الدين لامتجين».. أو بالأحرى من أولئك الذين يرتدون.. أو يتخفون.. أو يراد لهم أن يبدو بوجه ذلك الشبح الممعد ذي الحجة الكئيبة.

الصورة المعيرة المزمعة بالأوجه (أو بالأحرى بالوجه الواحد) وبالدلالات «ذات الأوجه»، حملت سراً واحداً، موجزاً ومحورياً، وقد يكون بالآلة خلا من علامة الاستفهام: Why The War on Terror? Will Never End

السؤال يبدو بسيطاً جداً، والإجابة أيضاً تصبح كذلك، فقط إذا نجح الأمريكيون في ترجمته هكذا: ماذا الآن يفعل مشاعر الخوف والعنف ضد أمريكا في عائلنا العربي والإسلامي.. وكيف يمكن للأمريكيين أن يشعروا بالأمن.. والسلام؟

لنترقبه في مظاهرات بروكسل وطوكيو وبرلين.

وهل مازال المعجبون بيرنارد لويس ورايه القاتل بأن العلماء أمريكا يكمن في جوهر الإسلام وثقافته، يعتقدون أن فتيات سيدني اللواتي اخذن «العمري» في الاسرار احتجاجاً على ممارسات القوة الأعظم منشغلات بمسألة «الحجاب الشرعي» التي أراد لها البعض أن تصبح أزمة في فرنسا هذه الأيام.

الأسئلة محملة بعلامات تعجب أكثر مما هي ملقحة بعلامات الاستفهام. رغم كل ذلك.. ولماذا.. فقد قرأنا أن لم يري في هبة ضراغة، الجامعة الفلسطينية ذات التسعة عشر ربيعاً بطلاً عملياً العفوية الأخيرة، غير حجابها. كأنه لم يقرأ أن شقيقها معتقل في السجون «الإسرائيلية».. وأن منزل قاتلها فجرها القوات «الإسرائيلية».. وأن مزارع العائلة بشجرة الزيتون المعمرة قد جرفتها الأريات «الإسرائيلية».. وأن سيارة مدنية تحير الزقاق للجاور صفقتها إبانتي «إسرائيلية».. كل ذلك وغيره كثير لم يكن كافياً وتـم.

أن أيمن الظواهري «طبيب».. وأن أسامة بن لادن كان دارساً للهندسة.. ومثله الفيلسوف الأشهر لعملية سبتمبر محمد عطا الحاصل على الماجستير في التخطيط العمراني.

وربما كان علينا.. لكني نفهم ما يجري اليوم.. أن نتذكر حديث بن لادن محققاً على أحداث سبتمبر في ٧ أكتوبر ٢٠٠١ «الذلل والهوان الذي يتعرض له المسلمون منذ أكثر من ٨٠ عاماً».

أخطا بن لادن (فيما نرى) عندما اختزل الامر كله في حديث عن «فسطاطين» ويخطئ «برنارد لويس» ثائفة الغرب على الإسلام، والاب الحقيقي الفكرة «صراع الحضارات» عندما يضع كتابه الأخير «The Crisis of Islam» عنواناً جانبياً يختصر فيه القضية في «حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس Holy War and Unholy Terror».

يخطئ.. أسامة (الشاب الغفام).. ويخطئ لويس (الشيخ الأكاديمي).. ويخطئ نحن عندما نشوهينا تلك الفتنة.. ونشترك لما يروجها المستشرق اليهودي على الناحية الأخرى من الألفظي.. ونصدق أن فكر «الفسطاطين» المختلف عليه، يلف.. وحده.. وراء تطجيرات الرياض وادار الليضاء.. ووراء الشعار المعادية لأمريكا وإسرائيل ورموزهما، والحد (يختصر) في الترويسة الأمريكية بحجف منابع هذا الفكر في المدارس والمساجد.. وفي القرآن والسنة.

ولعلي أزعج.. مسجراً.. أن حديث البسطاء في مقاهي القاهرة حول أكواف الشيا الأسود، أو في جلسات القات في صنعاء، أو حتى شباب الأرياء في دويانيات الكويت، لم يعرف طريقه أبداً إلى الجدل المغلف حول «دار الحرب» ودار الإسلام، ولكنه يمتدح البسطاء بنشر «الظلم والهوان».. وبالاعاء الطغرى أن يبدو وكأنه يستهدف دينه وأرضه.. وإن لا يترده في الدفاع عن أنه يكبل بمكائيل، يقول توماس فريدمان في «الجزيرة».. إننا نعرف أن إسرائيل لديها أسلحة نووية ولكنها لا تطلق اليها كما نطرق إلى الحرب.

نمظن إلى الحرب.. كما يعتقد الأمريكيون حقاً أن شعبان عبد الرحيم.. الذي لا يعرف القراءة والكتابة أصلاً.. قد احتاج أن يقرأ كتاب الفقه وأطروحات ابن تيمية لكي يكره إسرائيل في الفيتة التي دأبت بعد اندلاع الانتفاضة.. أو لكي يعادي أمريكا في أغنيته الجديدة ضد حرب العراق. وهل قد توماس فريدمان الذي رأى بعد ١١ سبتمبر أن العدة لأمريكا يعود إلى «الفكر والحسنة تفسيراً مفتحاً

وتوانٍ ودلالات تركيبة ولغوية شديدة الخصوصية.

أساسيات تكنولوجيا المعلومات والاتصال والتوثيق الإعلامي

محمود علم الدين، محمد تيمور عبد الصب، ٢٠٠٢ ٢٦٦ صفحة



يتصدى الكتاب معالجة الجوانب المختلفة ثلاثاً من أهم الأدوات الأساسية التي يستخدمها الإعلامي في مطلع الكيفية الخاصة وهي المعلومات كأداة خاد للتعلم الإعلامي، وأساليب توفير هذه المعلومات، ثم أخيراً التقنيات الحديثة التي يتم خلالها معالجة تلك المعلومات وتوصيلها وتبادلها خصوصاً مع التقنيات المتلاحقة التي تجرى في هذا القطاع مع تطور وسائل الاتصال بصورة متسارعة.

والكتاب الذي يأتي استكمالاً لأجله المؤلفين الصدمر من قبل «الحاصلات

ويلاحظ المؤلف أن المرأة شغلت مساحة واسعة من شعر «أبوهم» وهو في مناجاته إلى شقيقه الأصغر «أبوهم»، وهو مكرر حينما يشتم منها راحة الكعب والخداع، وهو في فضاءه عنها، يترفع عن الغزل الحسي والتعرض لمخاطر جسدها، وهي عنده مصدر من مصادر الإلهام والإبداع.

وإلى المرأة، فإن التراكيب في شعر «أبوهم» تمثل جانباً محلياً وهو حرص على رثاء من جمعتهم بهم صلة من أمثال الشاعرين علي الجندي والوشوشى الوكيل وغيرهما، كما يكتب في الإخوانيات إلى أصدقائه وشيوخه وأسائنته، وفي الوطنية يريش المجد العربي الضلال في الأنفس، فهو يرى أن الحاشية الأدبية هي وطنية ودينية في آن معا.

أما من حيث الساموس التنبؤي الخاص، فيأخذنا بخارج من اللغة ما يعبر عن لسان حاله من مفردات وتراكيب، ويتنقها بشكل يميزه عن القرانه من الشعراء المعاصرين، فنصحب في الإشارات والمخاطبات الجري لفتح شعره ونصحه، والنظر إلى التشكيلات الفنية وتعامله مع اللغة، لا ينفلج عن تصوراته الأيديولوجية ورويته للثقافة العربية والتراث وكيفية التعامل معه، أن ذلك يقدم المؤلف رؤية فنية لتخصص شعر أبوهم والجماليات التي يقوم عليها من رمز وصور

Gestalt السلوك، والمعالجة الانسرية المنهجية.

أبوهم هام

أحمد سيد شراوى
القاهرة: مكتبة النصر، ٢٠٠٢، ١٠٥ صفحات



يعد عبداللطيف عبدالحليم (أبوهم) واحداً من الحرس القديم الأمداء على ناصية الشعر العربي العمودي بإوزانه ولوافيه، وهو إلى ذلك استأثر جامعي شغل منصب وكيل كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، عضو بالمجلس الأعلى للثقافة ولجانته، وله عدد من الدراسات لثقافة المهمل. أما في الشعر، فهو من طراز «الخوف من الله» فدية عذوب ولوين منها «أبوهم» من الطر، «لؤميات»، «هدير الصمت»، «مقام النسر»، «أغاني العاشق الاندلسي» و«زهرة النار».

عالم واحد كالعالم الغريب

مراجعة

لا يعبران عن حقيقة المرأة الشرقية مثلاً، بل هما غير مبنيين أصلًا، ولذلك لا يتفانيان، بل يتأخران ويتبدلان في المواقع في سياق التشعير عن واقع أوروبا وعن نثرها إلى ذاتها من خلال إطلالتها التخصصية على الآخر وأخبرته، (Othering).

كتاب «جميل شاء، دعوة جدية للانطلاق من أسرار الله، وذاك، والجن، والدعم، أسر ارتفعت أسواره عاليًا عبر مئات السنين من العمل الواعي وغير الواعي، في ذات الوقت، على كدبة امتدت لترسخ وتطال باحقيتها حقيقة، ولي تجد الكذبة، مبدأ أكثر راحة من اللغة لغزها في عتقها واستسلامها، قوتها وضعتها، تلها وعبرها، لذلك، أن الكتاب، حسب رغبة مؤلفه، «دعوة لإطلاق سماء تحريرية، وخلق نبي مقاومة قادرة على إنشاء سردييات مختلفة يكون العالم على أساسها يتبدل للجميع، نقاط التعاليم والخصوصيات القومية والثقافية فيه هي قوتها اتصال أكثر من كونها متاريس لحرب أبدية خفية».

محمد فهد الحج حنين
(مدقق)

الإناسي (المستعمر) وبين موضوعه (المستعمر) بأحواله الموضوع (أى المستعمر) إلى زمن آخر مختلف وهو ما أسماه فابيان «سياسة الزمن». فمن غير المعنى تبخا للزمن، وكذلك على ما يبدو للسياسة، أن يشغل جساماً حمرًا واحداً من الفراغ في نفس الزمن، ولذلك كان لابد من خلق عالم الخلق الزماني المذكور والذي تم على أساسه إنشاء «مخطط وضعت بموجبه ليس فقط لقطاعات الخاضع، بل كالة المجتمعات الحية، بشكل نهائي على منحصر زماني، تيار الزمن، البسط في أعلى الجرى، الجرى الآخر في أسفل الجرى». وقد لاحظ ذلك، غير مسحه أحد كتابه تكراراً في الموضوع لدرجة «تحدثت على الغليان» وكذلك لاحظ تناقضاً ملاحظاً في التوكيدات الأحكام المتناقضة بـ «اللاأبدي» إلى «التبكي الزمان الشرقية في» محقق الحشاشات الغربية من رحلات وروايات وتقارير بين طيات الفصح المفرط والجمل المظهر، القارة البدينية المشينة والإصنام لدرجة الهوس بالثقافة، الشؤن الجنسي والفسوقية الجنسية، تناقض لا يمكن تفسيره من وجهة النظر التي ترى في تعصير الحشاشات الخطأب المستعمرى كأم متجانسة لدرجة الانساق، إذ أن التناقض الراسخ في ليس تعبيراً عن تفكك وضع باقر من غير تعبير عن قوة على التكيف والتأقلم، فطرنا التناقض منا

الأصلي وتزج فضاءها الخاص مستقلة في الشغل البشري على توسيد فضاء استعماري ينشأ عن عيادته فوق البلد المستعمر من جهة ومن جهة ثانية فوق بلد المستعمر نفسه بما يضمن الولاء والاستمرارية لخطوته المستوطنة، ويذا تحول الخريطة الجغرافية إلى شكل من أشكال التعبير عن القوة والسيطرة، فمن يجد على خارطة العالم مساحات بيضاء، باعتارها محو، إنما يعاد العزم على اكتشافها ولصالحها، وإن تكون الخطوط الوهمية للخرائط نفسها، التمثيلية على الورق، سوى التمزيقات الفعلية على الأرض، فتمزيقات على صعد الواقع وعلى الفضاء أيضاً، ومن هنا ينشأ صرح التباين الهائل بين «الهند» و«الهند»، وتتل الجغرافية أحد أهم تعبيراته وأقصرها إصمراً ومضمونية، كونها الأند لتعصبا بالسياسي والدلالة إنها (أى الجنسية) القارة على تشريب المكان بالمعنى بما يسكب دلائل رمزية تشكل وأسته التعريف به، وبما يقع بذاته وأعادة إنتاجه باختراع طريق، «أوقات استراتيجيات يتم بها تكوين الفضاء كاتر، وهو الهياكل المصنوع الأساسي الذي يشكل محور الكتاب وعنده النظم.

سياسة لزمن
عدم علم (الإنوغرافيا)، إلى خلق فارق زماني بين منتج الخطأب

التعامل الواعي مع هذه الجمل، وتوصلا إلى تفتيرات مذهلة في حياتهم. طورت ليلى كوني دى هان شكلاً جديداً للمعالجة النفسية الفسيرة بعد أن اتبعت مختلف أنواع التماثيل والتدريب في الولايات المتحدة الأمريكية وفي ألمانيا، وأقامت بعده بافتتاح عيادة خاصة للمعالجة النفسية والفزيوم المخاطفيسي في ميونيخ.

وفي السبعينيات من القرن العشرين، قامت بعدة رحلات استكشافية إلى عدد من الدول والمناطق منها، نورستان في أفغانستان، ونكزار في كمير، والتب، وعملت بعد ذلك في مجال الصحافة، كما أفضت سنة في الهند، وشاركت في حلقات التعامل الذاتي ومجموعات التجربة الذاتية.

لها عرفت أيضاً بالطب البديل وطرائق المداواة عبر الثقافات، وأضحت لهذا الغرض مدة أربع سنوات مع ابتها الصغيرة ذات الارتفاع الأربع في منطقة الهونو الحرفي هوشول - سرامادري في المكسيك، ونشرت سنة ١٩٨٠ كتاباً بعنوان «العزلة»، وفي سنة ١٩٨٩ «رخص الأبناء الشبيين»، ثم عمت ما بين ١٩٨٩ - ١٩٩٩ في معهد أبحاث التوسيم المخاطفيسي وبين سنوات ١٩٩٩ - ١٩٩٢ في معهد المعالجة المتكاملة، كما تابعت اختصاصاتها في معالجة «الجشاشات»

الاستشراف جنسيا

تأليف إرفين جيميل شك
ترجمة دهر حسن
بيروت: دار دمس للنشر، ٢٠٠٢، ١٠٠ صفحة



لم يصف العالم عن أن يكون مسرحاً للحرب وميداناً خصياً لتدخلاته، وتمثلات الحرب للعالم في تمثيلاته ونفسه، من أنه التي لا تني في شغلها وكدي بها وعالم، وليست فكرة جاذبة أن يكون الحرب قدر الحياة، للشوم بل ربحاً في أدعى للاهتمام، فما يضل بين جنابه الموت يحمل الحياة أيضاً.

إذ أن يك المكان هو الحجز المادي الموضوع فقط، بل مثلاً إلى الخبرة البشرية التي تجعل منه فضاءاً اجتماعياً، فإن الاندفاع الغربي صوب العالم المألوف ما كان دون الإقتران بخبرة بشرية أوروبية تقدم الفضاء

لأسسها ثلاثة وصحة دولية، عوملوا بوحشية ولم تقدم عليهم أي لامتصاص من قبل الفصائل التي تجري في فلسطين المحتلة على أيدي قوات الاحتلال، وهو ما يتأكد من كل سطر من سطور الكتاب.

المناهج الإسلامية ومواجهة مشكلات البيئة

على القاش
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣، ٢٠٠ صفحة



قضايا البيئة وتكلفتها من المشكلات المستحدثة في المجتمع العربي، وهي عنوان وحدة الكون ومشاركة دولة كل اختلاف انظمتها وشعوبها على تباين ثقافتها واستنها على وحدة الهدف والمصير، وقد عني الإسلام بمقابلة وتربية قضاياها البيئية، ودعا إلى حمايتها من السلبيات ومساندة الطبيعة من الانهيار بفعل الملوثات الناتجة عن التقدم والتكنولوجيا. المؤلف يتناول المنهج الإسلامي المتكامل في التعامل مع قضايا البيئة ويشير إلى النصوص القرآنية التي تحض على التعامل الرشيد مع البيئة بكل أبعادها، فضلاً عن الأحاديث النبوية الشريفة التي تعالمت مع قضايا البيئة.

أربعون سنة سينما

محمي درويش
القاهرة: صندوق التنمية الثقافية (وزارة الثقافة)، ٢٠٠٣، ٧٧٠ صفحة



من منصة القضاء التي أنهى فيها حياته الوظيفية نائباً لرئيس مجلس الدولة، انتقل المؤلف إلى قاعات العرض مسرحاً لجهان الرقابة سدوات طويلة، ثم تأنقها بتابع السينما العربية والعالمية على مدى أربعين عامًا.

وكتابت صدر في مناسبة تكريمه من قبل مهرجان القومي التاسع لسينما المصرية ويضم عشرات الفئات والأبحاث المتخصصة التي تلمس سيرته المهنية العالمية طوال عقود أربعة، وبين ما يكتبه المؤلف

لكن إحدى التلخّص المهمة للسينما كانت هي العلاقة بين الكنتة والطاقة، والتي صاغها السينمائيين في معارسته المشهورة: الطاقة «الكنتة» مربع السرعة. ويظهر إلتهاها العلمية الكبيرة، بقدر تناسها الرصية التي انصبت في الحرب العالية الثانية، إلا كان بين تلخّص هذه المعالجة إبراء أنه لا انشطرت ثغرات ثورة البورتريه إلى نواتين لها كتلة إجمالية، فإن هذا سيطق كية هائلة من الطاقة، وكانت هذه الطاقة التي عجلت بمشروع مائشاش الذي قاد إلى تصنع القنبلتين اللتين انفجرتا فوق هيروشيما وناجازاكي في ١٩٤٥، ويرغم أن البعض يلقى بالكتلة على إينشتين في هذا الصدد لاكتشافه العلاقة بين الكتلة والطاقة، فإن الشايب تاريخاً أن إينشتين أصابه البروع عند إسقاط القنبلة الذرية.

ولم تنفك نظرية النسبية مع نظرية الجاذبية ما دفع إينشتين إلى محاولة إيداع علاقة بين الجاذبية وانحناء «الزمان» أي هندسة الزمان المكان والتي غيرت كثيرًا من المفاهيم حول أصل ومصير الكون. وتعملي النظرية العامة للنسبية عند إينشتين شكلًا لائقا سعي هو إلى توفيقه مع نظريته الأخرى المجهة عن الكم، والتي يفيد ما طرحه ماكس بلانك وماكسويل في إيضاحها على نحو ما يرى المؤلف، كما يفي ذلك في تفسيرها نظرية الأوتار الفائقة.

المفصول الخمسة التالية تفسر عددياً من التقاربات العلمية عن الكون ونشأته ومستقبله.

رام الله التي عشتها حصاراً

حالد نادر
القاهرة: دار مصر للحرس، ٢٠٠٣، ١٧٢ صفحة



المؤلف هو مراسل جريدة الأصرام المصرية حاليًا في واشنطن، وكتابه تجربة ذاتية عيشها في مدينة رام الله فلسطين لمدة سبعة أيام قبل عملية السور الحادي التي أبدعتها حكومة إسرائيل شارون في ٢٩ مارس ٢٠٠٢، انتقل المؤلف إلى رام الله الفلسطينية التي ارتكبها جيش الاحتلال الإسرائيلي والمجازز التي راح ضحيتها عشرات الفلسطينيين من الأبرياء، بينهم نساء وشيوخ وأطفال.

والكتاب في جانب كشفه لهذه المعاناة، يمحيط الخاطم عن كتبه دولة إسرائيل الديمقراطية، والتي تشير إليها معاناة الباحثين عن الحقيقة من الضحايا معاضات وإعلاميين وصورين ولغات فضائية عربية وأجنبية، وحتى مظلمين

والشعبي فيما يبدعون من أمثال إميل حبيبي ورشيد بوهدر وجبال الجبلاني والطاهر وطاهر وجبيل الطاهر وسعد الله وسوس وجبيل الصديقي، فإنه يتصل ما عا أن إيان إيان مؤلة وأعمالهم أن يعلقوا ما يردون دون نهوض وطني تقمى، يفتح الاستقلال والديمقراطية على النشوات المختلفة.

إلى ذلك يقدم المؤلف دراسة مهمة في مسرح سعد الله ونوس، ويرى قدرًا من عدم الختاش في بعض منظومات ونوس تجاه القضايا المختلفة، كتبه يتنير إلى أن أعماله تبقى خصوصًا خلافة من أجمل نصوص المسرح العربي، بقدرتها على الفوص في تحولات النفس البشرية ومشكلاتها. كما يقدم دراسة في عزلة الفن التشكيلي والتي يردها إلى الأساس - إضافة إلى أسباب فنية أخرى - إلى أن ضائبا لم يتوجهوا إلى الإنسان وإنما إلى نموذج الإنسان كما قدمته الحضارة الأوروبية، ويرى أن على الفنان أن يعيد النظر في توجهاته وفي عمله، بأحد أن مثله الحقيقي للآزمية.

الكون في قشرة جوز

مستأن موكنج
ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي
الكون عالم المعرفة، ٢٠٠٣، ٢٢٠ صفحة



المؤلف هو صاحب كتاب «تاريخ موجز للزمان» الذي ظل في قائمة أكثر الكتب مبيعا بصحبة إصدارات تايمز. لما يزيد على أربعة أعوام وهو يفتح على قارئه أن يبدأ بالفصلين الأولين بوصفهما أساسا للنشوء الكونية التالية، التي يوسمه أن يتتبع بينها بعدد تلك الفترات الذي يراه. يشرح المؤلف في الفصل الأول وغير ملقحة السيرة الذاتية للمفاهيم الفيزيائية الحازة على جائزة نوبل (١٩٢١)، «ألبرت إينشتين»، نظريته الأساسية: النسبية والكم، وفي الأولي يحضر إينشتين الفكرة القائلة بوجود مية مظلمة تحسم الزمن تقسمها كل الساعات، وتطرر بديلاً لها فقرة الزمن الشخصي الذي يختلف من شخص لآخر، ويصفق هذا الزمن لدى قريب إذا كان في وسط السكون أجهما بالنسبة لآخر، لكن الزمن لا يتوقف إذا كانا يتحركان، ويهده النظرية التي يرهها بمعادلات رياضية عمدة، نمر إينشتين مظلمين من مطالقات بعد القرن التاسع عشر، وهما السكون المطلق الذي يصله الأثير، والزمان المطلق أو الكلي الذي تقبسه إسهاعا كها، وتكادها، اكتسبت النظرية أبعادا فلسفية أصانة، وتعامل كخيرون عا إذ كانت الأخلاق بدورها ما تسمية وأنه لا يوجد مية أخلاقية مطلقة؟

الإلكترونية وتكنولوجيا الاتصال، ١٩٩٦، والمعلومات وتكنولوجيا الاتصال، ٢٠٠٢، وهو يتألف من أبواب أربعة، يعرض الأول فيها تحليلاً للمفاهيم والمصطلحات الأساسية للمعلومات، ويخص الباب الثاني بالتاريخ وتطوُّراته الإعلامية والنظام الكفاء للمعلومات الشخصية، ويعرض الباب الثالث لتكنولوجيا المعلومات وأهم جوانبها وهي الحاسبات الإلكترونية وتكنولوجيا الاتصال وشبكة الإنترنت، ويخصص الباب الرابع لبعض الإشكاليات التي تلجدها التطورات الرامية في تكنولوجيا المعلومات والتأصيل.

قضايا النقد والإبداع العربي

سيد البحاروي
القاهرة: هيئة قصور الثقافة، ٢٠٠٣، ٩٠ صفحة



وجوه عدة من أزمة النقد والإبداع والسينما والتشكيل يظهرها المؤلف عبر عدة عناوين رئيسية هي: إلى المنهجية النقدية، وجوه من أزمة المنهج في النقد العربي الحديث، وجوه من أزمة الإبداع، السيميائية، وعزل الفن التشكيلي. وتحت العنوان الأول يتعرض لأزمة المصطلح النقدي التي يشكو منها النقاد والفراء على السواء، ويشرح لتجاوزها عدة نقاط: منها الإهتمام بالنظريات النقدية في مراحل التعليم المختلفة وزيادة الوعي الفلسفي، والإهتمام بتدريس السلطات الأجنبية، والعمل على نقل اللغة العربية، ومنها إنشاء مؤسسة عربية موحدة تكون إسهاماً لإنجاز ما يتفق عليه المختصون في الأقطار العربية من ترجمات.

والمؤلف لا يبرأ أصلاً في تغيير قريب للواقع النقدي الماروم، بل يرجع أن مزيداً من التفرغ سيقع، على فريق الفكر النقدي مارال غير قليل، وأن يستطيع تكوينه الطيفي والأدبي أن يحدث التلقاة المطلوبة، ويتناول المؤلف في دراسة مطولة الأدبية الذاتية في النقد العربي الحديث في مصر طرعا نماذج لأصحابها، ويشير إلى نتائج موصلة ثمرة نخلص حاد في الفترات الذاتية يقول: إلى الإهتمام على أنقذ الغير دون وعى بدرجة مريحة من الاستسلام - معاصرات الآخر (الأوروبي) كانت تحلق مزجاً من القمع الذاتي والإهمال الذاتي على تلك الوقت، سواء كانت هذه الهامسات على أرض الوطن أو على أرض الآخر، وفي حديده عن أزمة الإبداع، وعود سره لنماذج من المبدعين الجاهدين المخلصين لشعوبهم بالعربيين عن ضوحت أولاهم، تتقدم إلى الفترات الرسومية

Adventures and Exiles.. The Great Scottish Exodus

(مفكرين ومثالي الخروج الإسكتلندي الكبير)

Marjory Harper
25 00Profile, 2003, 384PP.



كثيرة هي الكتب التي تحدثت عن الهجرات الأيرلندية إلى العالم الجديد. إلا أن هذا الكتاب يتحدث عن هجرات كبيرة أخرى للإسكتلنديين الذين عاشوا مغزيرين مكرمين في بلادهم بعكس الأيرلنديين في القرون القليلة الماضية. ويشير الكتاب إلى أنه منذ بداية القرن السابع عشر بدأت رحلة الخروج الإسكتلندية من البحر البريطانية وفي القرن التاسع عشر وحده هاجر ما لا يقل عن مليوني إسكتلندي من بلادهم. ومع أن الأيرلنديين يحتلون بلا منازع الجزء الأول من الهجرة إلا أن الإسكتلنديين يتفوقون على الإنجليز في حب الهجرة إلى بلاد جديدة وعوالم أخرى. وقد حاول المؤرخون أن يشرحوا على الأسباب الحقيقية وراء هذا الخروج الإسكتلندي وقال بعضهم إن الخروج كان إجبارياً وليس اختيارياً. فالتفوق الاقتصادي حثمت هذه الهجرة فقد طلع الإسكتلنديون إلى العالم الجديد في الوفرة والغنى والبركات العالمة.

لقد قد الإسكتلنديون يهاجرون مدفوعين بدمل أن يصبوا أغنياء مثل أبناء جلدتهم الذين سوفهم. ويورد الكتاب أمثلة كثيرة لهجرات إلى أمريكا وأستراليا وغيرها من دول العالم الجديد. وقد نقل الإسكتلنديون عائلاتهم وتقاليدهم إلى العالم الجديد إلا أن أهم ما نقلوه كما يقول المؤلف هو حيول للمساواة وتطعيمهم إلى الحرية.

Maggie: The First Lady

(ماجى السيدة الأولى)
Grenda Maddox
17.99Fodder, 2003, 288PP.



باستثناء ونستون تشرشل لس هناك سيمى بريطاني في القرن التاسع عشر من مارجريت تشارش. فقد حكمت تلك السيدة التي اشتهرت باسم السيدة

المعمدة البريطانية إيما ماغوس الشابة الرومانسية الجميلة المعيلة في السودان. وقد ولدت إيما في الهند عام 1914 وعادت لتلقي تعليمها الجامعي في إنجلترا وفي اسكوتلندا اكتشفت أفريقيا من خلال الواقع في حب الإثارة وبدأت تهتم بالقصص المروعة من الحروب الأهلية والحلقات العبودية في أفريقيا خاصة في أوغندا والسودان. وحصلت إيما على وظيفة في منظمة خيرية صغيرة تسمى منظمة أطفال الشوارع الدولية في جنوب السودان. ومعظم الكتاب يتناول الأعمال التي قامت بها إيما في جنوب السودان وقاعها عن الجنوب السوداني ثم وقوعها في حب ريك. مشار أحد قادة التمرد في جنوب السودان. لقد تزوجته رغم أنه متزوج ورغم أن مشار تحول إلى مسلمة لا يتورع عن استخدام إشيع الأساليب ضد خصومه إلا أن إيما بلغت عنه. وأصبحت لا تلتزم أحدًا منها ولم يعد تصدقها البريطانية أنها أصبحت سودانية. لقد دخلت إيما طرقاً في الحرب الأهلية في السودان. ثم وقعت حادثة مفاجئة أكرما وهي حادثة سيارة ماتت على إثرها. وشيع جنازة آلها السودانيين. وتزوج مشار زوجة بيضاء أخرى واستمرت الحرب تحصد مئات الآلاف. وكانت إيما تطلعه في حبرها.

70 Not Out

(في السبعين ولم يته)
William Hall
Blake Publishing, 2003, 304PP.
16.99



يتناول هذا الكتاب حياة الممثل البريطاني 'الووليوودي' الشهير مايكل كين الذي بلغ السبعين من عمره هذا العام وهو الممثل الذي فاز بالبريطانيا ومنحته الملكة إليزابيث ملكة بريطانيا لقب فارس كما هو جوائز أخرى عديدة.

وهو يتحدث عن حياة مايكل كين منذ ولد في جنوب شرق لندن عام 1933 ورغبته الشديدة منذ الصغر في أن يكون صاحب ثروة. الأمر الذي جعله في بداية حياته المستغنية قبل أن يتركها ليعمل في الدفاع عن لندن كسرعان ما حقق النجاح الأبي والمادي. وتوفى المؤلف عند نقطة خاصة بعلاقة كين بمسقط رأسه بريطانيا. لقد نشر هجوم على البريطانيين وصفهم بأنهم من الخاسرين وأنهم يكرهونه لأنه ناجح وقال إنه رغم فوز بريطانيا خلال النكاد البريطانيين سنوا ساكنهم لنجد.

A Married Woman

(سيدة متروجة)
Manju Kapur
10.99Faber, 2003, 310PP.



مؤلفة هذه الرواية هندية تتحدث فيها عن زوجة هندية عابرة وخولها معترف الحياة مع زوجها وأسترها بعد أن تربت في أسرة تقليدية. إن هذه الرواية تمثل الهند بصفتها المعروفة في مقدمتها الصبر والتمساح والرجح والشعور بالأسباب أو الإحجام. وقد وجدت هذه الشابة الهندية من رجل هندي مناسب طموح حاصل على درجة علمية من الولايات المتحدة وتتناول الرواية رحلة هذه السيدة منذ كانت فتاة لا تحمل أي مسئولية في زوجة أربكت مشاكل الحياة وتحاول أن تكون زوجة واثقة ونشيطة في أسرة أكبر. وتفسير الرواية إلى أن هذه الزوجة كانت معادية بارومتر للتغيير الاجتماعي في الهند فقد أربكت أن العاصمة دلهي لم تعد مدينة الحداثة والهواء النقي بل تحولت إلى مدينة مزدهمة وغاية في الفوضى والفساد والجماعية والسياسية. وشهدت هذه الزوجة أيضاً تصاعداً القوة الاقتصادية الأمريكية في الهند بعد أن كانت بريطانيا هي القوة السائدة في الهند.

من خلال الرواية تبدو البسطة أراه كثيرة حول الطعام والملابس والمواقف ومدى تغيرها في الهند اليوم. إن هناك أمورا كثيرة تغيرت في الهند يمكن للقارئ أن يراها من خلال قراءة تلك الرواية التي خلقت باهتمام كبير في بريطانيا.

Emma's War: Love, Betrayal, and Death in the Sudan

(حرب إيما في الحب والخيانة والموت في السودان)

Deborah Scroggins
Harper collins, 2003, 220PP.
17.99



هذا الكتاب يعالج قضية يمكن اختزالها في أنها عائلة العالم الغنى بالعالم الثالث. عالم الوفرة بعالم الحرب والجوع واللاخين ومع ذلك فهو يعالج قضية شخصية إنه يتحدث عن قصة

الحديدية بريطانيا من 1979 حتى 1990. وأشاعت في العالم مذهب الليبرالية الجديدة بالمراسلة مع الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان. ورغم استقلاليتها القليلة التي أجبرها عليها كبار حزب المحافظين البريطاني الحاكم آنذاك، والتي كانت هي أول من بدأ بديمقراطية السلطة، فإن تشارش أثارت لها كلفة في حزب المحافظين. بل إن أي تصريح سياسي لا يتحمل حيزاً معتزلاً في الصفحات الأولى من الصحف العالمية. وهذا الكتاب وضعته مؤلفة لكي يتحول إلى برنامج وثائقي تليفزيوني من أربعة أجزاء بثته شبكة 'بي بي سي' البريطانية مؤخراً ويتناول الكتاب والمراسلة سيرة حياة مارجريت تشارش ابنة البقال التي دخلت جامعة اسكوتلندا ودرست العلوم. ثم تحولت بعد سنوات قليلة (في الخمسينيات) إلى السياسة ثم أصبحت عضواً في مجلس العموم في وأصلت مسودتها السياسية الصاروخية لتصبح وزيرة للتعليم في أوائل السبعينيات إلى أن انفذت زعامة حزب من إدوارد هيث ثم فازت بالانتخابات العامة بعدد 1979.

كما يتحدث الكتاب عن زواجها عام 1961 من ديس تشارش التي أخذت منها لقبها لكنها طغت عليه وأصبح زوج السيدة ويكشف عن مدى استياء ديس من اشتغال زوجته الشديد بالسياسة على حساب الاهتمام الشخصي به.

Blood Against The Snows

(جرائم ضد الثلج)
Jonathan Gregson
Fourth Estate, 2003, 240PP.
8.99



ملكة جمال الغربية جافرا من الهند معروفة على مدى تاريخها بمزاج العصر لكن الأحداث التي وقعت في أول يونيو 2001 لم تخفيها لحد. فقد قام الأمير ديبيندرا ولي العهد بإطلاق النار على 9 أعضاء الأسرة المالكة فارتفع قتلى بين أبنهم وأمه وشقيقه كما استدار وقتل نفسه.

وقد وصل مؤلف هذا الكتاب إلى العاصمة كاتماندو بعد أيام قليلة من الحادث للتحقيق وأول أن يرسوم صورة قلمية لتفروفي التي أدت إلى وقوع الكارثة. والنتيجة هذا الكتاب الذي يمزج بين البحث والتحقيق الصحفي والعودة للتراث. ويشير المؤلف إلى أنه منذ أعلن نريان شاه نفسه ملكاً على نيبال عام 1979 فإن سلك الدماء والصرار والتسلق من سماء هذه المملكة فهناك الإمتثال للحاكم والناظر والتعفي.

وسريعة من الشرارة والإلقاء شامخا مثل مرض البوليميا الذي يصيب بعض الناس من جراء الشرارة في استهلاك الطعام ثم التخلص منه بالقلى من أجل استهلاك المزيد مرة أخرى.

Letters to a Young Activist

(رسالة إلى ناشط شاب)

Todd Gitlin
Basic Books, 2003, 192PP.,
\$ 22.50



يحمل المؤلف استلا للثقافة والصحالة وعلم الاجتماع جامعته في نيويورك وكاليفورنيا، كما كان رئيسا لحركة الطلاب الأمريكية التي اشتهرت في الستينيات باسم «طلاب من أجل مجتمع ديمقراطي». من هذا الكتاب يستخرج المؤلف روح النشاط السياسي الاجتماعي التي ميزت شباب الستينيات، ويوجه نصائحه لتجديد الجديد لكي يستكمل النضال بالاشغال السلمية، فهو يشجع شباب النشطاء على التركيز على التغيير، باعتبار أن المحافطة تعني عدم التغيير ولو كان في الأفضل. وهو يوصيهم بالتخلي عن انتماءاتهم والعمق التاريخي والإيمان ويركز على الجمع بين المثالية والواقعية، وبين حب الوطن والإصرار على تحقيق العدالة الاجتماعية. وفي النهاية بين الناشط المخضرم كيف أن الحركات الاجتماعية لا تستمر إلا بغير كثير من الإخلاص والالتزام.

The Clinton Wars

Sidney Blumenthal
Farrar, Straus, & Groux, 2003,
822PP., \$30.00



المذكرات الشخصية لسيدني بلومنتال، أحد أهم مستشاري الرئيس كلينتون في فترة الرئاسة الثانية. فهو كان يعمل «الفراس الأول» في بلاط كلينتون إن جاز التعبير، وكان مسؤولا عن كتابة خطاب رئاسية ومذكرات سياسية مهمة. تخفى مذكراته على بعد كلينتون الذي يشهده بعد الرئيس فرانكلين روزفلت،

روسا لدى توليه السلطة في عام ١٩٩٩، أنه الرجل الذي دفع روسيا إلى حرب جديدة في الشيشان وأن مؤمن بضرورة أن يعود النظام لاصرام إلى روسيا التي تكاد الفوضى أن تدمرها.

وتقوم المؤلفة خلال صفحات الكتاب بعمل ميويا سياسية للعلماء الأولين من حكم بوتين حيث تتبعت قانون الأحداث وقامت بتعطيلها وإيلاء الرأي فيها. ومثل معظم المراقبين الروس، تنمو المؤلفة متشككة بشأن بوتين إلا أنها أظهرت دعما لسياسة الخارجية بعد ١١ سبتمبر عندما أتت سياسات بوتين الداعمة لوافشطن إلى فتح ثأري السيرة الفكرية لعضوية روسية ليصبح نادي الثمانية الكبار. ويعتقد المؤلفة أن التحدي الأكبر الذي يواجه بوتين هو أن يجعل روسيا تقاوم رغبته التاريخية الطولية في شخصنة السلطة واستباحة إلى رجل واحد. فهل يجرب بوتين؟ مع الملاحظة أن خصومه يتهمونه بتكرار السلطة بين يديه.

Fashion Victim: Our Love-Hate Relationship with Dressing, Shopping and the Cost of Style

(مصحبة الموضة: الحب والكراهية في علاقتنا بالملابس والتسوق وشراء الثياب)
Michelle Lee
Broadway Books, 2003



تسلط المؤلفة الضوء على ظاهرة سلاسل محلات الملابس التي تنتشر في أرجاء في أنحاء العالم، وتقضيها بظاهرة الماك-موسه، وهي نفس طريقة سلسلة مطاعم ماك-دونالدز التي تقدم نفس الوجبة في أرجاء معظم مدن العالم. تقدم المؤلفة الفضة محلات الملابس الشهيرة نوقا مودا وقطع ملابس متشابهة في مئات الفروع حول العالم، ويؤدي هذا النمط من بيع الملابس إلى عدة مشكلات تتجلىها المؤلفة في كتابها من حيث التسوق الخائيف في الزنى الذي تخلفه بين أفراد العالم. فهي الرغف من أن الإنسان يميل إلى التميز والفرق وإنه يجب درجة من التجانس والانتماء للجماعة، إلا أن الذي يتحقق إلى حد بعيد هذا بفضل هذه المحلات التي تبيع سلاسل مطابقة في أرجاء المعمورة. كذلك تقوم فلسفة هذه المتاجر على تخفيف تزعج الاستهلاك السريع والمتكرر الذي يصل إلى مراحل الزمان. حيث تعمل هذه المتاجر على تغيير الموضة بشكل سريع يجعل من الملابس التي تباع في شهر باعثة للظلال ومتخلفة بعد ثلاثة شهور. وبالتالي تقوم دورات قصيرة

كيف استطاع المستكشفون البريطانيون مساعدة جيش مونجغري في حسم معركة المانشو الشهيرة التي غيرت مجرى الحرب العالمية الثانية.

Ungrateful Daughters.. The Stuart Princesses who Stole Their Father's Crown

(بنات جاحدان. اميرات ستيوارت اللائي سرس عرش أبوهن)
Maureen Walr
8.99London, Sceptre, 2003,



في عام ١٦٨٥ وعقب وفاة تشارلز الثاني تولى أخوه الكاثوليكي جيمس عرش إنجلترا. وبعد ٣ سنوات فقط كان جيمس في طريقه إلى المنفى في فرنسا بعد أن أصبح وليام أوف اورانج ملكا. ولد لعيت ابنتا الملك جيمس دولورا بارزة في هذا الانقلاب الكبير بكل المقاييس. وقد اختارت ماري أن تخلع أباهما وتخضع إلى وليام، الذي تزوجته، والكثيرة الإنجليكانية بعد أن حاول جيمس إحياء الكاثوليكية في إنجلترا. ومن جانبها، علقت الأميرة آن، التي خلعت وليام في العرش، أن تشرشر الإشاعات والافتراء حول والدها بل إنها تخلت عنه في لحظة التي كان في أمس الحاجة إلى مساندة بناته. ويتناول الكتاب تأثير الدين في هذا العصر الذي شهد صراعات ومعارك دموية راح فيها مئات الآلاف بسبب الانتماء الديني.

Putin's Russia

Lilia Shevtsova
Camegie. Endowment, 2003,
14.75298PP.,



روسيا اليوم محكومة، كما تقول المؤلفة من جانب رجل يراود الحيوان وصاحب ماض في جهاز المخابرات السوفيتية السابق كي جي بي. وكل ما كان يعرفه العالم عن فلاديمير بوتين رئيس

وعودة إلى الأحداث الخريبة. يقول المؤلف إنه بحلول تسعينيات القرن العشرين سارع الملك بيرتروا بالتحول إلى الديمقراطية التعددية والملكية الدستورية بعد أن كان ذلك يقترب من الزوال إلا أن ذلك أظهر أبنة الأمير بيجاندار، الذي تلقى تعليمه في أشهر مدارس إنجلترا (إيوتون) بالاجتباب وأن دوره كملك في الانتظار تحول إلى مراسيم يوكسيلي من استقبالات وزيرات. إلا أن الكتاب يشير إلى أن دوافع القتل قد تكون أكثر تعقيدا من ذلك وهناك من يقول إن السبب الحقيقي هو رفض والدته الملكة أن يتزوج من المرأة التي يحبها.

The Lost Oasis: The Desert War and the Hunt for Zerzura: The True Story Behind (The English Patient)

(الواحة المفقودة: حرب الصحراء والبحث عن زرورة: قصة الحقيقية وراء المريض الإنجليزي)
Saul Kelly
Westview, 2003, 312PP., \$26.00



منذ سنوات قليلة، ظهرت رواية المريض الإنجليزي، ماحدثت صفة أدبية بلورزا بجائزة «بوكر» البريطانية، ثم أحدثت نفس القصة التي تدور أحداثها في صحراء مصر الغربية ضجة سينمائية بتحويلها إلى فيلم سينمائي بعنوان «المريض الإنجليزي». حصص عددا من جوائز «الوسكار» الأمريكية. هذا الكتاب لا يتحدث عن الرواية الخيالية التي نسجها المؤلف وإنما يتحدث عن القصة الحقيقية وراء الرواية، والتي كان لها دور مهم في تاريخ الحرب العالمية الثانية.

يؤكد الكتاب على أن بطول الرواية المستكشف الجوى لويستلاوس للملبي كان شخصية حقيقية (سعى مطار المظلة في اسمه). وكان الملبي ضمن عدد كبير من المستكشفين الأوروبيين المجهولين بالصحراء الليبية والغازها. وفي الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية كان أهم لفر هو لفر واحدة زرورة التي حاول الملبي استئصال إليها. بل إن هناك ناد للمستكشفين كما يبين الكتاب يسمى «نادي زرورة»، ولكن بعد إعلان الحرب تحولت المهمة من فصة مستكشف إلى فصة عسكرية واستكشف على أعشاء هذا النادي كل حسب مفكره السياسي. وكان الملبي من الجيش البريطاني في أفريقيا واستغل معلوماته عن المنطقة في الخطط العسكرية وفي التنويه على الأعداء. وبين الكتاب

العلم وحده سيحقق الكمال الإنساني كان اعتقاداً وهما ساقه إلتذاً اجتماعيون مثل أوجست كوت وسان سيمون، أما القادة وما شابههم، فبمى جرى أن فكرها لا يخرج عن نفس القلب، إذ يعتقد بأن أنه بتطبيق شريعة القلب، الإنسان يستطيع تحقيق الكمال الإنساني. بل إن جرى يرى أن جزءاً لا يتجزأ من ظاهرة الحضارة فى مراحلها الأخيرة، خاصة مع خليفته كرجل أعمال سعودي يستخدم أدوات الحضارة فى عدم مبالئها.

The Wages of Sin

(حروب المستشارين المصحفين)

Bernard Ingham

John Murray, 2003, 261PP., 18 99



بعد ١٢ عامًا من إصداره مذكراته التي كانت بعنوان «القلل المرسل»، عاد السبيل برنارد إنجهم المستشار الصحفي لريشة الزهور البريطانية السابعة مارجريت ناتشر إلى الساحة مرة أخرى بهذا الكتاب الذي يدافع فيه عن زملائه الذين يعملون كمتحدثين أو مستشارين مصحفين حكوميين والذين يعتقد أنه جرى تهميشهم من جانب المؤسسات الصحفية الذين جاء بهم نوهى بيلير رئيس الوزراء البريطاني من خارج المؤسسة الحكومية. ويقول إنجهم أن هؤلاء المستشارين الجدد فشلوا في إبراز الخط الفاصل بين الحزب الحاكم والحكومة، فوظيفة المستشار الصحفي أن يدافع عن أعمال الحكومة وليس عن الحزب أى أنه لا يتورط فى نزاعات مع الأحزاب الأخرى، لكن هذا ما يحدث حالياً من جانب المؤسسات بيلير المصحفين. ويقول المؤلف إن تاريخ ظهور هؤلاء المستشارين الجدد، الذين يفعلون كل ما بوسعهم لتجميل صورة ويليسهم بأى وسيلة أخلاقية أو غير أخلاقية، يعود إلى ١٩٩٧ أى منذ تولي العمال السلطة فى بريطانيا، ويشير إلى أن المتحدثين المصحفين الذين يعملون فى الحكومة تحصرهم أنواع وأخلاقيات محدودة بعكس المستشارين المصحفين الذين يتدخلون على سبيل المثال ويهاجمون ويتحدون الأحزاب الأخرى مع أن هذا ليس من عملهم لأنه من المنظر أنهم ليسوا حزبيين. ويشير المؤلف بهجوم بشكل خاص على سبيل المثال المتحدث باسم بيلير الذى يمدد من القوى المساعدين لرئيس الوزراء البريطانى.

Ultimate Fitness: The Quest for Truth About Exercise and Health

(الرشاقة المثلى: البحث عن الحقيقة فيما يتعلق بالرياضة والصحة)

Gina Kolata
Farrar, Straus, & Giroux, 2003, 290PP., \$24 00



تصدى جينا كولا، الحرة العلمية لصحفية نيويورك تايمز، لنخضم التصالح والدعاوى الهائلة من الرشاقة والصحة البدنية والقيام الرياضى التي تزدهم بها الثقافة المعاصرة، فى محاولة لفرز «الحذر العلمية القليلة من بين جبال التفانيات». فقد وجدت بعد التدقيق والتحقيق العلمى أن أغلب ما هو مقبول من معلومات عن الرياضة والرشاقة يتخوى على مفالطات ومزاعم باطلة. ويقدم الكتاب إلى جانب ذلك، تاريخ الاهتمام بالرياضة البدنية منذ اليونان القديمة وفى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأخيراً فى القرن العشرين الذى ظهرت فيه موضوعات الجرى الخفيف، ورفع الأثقال، دم الأيروبيكس فيما بعد، ورفع الأثقال بعد ذلك. إلخ. ويبحث الكتاب أيضاً فى الصناعات التي تقوم حول الرياضة البدنية وتحسين القوام والصحة، فكثير من الأحيان يتم استغلال الصناعات الطبية والعلمية لأسباب دعائية وتسويقية بحثة

Al-Qaeda: And What It Means to Be Modern

(القاعدة ومعنى الحديث)

John Gray
Faber & Faber, 2003, 145PP., 10 99



يقدم جون جراى استلا الفكر الأوربي فى كلية لندن للاقتصاد ومؤلف كتاب الفهر (الكتاب) وكيف أنه عالة لتعليم القاعدة وهجمات سبتمبر يتحطم أسطورة الحضارة الكاملة التى سيطرت على العقل العربى لمدة طويلة. فهو يرى أن حركات الإسلام الدولية المتطرفة ما هى إلا عرض من أعراض مرض تعتقد أنها جاءت لتعالجه.

ويعين جرى كيف أن الاعتقاد بأن

بين كتب الفن، تسجل نيتيونس للمراحل التي يتم تجاوزها فى عمر الزهرة وهى مراحل التفتح الأولى ومرحاح البلور الأخيرة، فهي ترصد لنا نوعاً خاصاً من الجمال والفرقة فى الدورة الكاملة لعمر الزهرة. وهى ترضى لنا تقدم لنا الزهور فى تلك اللحظات بيس باعتبارها زينة، ولما باعتبارها كائنات حية لنا نقرها.

God's Secretaries: The Making of the King James Bible

(كيفية الرب: عملية إعداد نسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس)

Adam Nicolson
Harper Collins, 2003, 281PP., \$ 24 95



يتناول الكتاب الظروف والملازمات التاريخية التي تم خلالها إعداد نسخة «الملك جيمس» من الكتاب المقدس، وهى تلك عام الترجمات الشريكات الأمريكية الملكس، حتى أن صياغتها اللغوية والفانظا الشعرية لها أصداء قوية فى أشعار شكسبير وميلتون وإلى. إلخ. يبدأ الكتاب بقصة الملك جيمس، وهو جيمس السادس ملك سكوتلاند، وأيضاً جيمس الأول ملك إنجلترا، فقد كان همه الأول هو الحفاظ على وحدة بريطانيا التى استطاع أن يحافظها أخيراً. ومن أكبر التحديات التى واجهته، ذلك الشقاق الدينى بين البروتستانت الإنجليز والبروتستانت المسطهرين والروم الكاثوليك.

ويرى المؤلف أن دفاع الملك وراء الإقام على تلك الترجمة المضطحة بعد توليه العرش بسنة، عام ١٦٠٤، كان دافعا سياسياً أراد من ورائه التقريب بين الجماعات المسيحية المختلفة فى وطن تتجعب فيه سلطة الدولة مع سلطة الكنيسة. وقد كان المخطوون (أو المخطوون) يخطون نسخة جنيف من الكتاب المقدس، بينما الملك كيف تم تعيين ستة فرق للعمل بضم كل منها ثمانية من العلماء بالإضافة إلى ستة من المرابطين. وقد قام بتجميع معلومات كثيرة عن بعض هؤلاء الأشخاص، بأبلى بعض الأحيان بين غرائهم الحضارة وبين الفاعل تلك الترجمة من الكتاب المقدس، فضلاً لحد القترجمين من أن كتاب عن جزيرة مومينغيا فى الكاروبى، فوجد المؤلف أن وصفه لجمالها يشبه إلى حد بعيد وصف الجنة فى الجزء الأول من ترجمة الكتاب المقدس.

الذى طغى مظلته على كل الرؤساء الذين جاءوا من بعده. كما يشبه السيدة هيلارى كلينتون بأن دورها كان ماثلاً لدور روبرت كندى أثناء رئاسة جون كيندى، وإنه يلوح دور أى سيد أولى أخرى فى تاريخ أمريكا.

تمر المذكرات على جميع المحطات الرئيسية من عهد كلنتون من مضحية وايت وورنر إلى مونيكالونيكس وغيرها من الحروب والتحديتات التى واجهته مع المحافظين.

Jennifer Government: (A Novel)

(جيمر حكومة - رواية)

Max Barry
Doubleday, 2003, 336PP., \$19 95



رواية خيالية سياسية، من نوعية المستعمل الغريب. تصور أحداثها فى العهد الذى تحدث فيه الشركات الأمريكية العملاقة العالم كله، تتولى إدارة شؤونه وحكمه حدثاً سياسياً مباشراً، ويتخذ كل مواطن من اسم الشركة التى يعمل فيها كلقب العائلى. كما تتحول الدول القومية التى كانت مستقلة (مثل إسرائيل التى تصور فيها الأحداث) إلى أراض أمريكية تابعة. فتحدث الحكمة على محطه من الفكرة التى تمثل الحكومة الأمريكية اسمها «جنيفر حكومة»، تقوم بتعقب جريمة تركبها شركة «ماند» للاحذية فى إطار حدة موسقة يلتفها «هناك تايك».

Flower Portraits: The Life Cycle of Beauty

(نورت بياتات الزهور: دورة حياة الجمال)
Joyce Tenneson
Bulfinch press, 2003, 200PP., \$ 50 00



تدير الصورة للفوتوغرافية جويس تينيسون أعمالها فى كتابها هذا إلى جيمر، بعد أن تضرر كتابها السابق عن وجوه النساء العالقات فوائده الأكثر مبيحا

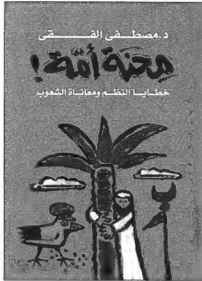
التغيير المطلوب في أنظمة الحكم العربية

يجب أن يخضع لصود العمر الافتراضي لحساس البشر في المنصب الواحد، فإذا ما تجاوزوه ففقدوا الصلاحية الذهنية وأصبح عملهم تركزاً رتقياً ليس فيه وجود للمبادرات الخلاقة أو الأفكار الجديدة، فضلاً عما يملئه ذلك من جنسية على الأجيال الجديدة وحرمانها من فرص عادلة وهو ما يجعلها بحق مثل من يسكن «الدور المسحور» في النباتات الكبيرة والذي لا يلقف عنده المصعد ويتجاوزوه وصولاً إلى الدور المحددة!

٣- إن حيوية النظم مستمدة أساساً من تدفق الدماء الجديدة وجذب العناصر المميزة والحملة البهجة ضد الفساد المالي والإداري بل والسياسي أيضاً، لذلك فإن النظم التي تعتمد على الدوائر المغلقة لا تخرج منها العناصر المتحررة بسهولة ولا تدخل إليها العناصر القادرة إلا بصعوبة أيضاً بحيث تبدو في النهاية مثل البحيرات الراكدة التي لا تتدفق إليها مياه من المحيط ولا تخرج منها مياه إلى المنصب.



.. إن الشهور الماضية بما أفزته من شعور بالهوان وإحساس عميق بالثمن الباطل والفاخرة الفاضلة التي ندفعها نتيجة للانظمة القلبيّة والروتر الحكم المغلقة تدعونا اليوم إلى المضي نحو عملية إصلاح شامل لا تتجه إلى تغيير الأفراد بل قدر ما تتجه إلى تغيير السياسات وإنماط التفكير وأساليب الإدارة لأن السبب الرئيسي وراء عجز الدول العربية في السنوات الماضية هو إخفاقها في إدارة الصراع العربي الإسرائيلي إنما نجحت كلها من تعطيل برامج الإصلاح وتوقف برامج التنمية وفيه الممارسات الديمقراطية التي تتيح فرص لتمثيل كافة القوى السياسية على المسرح السياسي.. إننا نقتلون على سنوات استثنائية تحتاج إلى قرارات صعبة ومواجهات ضرورية ونحن لا ننتظر تعاليم من دول الولايات المتحدة الأمريكية أو غيرها من يقدمون لنا وصفات الإصلاح و«رسائل» العلاج «فألم نكنه أدري بشعائنها» ونحن نعرف من غيرنا بمشاكلنا السياسية، وهمومنا القومية، وأوضاعنا الفكرية، ولقد أنكرنا لكي يتحرك العرب نحو الإصلاح الجاد والتفكير الشامل والإستعداد عن العوائق السياسية مع القدرة على الموازنة بين المصالح الوطنية والضغوط الخارجية، إنه وقت لصحوة الخطوة، والرؤية الخائبة، والرشد المنتظر ■



دم مصطفى المصطفى
محنة أمّة!
خطايا النظم ومعاناة الشعوب

والأوضاع المتوترة ويهمني أن أتوه هنا حقيقة أروج أن تكون ماثلة في ذهن العربي وهي أن التغيير المطلوب سوف يشمل عناصر ثلاثة هي المؤسسات بمعناها الواسع سياسية أو ثقافية، والسياسات سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية، ثم المناخ العام الذي يعبر عنه خطاب إعلامي جديد يستوعب المستجدات ويعبر عن كافة التطورات التي حدثت في العالمين الآخرين تحديداً، ولإعني ذلك الرضوخ لطالب أمريكية بقدر ما هو استجابة لروح العصر وإصلاح لأوضاع قائمة حان الوقت لإعادة النظر فيها وقد يكون من الملائم أن أسجل هنا بعض الملاحظات التي توضح ما أسعى إلى إيضاحه.

١- إن دوائر الحكم المغلقة قد خلقت السلطة في العالم العربي مركز جانبي لبعض عناصر القوة وعناصر طرد لبعض عناصر القوة مما أدى إلى هوة بين المنظمين والمُنظمين والأغلبية الخاصة التي اختارت الامتياز، وطريقة وشرعة التقدير بدلاً لتحرك السياسي أو العمل العام.

٢- قد يقول قائل إنه من الطبيعي أن تكون لكل أي حكم دوائر مغلقة، فالحقيقة السياسية هي التباين بين محتوى مجموعة صنع القرار وهذا أمر متفق عليه ولا جدال فيه ولكن المشكلة الحقيقية هي بيمومة المستوطنين داخل الدائرة الواحدة بحيث يبقى بعضهم ما يقرب من العشرين عاماً أو يزيد في منصب، وهذه هي طغى ملحوظة تستحق التامل لأن يكون المستوطن في الموقع الواحد لا يمكن أن يتغير متجديداً ومؤثراً في ظل ظروف الإستمرار الذي

الشعوب لا تقدر على المضي في ذلك الطريق دون الانتماء المرغوب! فالخصوصية القومية حاجز لا يمكن تخطيه وسد لا يمكن تجاوزه.

ثالثاً: إن من الأسباب الرئيسية للحملة الأمريكية المستمرة على المنطقة هي تلك المفاهيم المغلوطة عن التعليم الديني والتثقيف الاجتماعي لدى العرب والمسلمين وإحساس الولايات المتحدة بأن المنطقة تحتاج إلى التغيير بطرق أخرى والدعوة إلى مفاهيم مختلفة وذلك كله - في ظني - محض هراء.

رابعاً: إن مشهد مئات الأوف من الشيعة وهم يحفظون منذ أسابيع في «كربلاء» يذكرى «سيد الشهداء» إنما هي رسالة لا تخطنها العين مؤداها أن التراث الثقافي والتراكم الحضاري لشعوب المنطقة لا يجعل أطماع الآخرين أمراً سهلاً ولا يسعوا للمغامرين بالحدثين عن التغيير دون فهم صحيح أو دراسة واعية.

خامساً: إن منطقة الشرق الأوسط والتي تعكس إلى حد كبير «سيفساف» الأفيال في إطار الدولة العثمانية مثلاً كان «موزاييك» منطقة البلقان في ظل تلك الإمبراطورية أيضاً، لذلك فإنه إذا لم تكن المنطقة العربية تدعم بالتقديرة السياسية إلا أنها تدعم بتعددية أخرى في الأصول والأعراق والمذاهب والروى.



.. هذه بعض ملاحظات وجدت أن إنهماء في هذه الظروف الصعبة

■ ■ ■ لاظن أن هناك لحظة عربية حاسمة تحتاج منا درجة عالية من الصدق مع النفس والوضوح في الرؤية مثل تلك التي تمر بها المنطقة حالياً لأن التطورات اليومية -والأول الأسبوعية أو الشهرية- تحمل معها حقائق جديدة وأنها مثيرة وتطورات غير متوقعة، لذلك فإن الوعي القومي ومحاوله الخلاص من الأسباب التي أدت إلى ما نحن فيه والتي وضعنا في هذا الموقف المعقد هي أمور لازمة في الفترة القادمة، ويحلو لي أن أركز في هذه الأيام العنصرية على نهج الإصلاح المطلوب الذي يجب أن ينبع من ناتجاً حفاظاً على هويتنا واحتراماً للثقافتنا وتأكيداً لشخصيتنا الحضارية ونسحقاً التاريخي، لذلك لابد من تشخيص الداء واكتشاف أسباب العلة قبل أن ندخل في جوهر المشكلة ونبحث عن الحلول لها وكيفية الخروج منها، من هذا فإن توصيف طبيعة النظم العربية القائمة ولياتها الفاعلة وكوارثها الحاكمة يمكن أن تعطينا في جعلها الصورة كما يراها غيرنا بكل ما لها وما عليها أن لا هناك حالة ركود حلقية في عدد لا بأس به من العواصم العربية فضلاً عن الجمود السياسي والفرل المؤسسي الذي يعكس في النهاية أزمة حادة لا تخفي على أحد وقد يكون من المفيد أن نستعرض بعض جوانب الوضع الراهن من خلال العناصر التالية-

أولاً: إن بعض الأنظمة العربية تعاني حالة من التقلوع داخل إطار دوائى مغلقة سواء كانت تلك الدوائى سطوية أو حزبية أو حتى عائلية، لذلك تولقت المشاركة في السلطة وغاب دوران التفويض واخفتق الدماء الجديدة التي تقضيها الشعوب في نظمها السياسية لتعطيلها الحيوية وتوفر لها أسباب المضي نحو آفاق المستقبل بخطى ثابتة وثقلات وإعياة.

ثانياً: إن قوائم الطليان الأمريكية المطروحة في الحفاء والعلن - والموجهة إلى عدد من الدول العربية- ليس المنصوب بها النظم فحسب ولكنها تتجه إلى الشعوب أيضاً إن الدعوة إلى الديمقراطية والانخراط في الأفكار السائدة كلها أمورا لا تقف عند حدود سلطة الحكم ولكنها تتجاوز ذلك إلى هوية الشعوب ومزاج الأمم، ومن هنا تنطلق خطورة ما نحن فيه من أن فائتكم تستعصن أن تتكيف بسهولة مع الواقع الجديد بالولاء المطلوب، ولكن

صفحات من كتاب بعنوان:
محنة أمّة، الدكتور مصطفى المصطفى،
يصدر قريباً من دار الشرق

نحو

تعديل مناهج التعليم..

بيدنا أم بيد عمرو؟

■ بعد أن انتهت الحرب على العراق على النحو الذي انتهت به، أصبح من حق أمريكا - طبقاً لما يعتقدوه اليمين المحافظ الذي يسيطر على البيت الأبيض - أن تدخل شريكاً في صياغة مستقبل منطقة الشرق الأوسط، وأن يكون لها دور في إصلاح ما ينبغي إصلاحه، وإزاحة ما ينبغي إزاحته، وتغيير ما تراه ضرورياً بعد أحداث سبتمبر المشهورة، للقيام شرقاً وأوسطاً، «بشبه يوماً جديداً» يسود فيه العدل، ويوماً جديداً يتحقق فيه «الرخاء» كما جاء في نص الخطاب الذي ألقاه الرئيس بوش في جامعة ساوث كارولينا أخيراً.

من هنا تولدت فكرة الخطبات على العديد من الدول العربية.. بعضها جاء بأسلوب ينسج بالخشونة والتهديدات غليظة أو مبطن، ولكنها جميعاً استهدفت غاية واحدة، هي هزيمة المنظمة العربية للتكليف مع المغفريات الاستراتيجية التي تتصورها الولايات المتحدة أنها تخلت أو باتت باب قوسين أو أدنى من التحقق.

على راس هذه الخطبات إصلاح التعليم، وتغيير القيم الثقافية، وتعديل المناهج الدراسية، وتحديث الحياة السياسية والاجتماعية، وتحرير المرأة لتشارك مشاركة فعالة مع الرجل في الحياة العامة، وتحقيق الديمقراطية. وقد جاءه هذا الخطاب في صورة مقترحات قدمها كولن بلول وزير الخارجية الأمريكية في خطاب له في الشراكة الديمقراطية قبل أيام من التدخل العسكري في العراق، وأقبله الرئيس بوش في خطاب له بعد انتهاء حرب العراق التي لم تدم غير أسبوع قليلة.. تحدث فيه عن منطقة التجارة الحرة تربط بين الشرق الأوسط والولايات المتحدة، وتحقق في إطارها السلام الموعود بقرعة دولية فلسطينية إلى جانب الدولة الإسرائيلية.

وبالتشريعات الضريبية والتجارية التي تسمح بالتأويم مع ما أصبحت تقتضيه «العولمة» من إسقاط للحواسز التجارية وإطلاق حرية السوق، والانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، ولأن الشعوب مطالبة بتغيير سلوكياتها، وأساليب حياتها، وطرائق تفكيرها، ومتطلبات تقيدها.

ووراء هذه المطالبات فكر أمريكي راسخ، يرجع له دعاة اليمين المحافظ، الذي عبا القوى والمناطق لنش الحرب في أفغانستان، ثم لم يلبث أن اغترته القوة العسكرية على غزو العراق، يقوم على أن العالم العربي والإسلامي تسوده أيديولوجية دينية قديمة على الإزهاب والتكافؤ والتقصير.. وتقديراً ومحبية لتقلعة طغيانية، تسعى لحزاة أسلحة الدمار الشامل، وتولف طغيانها لأضهاد شعوبها، وتهديد السلام، وقتل الحريات، ومعاذلة الإبراهيم الجعالي الذي يشجع العمليات الانتحارية باسم الجهاد والاستشهاد في سبيل الدين والعقيدة. ويمنى هذا الفكر إلى أبعد من ذلك، فيرجع أحوال الفقر والتخلف والانتشار الأمية والانهطاط وضع المرأة في السلم الاجتماعي وعجز المجتمعات العربية عن اللحاق بقم العصر وعن الأخذ بأساليب الديمقراطية والتعددية السياسية، إلى نوع من السلطة الدينية الجارمة التي أساءت توجيه الشباب والفرز عناصر من أمثال بن لادن والفاهري وأتباعها من تنقلهم «القاعدة»، الذي جعله أمريكا مسؤوليها ضرب برجي نيويورك، وتجزيرات الفرب الأمريكية في أفريقيا، ونسف السفينة الأمريكية في عدن، وأخيراً عمليات التفجير الموجهة ضد المصالح الأمريكية في السعودية، وما قد يستتبعه في المستقبل من جرائم الإرهاب العالمي..



قد يختلف تشخيص أسباب المرض أو الأزمة، ولكن الأعراض صحيحة في مجملها.. فالأمة الإسلامية تواجه مازقاً حضارياً لا يسلم إلى الاستسلام، ويخترق في غناها مرض عضال أسرويل إلى ابتكاره، ولا يمكن إرجاع أسباب قفط إلى عوامل خارجية تتخلل موبازين السوى أو بإحشاش والصراعات السياسية التي

تفجرت في الشرق الأوسط بسبب إسرائيل، فأنهكتته طوال نصف قرن، ولكنها ترجع أيضاً إلى تعطل النمو الروحي والفكري والاقتصادي الذي غشى الشعوب الإسلامية وعافها عن التقدم. وفي كافة اللقاءات والمؤتمرات التي تعقد في أرجاء العالم العربي يصارع المتحدثون أنفسهم بهذه الحقائق، ولكنهم يعجزون عن مصارحة شعوبهم بها، وبالتالي عن تغيير الأنماط والأفكار السائدة.

وانظر شيء، يحدث الآن أو أن غياب الحراك الاجتماعي، والتفاعل السياسي والفلافي، وجود التنظيم السياسية وعدم قدرتها على التجديد والتطور في المجتمعات العربية كلها بدون استثناء وإن بنسب متفاوتة، هو الذي بات يفرى قوى خارجية في محاولة التدخل لفسد الفراغ والإصلاح الأوضاع في هذه المجتمعات، على أساس أن يقاها هذه ما هي عليه، أصبح يمثل تهديداً لها ولخصائصها من خلال ممارسات الإرهاب العالمي وتنظيماته المتنامية التي نشن هجماتها بإفكار الأساليب تديراً، ويرجعه عالية من التقلية.

وتتشكل الآن تحالفات عالمية لمواجهة هذه الأخطار. عبرت عن نفسها كما رأينا في حرب أفغانستان، ثم في الحرب على العراق. وقيل ذلك في إجراءات وتشريعات وثائقها دولية حازمة، أصبحت تضع الحواجز أمام حركة السفر والهجرة لفرق الأقاليم من دول عربية وإسلامية، وتصفهيه منذ البداية - كإرهابيين محتتملين - وحد من أعدادهم ومن أنشطتهم التي يعبرون فيها عن هويهم الثقافية والدينية في المجتمعات التي يعيشون فيها. وهو ما يمكن أن يؤدي إلى عزل العالم العربي والإسلامي عن حركة العالم المتفاعل مع العلم، ويحرمه من كثير من منافع العصر، ويحكم عليه بالذبول والاختناق وقطع الروابط بينه وبين التحديث.



وإذا كانت محاولات التدخل الخارجي في الماضي قد انحصرت إلى التفتيز على السياسات الخارجية أو الأوضاع الاقتصادية، في تفرغ الآن على صميم الأوضاع الداخلية، وأكثر ما بات

بيهما الآن هو تفسير المناهج التعليمية والدراسات الدينية والفوقية، بإعتبارها المدخل إلى صياغة مستحدثة لعقول الشباب والأجيال الجديدة، لكي تبرا هذه المجتمعات من «إرثها الاستبدادي»، ومن جذور التعصب الديني، وتندخل إلى مجتمعات حرة مسالة. ولتحقيق هذا الهدف كلفت مؤسسات محلية أمريكية بوضع مناهج وكتب مدرسية جديدة وأجريت أبحاث ودراسات على أساليب وبرامج التعليم في عدد من الدول العربية بهدف إصلاحها طبقاً للمعايير التي تم وضعها في أمريكا. وقد كشف بوش في خطابه الأخير في ساوث كارولينا عن جانب من هذه الخطط حين أشار إلى عزم أمريكا «على ترجمة هذا القرار للراحل التعليمية المبكرة في اللغة العربية لم التبرع بهذه الكتب إلى المدارس الابتدائية».

وأقر ما يلزم اللقب أو أن معظم الدول العربية يبادرت إلى قبول هذه «التصالح» الأمريكية، وبدلاً من أن تأتي المبادرة من جانب خبراء التعليم والمفكرين ورجال الدين لفتح الفكر الديني وإصلاح مناهج التعليم واللغة، لكي تحظى هذه «المجتمعات المتناوئل ديني بتعايش مع حقائق العالم والتقدم التعليمية تدرب الشباب على النقد والسؤال والفكر النقدي العلمي.. فإنها استمرت في التهاج سياساتها التعليمية الفاشلة، والاستعصاء سرراً لنفطوط الأمريكية، استرضاء لها أو حرصاً على استمرار المساعدات.

ومن الطبيعي ألا يؤدي مثل هذا الإصلاح المزعوم إلى المناهج التعليمية، والذي يتم تحت ستار من التكتم الشديد، ويرتكب صفة خاصة على صخص اللغة والدين والخصوص القرآنية بقصد تجريدنا من المعاني والمبادئ التي يمثلها الأمريكيون وراء العفك الزاهي، إلا إلى سحق الشخصية المحررة أو العربية، وتذويب الهوية القومية، وترفع المناهج التعليمية بدلاً من التزام رؤية إصلاحية شاملة. وسوف يقضى هذا في نهاية الأمر إلى سقوط ذريع لا قيام به، وهو ما نتجت الماتيا والبداليان من الأزمات من قبضته، ولا ما صارت إلى من الدوليين إلى ما صارت إلى دون أن تتخلف عن الركب وبدون أن تلتقف لاهلها وتخصميتها؟

سلامة أحمد سلامة

أحدث الإصدارات من

دار الشروق



تخاطب من

دار الشروق ٨٠ شارع سيدي بيه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر تليفون ٤٠٣٣٩٩ ومكتبة الشروق ١ ميدان طلعت حرب تليفون ٣٩١٢٤٨٠ ومكتبة الشروق ، مبنى هيرست أمام حديقة الحيوان ٣٥ ش الجزيرة محل رقم ١٩ تليفون ٥٧٣٥٠٣٥

كما يمكنكم شرائها إلكترونياً www.e-kotob.com

احصل الآن

مع "وثيقة البنك العربي ذات العائد متعدد العملات ٦" على

١٤%



واستفد من هذا الفارق الكبير بين سعرى الفائدة بين الجنيه المصرى
والعملات الأجنبية، مع ضمان تلبية احتياجاتك من العملات الحرة

- يتم استبدال اية مبالغ من العملات الحرة ترغب فى تحويلها الى الجنيه المصرى عن طريق البنك وفقاً للأسعار المعلنة.
- الحد الأدنى للوثيقة ٢٥ ألف جنيه مصرى.
- مدة الوثيقة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.
- العائد متغير ويصرف كل ٣ شهور.
- يجوز الحصول على العائد بالدولار الأمريكى أو آيه عملة محسوبة بالسعر المعلن يوم صرفه.
- يمكن استرداد قيمة الوثيقة بالجنيه المصرى بعد ٦ أشهر من تاريخ الاصدار (وفقاً لجداول الاسترداد).

البنك العربي
ARAB BANK



رؤية جديدة

www.arabbank.com

لمزيد من المعلومات اتصل بـ ١٩١٠٠ بالإضافة إلى ٣٣١ ٩٩ ٢٢

(٧ ايام فى الاسبوع من ٩ صباحاً حتى ٩ مساءً)